منظمة الاعلام الاسلامي
قسم العلاقات الدولية

الاسلام وايران

الجزء الثالث

(SK)
BP63
I68M8612
1985
juz 3

Princeton University Library
32101 063445017

(SX) BP63.I68M8612 1985 juz' 3
Mutahhari, Murtaza
al-Islam wa-Iran

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

بسم الله الرحمن الرحيم

M. Mutahhari

الاسلام وايران

تأليف

الشهيد آية الله مرتضى المطهري

ترجمة

محمد هادي اليوسفي الغروي

الجزء الثالث

BP63
.I68M8612
1985
jnz' 3
(RECAP)

الكتاب: الاسلام و ايران ــ الجزء الثالث
المؤلف: الشهيد آية الله مرتضى المطهري.
المترجم: محمد هادي اليوسفي الغروي.
المطبعة: سبهر ــ طهران.
عددالنسخ: ١٠٠٠٠ نسخة.
الناشر: قسم العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي
التاريخ: الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥م

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٩
القسم الثالث	
خدمات الايرانيين للاسلام	
كثرة الخدمات وسعتها	١٣
الحضارة الايرانية العريقة	١٤
اخلاص الايرانيين للاسلام	٢٠
دوافع الأمم المسلمة	٢٢
النشاط الاسلامي الايراني	٢٣
النشاط الاسلامي للايرانيين في الهند	٢٥
والغوريون	٢٥
والتيموريون	٢٦
والقطب شاهيون	٢٦
والعادل شاهيون	٢٧
والنظام شاهيون	٢٧
والملوك الاوديون	٢٨
الاسلام في كشمير	٢٨
الاسلام في الصين	٢٩
الاسلام في جنوب شرق آسيا و افريقيا الشرقية	٣٠
الاسلام في المغرب وشمال افريقيا	٣٠
ردود الفعل	٣٣
تبليغ الاسلام ونشره	٤٢
نظام الدين اولياء	٤٩
تقدم الاسلام في الصين	٥١
الجندية والتضحية	٥٤
العلوم والثقافة	٥٧
أول حوزة علمية	٥٨
ماهو الموضوع الاول	٦٠

متى بدأ التدوين والتاليف؟ ٦٢
عوامل التقدم السريع ٦٤
القراءة والتفسير ٦٧
أما التفسير ٧٠
اما تفاسير السنّة ٧٥
الرواية والحديث ٧٨
الفقـــه ٨٤
الخلاصة والنتائج ١٠٠
وأمّا في فنون الآداب ١٠٥
وأمّا في علم الكلام ١١٠
أمّا متكلّمو السنة ١١٢
الفلسفة والحكمة ١١٤
الطبقة الأولى ١١٧
الطبقة الثانية ١١٩
الطبقة الثالثة ١٢٢
الطبقة الرابعة ١٢٧
الطبقة الخامسة ١٢٨
الطبقة السادسة ١٣٠
الطبقة السابعة ١٣٤
الطبقة الثامنة ١٣٦
الطبقة التاسعة ١٣٩
الطبقة العاشرة ١٤١
الطبقة الحادية عشرة ١٤٣
الطبقة الثانية عشرة ١٤٦
الطبقة الثالثة عشرة ١٤٧
الطبقة الرابعة عشرة ١٤٨
الطبقة الخامسة عشرة ١٤٩
الطبقة السادسة عشرة ١٥٠
الطبقة السابعة عشرة ١٥١
الطبقة الثامنة عشرة ١٥٢

الطبقة التاسعة عشرة ١٥٤
الطبقة العشرون ١٥٥
الطبقة الحادية والعشرون ١٥٦
الطبقة الثانية والعشرون ١٥٩
الطبقة الثالثة والعشرون ١٦٠
الطبقة الرابعة والعشرون ١٦٢
الطبقة الخامسة والعشرون ١٦٣
الطبقة السادسة والعشرون ١٦٣
الطبقة السابعة والعشرون ١٦٤
الطبقة الثامنة والعشرون ١٦٦
الطبقة التاسعة والعشرون ١٦٨
الطبقة الثلاثون ١٦٩
الطبقة الحادية والثلاثون ١٧٥
الطبقة الثانية والثلاثون ١٧٨
الطبقة الثالثة والثلاثون ١٨٤
العرفان والتصوّف ١٨٩
العرفان والاسلام ١٩١
القرن الاول ١٩٩
القرن الثاني ٢٠٠
القرن الثالث ٢٠٢
القرن الرابع ٢٠٤
القرن الخامس ٢٠٥
القرن السادس ٢٠٧
القرن السابع ٢٠٧
القرن الثامن ٢١٠
القرن التاسع ٢١٢
الصناعة والفنون ٢١٤
اللغة والآداب ٢١٥
قرنان من السكوت ٢١٦

مقدمة الناشر:

من جديد؛ انطلق نداء الاسلام الاصيل من ايران، ايران الثورة، ايران الاسلام، ايران التي حطم شعبها عروش الظالمين المتحكمين بقيادة القائد الفذالبطل الامام الخميني حفظه الله وراح يعلنها للعالم كل العالم ان لا خلاص له الا بالاسلام، وان لامنهج لسعادته الحقيقية الا منهج القرآن الاصيل، و يدعو كل الشعوب الاسلامية ان ترجع الى ذاتها و شخصيتها الاسلامية الحقيقية فتكون خير امة اخرجت للناس. وهي بذلك تفجر اعظم ثورة فى القرون الاخيرة في وجود الطاغوت الارضي المستحكم.

ايران هذه؛ احياها الاسلام مرتين، مرة عندما دخلت لاول مرة فى الاسلام فانقذها من وهدة الضياع المادي البئيس، واخرى عندما فجر فى شعبها هذه الثورة الاسلامية الكبرى...

و بين الفترتين روابط تختلف من حال الى حال تتبعها فقيد الثورة الاسلامية و شهيد الامة الكبير آية الله المطهري محللاً بنفس صبور وصبر دؤوب راداً على الشبهات القومية الضيقة، والوطنية المضادة للروح الاسلامي مقدماً بذلك اضواء رائعةً فى هذا المجال، ومن الجدير بالذكر ان الكتاب انتشر قبل نجاح الثورة الاسلامية بسنين عديدة وكان له دوره فى التوعية و دفع الشبهات.

فالى قراءة هذه الفصول الممتعة ندعو القراء الاعزة راجين ان يكون لها الا ثر الكبير فى كشف بعض الاجزاء الغامضة من تاريخنا الاسلامي المجيد.

واننا لنتضرع للبارى العلي القدير أن يمنّ علينا بتحقق الدولة الاسلامية العالمية الواحدة حيث الدين كله لله.

والله المنان الموفق

منظمة الاعلام الاسلامي

قسم العلاقات الدولية

القسم الثالث:

خدمات الايرانيين للإِسلام

كثرة الخدمات وسعتها:

فى هذا القسم نعرض للخدمات التى قدمها الايرانيون للاسلام. وقد قلنا فى اول القسم الثانى: إن خدمة الامة لدين من الاديان هى أن تجعل قواها وطاقاتها و امكاناتها المادية و المعنوية و استعداداتها الفكرية فى خدمة ذلك الدين، و أن تخلص له فى ذلك كله.

و إنّ الايرانيين جعلوا ما يملكون من الطاقات و الامكانات فى خدمة الإسلام اكثر من أية أمة اخرى، و اثبتوا من انفسهم الاخلاص فى هذا السبيل اكثر واظهر من أية امة اخرى، و انّ اية امة اخرى لم تبلغ ما بلغه الايرانيون من الخدمة والاخلاص للإسلام، و حتى من العرب الذين ظهر الاسلام بين ظهرانيهم و على ايديهم. و نهدف فى هذا القسم من الكتاب الى اثبات هذه الدعوى، و لا سيما اخلاصهم له.

والكلام حول خدمة الايرانيين للاسلام كثير، الا أنهم قلمايلتفتون الى نقطة أنّ الايرانيين انما اوجدوا عبقرياتهم فى ظله و فى سبيله، و أن الذي يخلق العبقريات ليس الاّ الايمان و الاخلاص. والحقيقة أن الإسلام هو الذي نفث فى الايرانى روحاً جديدة و بعثه من جديد و دفع باستعداداته الى الحياة، والاّ فلما ذا لم يبد الايرانيون واحداً بالمئة من هذه الخدمة فى سبيل دينهم القديم؟!

و كما أن الاسلام دين يسيطرعلى مختلف جوانب الحياة البشرية و يشمل جميع نواحيها؛ كذلك نرى أن خدمة الايرانيين للاسلام خدمة تشمل جميع جوانب الإسلام و أنها قد تحققت فى مختلف الجوانب والصُعد. و سنشير نحن فى هذا المختصر الى جميع هذه الجهات والجوانب فى حدود مانطلع عليه و لو بالاجمال والاختصار.

ان اولى الخدمات التى ينبغى أن نذكرها هنا هى خدمة الحضارة الايرانية العريقة والقديمة للحضارة الإسلامية الحديثة، فقدقدمت تلك الحضارة القديمة لهذه الحضارة الحديثة خدمة كبرى. وهذا المعنى و ان كان خارجاً عن مانهدف اليه هنامن بيان خدمة الايرانيين المخلصة للإسلام؛ اذ أن افادة الحضارة القديمة للحضارة الحديثة التى هى فى دور النمو و التدرّج امر

طبيعي خارج عن اخلاص اصحاب الحضارة القديمة، الا أن بين هذين الموضوعين من العلاقة و الارتباط ما اذا لم يذكر احد هذين مع الآخر بدا و كأن فيه نقصاً. أضف الى ذلك أنا قد عنونا الكتاب بعنوان: «الخدمات المتقابلة بين الإسلام و ايران»[1] و لهذا فعلينا أن نذكر ما يرتبط بايران مماله علاقة بالإسلام من ناحية اخرى، سواء كان من خدمة الايرانيين للإسلام ام لم يكن. و ان القارئ بودّه أن يطلع على هذا الموضوع هنا أيضاً.

و بعد هذا نصل الى خدمات الايرانيين للإسلام. و قد تحقق هذا في مختلف الجوانب:

في جانب التبشير بالإسلام و تبليغه و دعوة الأمم اليه.

و في جانب الجندية و العسكرية.

و في ناحية العلوم و الثقافات.

و في الصناعات و الذوقيات و الفنون...

و الآن نبدأ كلامنا حول ماقدمته الحضارة الايرانية القديمة الى الحضارة الإسلامية الحديثة، فنقول:

الحضارة الايرانية العريقة:

لا تطلبوا منا أن نلج بحث الحضارة الايرانية و قيمتها الواقعية و ماحدث فيها من تطور منذ العهد الهخامنشي حتى العهد الساساني؛ لأنه اولاً: لاصلاحية لي لاظهار النظر في الموضوع كمتخصص في البحث. و ثانياً: فالموضوع خارج عن مورد بحثنا و انما هو ها مش له. وانما نستمر نحن هنا في هذا البحث بالاستفادة من مسلمات التاريخ و المقبول منه لدى أصحاب النظر فيه و بالاعتماد على منقولاتهم فيه. وعلى هذا فما نقوله نحن هنا انما هو مانقله هذا وذاك. و من المقطوع به هنا أمران: الاول: أن ايران كانت لها قبل الإسلام حضارة عريقة و قديمة وذات سابقة تاريخية طويلة مشرقة والثاني: أن هذه الحضارة افادت في الحضارة الإسلامية، كما يقول پ. ژ. مناشة:

«ان الايرانيين قدّموا للإسلام بقايا حضارة مهذّبة، نفث فيها الإسلام روحا جديدة فوجدت حياة جديدة»[2].

أما القسم الاول: اي تمتع ايران قبل الاسلام بحضارة قديمة و عريقة، فهو و ان كان

---

١ ــ هذا هو العنوان الكامل للكتاب، ونحن اختصرناه بعنوان: الاسلام وايران.

٢ ــ نقلا عن كتاب (تمدن ايراني) بقلم جمع من المستشرقين و بترجمة الدكتور (عيسىٰ بهنام)

لايحتاج الى البيان و التوضيح، الا أن شرحه بشيء من الاختصار، لايخلو من فائدة هنا، فنقول:

جاء في كتاب «روزگار باستان» تاليف «برمستد» بشان النظم الادارية لايران على العهد الهخامنشي يقول:

«ان ادارة الدولة الايرانية الشاهنشاهية التي كانت تمتد من بحر الجزائر الى نهر السند و من المحيط الهندي الى بحر الخزر، لم يكن أمراً هيناً، و لم تكن قدقابلت مثل هذه الوظيفة الخطيرة اية حكومة قبل حكومة الهخامنشيين التي بدأها كوروش و استمر بها داريوش الكبير (٥٨٥ ــ ٥٢١ ق. م). و بالامكان أن نحسب مثل هذه الادارة الحكومية التي وجدت لاول مرة في التاريخ، احدى مراحل التاريخ التي ينبغي الالتفات اليها...»

و فيه أيضاً بشأن القوة البحرية لايران على العهد الهخامنشي يقول:

«كان لايران على عهد خشايارشا بن داريوش مئات من السفن في البحر الأبيض المتوسط، و كانت ايران اذذاك اقوى قوة بحرية».

و كتب يقول أيضاً:

« و في عهد داريوش امروا أحد رجال الدين المصريين من الاسراء أن يذهب الى مصر فيؤسس فيها مدرسة طبية و جراحية...»

و كتب بشأن الصناعات في العهد الساساني يقول:

«للصناعات على عهد الساسانيين أهمية خاصة في تاريخ الفنون في ايران، اذ كان الفن المعماري قد تطور تطوراً نرى عظمته فيما بقي لنا حتى اليوم من بقايا أنقاض القصور و المساكن والمعابد و القلاع و السدود و الجسور... في فيروز آباد و شاهپور و سروستان فارس و طيسفون (المدائن) و قصر شيرين...»[٣].

و يدعي الجاحظ في كتابه «المحاسن و الاضداد»:

«كانت العجم تقيدماثرها بالبنيان و المدن و الحصون، مثل بناء اردشير و بناء اصطخر و بناء المدائن و السدير و المدن و الحصون، ثم ان العرب شاركت العجم في البنيان و تفردت بالكتب و الآخبار و الشعر و الآثار»[٤].

و يقول بشأن العلوم و المعارف و الثقافات في ذلك العهد:

«ان اللغة الفهلوية ــ اللغة الرسمية لايران و الهند و اوربا على عهد الآشكانيين ــ كانت رائجة على عهد الساسانيين أيضاً، و قد بقي لنا حتى اليوم من تلك اللغة ستمئة كلمة

---

٣ ــ (تمدن ايراني) ص: ٢٠.

٤ ــ المحاسن والاضداد ــ للجاحظ ص: ٤٠.

كلها تتعلق بامور الدين الفارسي القديم. و نعلم أن ذلک الادب كان اوسع من هذا بكثير الا أن الموابدة الذين كانوا النقلة الوحيدين المحافظين على هذه اللغة بالكتابة ــ كانوا يهملون الأثار غير الدينية، وكان ملوک الساسانيين حماة الآداب والفلسفة، و قد تفوق فى هذا أنوشيروان اكثر من غيره، فقد امر بترجمة آثار افلاطون وارسطو الى اللغة الفهلوية و تدريسها فى مدرسة جندى شاپور»[٥].

وقدأسست مدرسة جندى شاپورفى ذلک العهد، على أيدي مسيحيى ايران، واصبحت من المراكز الثقافية فى العالم. وقداستمرهذاالمركزفي عمله فى العهدالإسلامي أيضاً و لم يتوقف عن العمل، و إن الأطبّاء المسيحيين الذين يذكرون فى بلاط الخلفاء العباسيين من خريجى هذه المدرسة من قبيل ابن ماسويه و بختيشوع و آل نوبخت. و لما أصبحت بغداد مركزاً للثقافة فى العالم الاسلامي أصبحت مدرسة جندي شاهپور تحت شعاع بغداد و هكذا انقرضت تدريجياً. فجندي شاپور نفسها هى من احدى المراكز التى امدّت الحضارة الإسلامية و خدمتها و ساعدتها.

و يقول و يل دورانت بشأن الفن فى العهد الساسانى:

«...ولم يبق من جلال شاهپور و قباد و الاكاسرة شيءسوى بقايا فنون العهد الساسانى، و يكفى هذا للاعجاب باستمرار الفن الايرانى و تفاعله المتبادل منذ عهد داريوش الكبير و پرسپوليس و حتى عهد الشاه عباس الكبير و اصفهان...»[٦].

و بشأن النسيج فى العهد الساسانى يقول:

«لقد استفاد النسيج فى العهد الساسانى من نقوش الاصنام و التماثيل و فسيفساء القاشاني و سائر الاشكال البديعة. كانوا ينسجون الأقمشة من الحرير و القزوالا بريسم فى اشكال: المطرّز، و ديبا، و الدمشق، و الفرش و البسط و الستُر و أقمشة الكراسي و المظلات و الأخبية، بالدقة المتناهية و المهارة الكافية، ثم يصبغونها بالالوان الصفراء و الزرقاء والخضراء و السماوية...»[٧]

و بشأن صناعة القاشى و الخزف و السُفال من الطين يقول:

«لم يبق بايدينا من الخزف الساسانى سوى قطع من الخزف العادي المصنوع للاستعمالات اليومية، و كانت هذه الصناعة قد تطورت منذ العهد الهخامنشى والظاهرأنها تقدمت على عهد الساسانيين أيضاً و تكاملت على عهد المسلمين»[٨].

---

٥ ــ نقلا عن الترجمة الفارسية لتاريخ التمدن لويل دورانت ج ١ ص ٢٣٤.

٦ ــ المصدر السابق ص ٢٥١.

٧ ــ تاريخ التمدن لـ (و يل دورانت) ج ١ ص ٢٥٤.

٨ ــ نفس المصدرص ٢٥٥.

ويدعى ويل دورانت:

«وعلى كل حال؛ فان الفنون على عهد الساسانيين تبدو وكأنها بعثة جديدة بعد اربعة قرون من التقهقر على عهد الاشكانيين، ولكنا اذا أردنا أن لا نبالغ فى الحكم لها ينبغى أن نقول انها لا تبلغ فى العظمة والكمال الى رتبة الفنون على العهد الهخامنشى، وهى لا تصل من حيث الابداع والدقة والذوق والفن الى رتبة الفنون الايرانية بعد الإسلام...»

ويقول ويل دورانت فى آخر هذا الفصل من كتابه:

«ان الفن الساسانى قد ادّى ما عليه من الاسهام فى الحضارة البشرية باشاعة صورها فى الهند والصين واراضى الاتراك فى المشرق، وآسيا الصغرى وسورية وقسطنطينية ومصر والبلقان واسپانيا ولعل نفوذه فى الفن اليونانى ساعده على التطور من تصاويره الكلاسيكية القديمة، الى اسلوب التجميل البيزنطى. وكذلك ساعد الفن المسيحى اللاتينى على التطور من السقوف الخشبية الى الايوانات والقباب الحجرية او الآجرية (الطابوقية) وقد انتقل الفن المعمارى الساسانى فى بناء القباب الكبيرة والابواب الكبيرة للمدن الى المعابد والمساجد والقصور فى الإسلام. ولا شيىء يضيع فى التاريخ، فكل فكرة فيه سوف تجد لنفسها الفرصة فتتطور وتتقدم وتنمو فتهب الحياة وتضيف اليها شرارة وحرارة وحركة اخرى...»[٩].

وينقل الدكتور رضا شفق فى الفصل الثالث من ترجمته الفارسية لكتاب: «ايران عند المستشرقين» بعنوان: «منابع الفنون الإسلامية» عن كتاب بعنوان: «الأيدي فى الفن الاسلامي» للدكتور ديمند رئيس قسم الفنون الشرقية فى متحف «مترو پل» أنه يقول:

«...لم يكن للعرب على عهد محمد [صلى الله عليه وآله وسلم] فنون وصناعات، وان كان فهو كأن لم يكن، وانما اقتبسوا فنون ما بين النهرين ومصر وسورية وايران. ونجد فى صحف الصين: أن الخلفاء الأمويين كانوا يطلبون أساتذة الفنون من جميع الولايات المفتوحة لهم ويستفيدون منهم فى بناء المدن والقصور والمساجد، فكانوا يطلبون الأساتذة البيزنطيين فى صناعة القاشانى والفسيفساء المعرّق لتجميل مساجد دمشق، وكانوا يجعلون عليهم أساتذة ايرانيين، وكانوا يستخدمون لأبنية مكة صنّاعاً من مصر والقدس ودمشق، وكان هذا مستمراً حتى عهد العباسيين أيضاً. ويقول الطبري فى تاريخه: انهم استخدموا لبناء بغداد اساتذة ايرانيين وسوريين وموصليين وكوفيّين. وهكذا وجد اسلوب اسلامى جديد نابع من الخلط بين المصادر الشرقية المسيحية والايرانية...»[١٠]

وأضاف يقول:

---

٩ ــ نفس المصدر السابق ص: ٢٥٦.

١٠ ــ بالفارسية: ايران از نظر خاورشناسان، ترجمة الدكتور رضازاده شفق ص ١٩٥ ــ ١٩٦.

«ان أثر الفن الساساني في الفن الإسلامي وان كان قد توصل اليه بعض القدماء من المحققين، الا أنه بدا واضحاً اخيراً على أثر الحفريات في طيسفون قرب بغداد، و كيش في ما بين النهرين، ودامغان ايران، حيث توصلوا الى كمية كثيرة من المواد الانشائية و لاسيّما النقوش البنائية في الجصّ (گچ) فبدت فيه نماذج الفنون المعمارية الإسلامية بشكل واضح»[11].

و كتب يقول:

«ان الفن الساساني استمر حتى انتهى الى الفن الإسلامي حيث اقتبسه الفنانون المسلمون فصوروه نفسه او غيّروافيه ممّا آدّى الى اسلوب خاص في الإسلام»[12].

و فتح نهرو في الجزء الثاني من كتابه «نظرة في تاريخ العالم» فصلاً بعنوان «استمرار السنن الايرانية القديمة» و حاول ان يثبت استمرار روح الفنون و الثقافات الايرانية منذ الفي عام و حتى الآن، و قال:

«ان للفن الايراني سنناً ظاهرة، و قد استمرت هذه السنن مدة اكثر من الفي عام (بعد الآشوريين الى الآن) و قد تغيّر في ايران: الحكم و الملوك و المذاهب؛ إذ استولى على ايران حكام منهاو من غيرها، و دخلها الإسلام فغيّر كثيراً من امورها، و مع ذلك فقد استمرت سنن الفنون الايرانية و هي بعد مستمرة..»[13].

و يقول:

«ان جيش المسلمين العرب حينما كان يتقدم في نواحي آسيا المركزية و في شمال افريقيا، لم يكن يحمل معه دينا جديداً فقط، بل و حضارة حديثة نامية، و لذلك فقد اقتبست هذه الحضارة الفتية "حضارات مابين النهرين و مصر و سوريا، فاصبحت العربية لسانهم الرسمي و العادي، و اختلطوا بالعرب و امتزجوا معهم و تشبهوابهم، و أصبحت بغداد و دمشق و القاهرة مراكز للحضارة و الثقافة العربية الإسلامية، و قامت فيها بنايات جميلة و كثيرة على أثر الحركة الحضارية الحديثة... و ايران و إن لم تشابه العرب ولم تذب فيهم الا أن الحضارة والثقافة العربية (الاسلامية) قد أثّرتافي ايران تأثيراً بالغاً، وأحدثتافي ايران ــ كالهند ــ حياة جديدة للنشاط العملي والفنّي الإسلامي، و تأثرت هي بنفوذ الحضارة و الثقافة الفارسية فيها»[14].

---

١١ ــ نفس المصدر ص ٢١.

١٢ ــ نفس المصدر السابق. ص ٢٠٢.

١٣ ــ بالفارسية: نگاهي بتاريخ جهان، ترجمة: محمود تفضلي، ج ٢ ص ١٠٣٨.

١٤ ــ نفس المصدر السابق ص: ١٠٤٢.

وقد ترجم الى العربية فيما ترجم ــ كما نعلم ــ بعض الكتب الايرانية على عهد الخلفاء الامويين و العباسيين، و هذه الكتب و ان لم تكن تضاهى ماترجم الى العربية من سائر مصادر المعرفة البشرية، الا أن بامكاننا أن نعدّها نوعاً من انواع الاسهام الايراني فى الحضارة و الثقافة الإسلامية، و سنبحث نحن فى هذه الترجمات بحثاً موجزاً فيما يأتى إن شاء الله.

وقد اقتبس المسلمون نظامهم الاداري من النظام الاداري الايراني، اذ نظمت الدفاتر و الدواوين منذ عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب باسلوب الدفاتر و الدواوين الايرانية القديمة، بل كانت اللغة الديوانية أحياناً لغة فارسية ايضاً، و فضّل المسلمون من الفرس فيما بعد أن يترجموها الى العربية بأنفسهم:

فقد قال ابن النديم فى كتابه «الفهرست»:

«كان خالد بن يزيد بن معاوية... خطر بباله الصنعة، فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصّح بالعربية، و أمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطىّ الى العربي. وهذا اول نقل كان فى الإسلام من لغة الى لغة».

ثم يقول: «ثم نقل الديوان و كان باللغة الفارسية الى العربية فى أيام الحجاج، و الذي نقله صالح بن عبدالرحمن مولى بنى تميم، و كان ابوصالح من سبي سجستان، وكان يكتب لزادان فرخ بن بيري كاتب الحجاج، يخطّ بين يديه بالفارسية و العربية، فخفّ على قلب الحجاج. فقال صالح لزادان فرّخ. انك انت سببي الى الأمير، وأراه قداستخفّنى، ولا آمن أن يقدمنى عليك وأن تسقط منزلتك. فقال: لا تظن ذلك، هو إليَّ أحوج منّى اليه، لانه لا يجد من يكفيه حسابه غيري. فقال: والله لو شئت أن احوّل الحساب الى العربية لحوّلته، قال: فحوّلْ منه أسطراً حتى أرى ففعل، فقال له: تمارض! فتمارض فبعث الحجاج اليه (بياد روس) طبيبه، فلم ير به علة. و بلغ زادان فرّخ ذلك فأمره أن يظهر... و اتفق أن قتل زادان فرّخ فى فتنة ابن الأشعث... فاستكتب الحجاج صالحاً مكانه. فاعلمه الذي كان جرى بينه و بين صاحبه فى نقل الديوان، فعزم الحجاج على ذلك و قلده صالحاً. فقال له مردانشاه بن زادان فرخ: كيف تصنع «بدهويه و ششويه»؟ قال: اكتب: عُشراً و نصف عشر، فقال: فكيف تصنع «بويد» قال: أكتب: و أيضاً... فقال له: قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت اصل الفارسية! و بذلت له الفرس مئة الف درهم على أن يظهر العجز عن نقل الديوان، فأبى الانقله، فنقله»

و يقول ابن النديم: «... فأما الديوان بالشام فكان بالرومية... و نقل الديوان فى زمن هشام بن عبدالملك»[١٥].

---

١٥ ــ الفهرست لابن النديم ص: ٣٥٢ ط الاستقامة ــ الجزء الرابع ــ المقالة السابعة: مقالة الفلاسفة ــ الفن الأول

←

هذا ما يتعلق ببلاط الخلفاء و حكّامهم.

و كان السلاطين المسلمون فى ايران بعد الاستقلال يكتبون الدفاتر و الدواو ين باللغة الفارسية، و أعادها الغزنو يون الافغانيون الى العر بية مرة اخرى، و له قصة ليس هذا محلها.

و قد قلنا سابقاً انا لسنا بصدد بيان ما قدمته الحضارة الايرانية القديمة الى الحضارة الاسلامية الحديثة، و ان هذا ليس من صلاحياتنا و لامن اختصاصنا. بل اننا نهدف من نقل ما نقلناه من مسلمات التار يخ التأكيد على أمر ين فقط:

احد هما: أن ايران كانت لها قبل الاسلام حضارة، و أن هذه الحضارة اصبحت من احدى عناصر الحضارة و الثقافة الاسلامية.

و ثانيهما: أن هذه الحضارة التى كانت فى طر يقها الى التقهقر وجدت بالاسلام روحاً جديدة و حياة اخرى و صورة حية نابضة.

و ليس هذان الامران موضع انكار اوترديد.

و بامكان الراغبين الرجوع الى المصادر المتوفرة فى كل من هذين الموضوعين.

اخلاص الايرانيين للاسلام:

و الآن نلج صلب الموضوع؛ و هو أن الايرانيين خدموا الإسلام خدمة كبرى و أن هذه الخدمة كانت عن ايمان و اخلاص و من الصميم. و نبحث اولاً حول اخلاص الايرانيين، ثم نشرح خدماتهم للإسلام:

و لانر يد أن نبالغ فى اخلاص الايرانيين؛ فلاندعي أن جميع الايرانيين كانوا مخلصين لهذا الدين، و أنّ كل ما تحقق منهم من خدمة له كان عن كامل الصفاء و من صميم الايمان به. بل كل ماندعيه هو أن اكثر ية الايرانيين كانوا مخلصين لهذا الدين، و أنه لم يكن لهم اى دافع لخدمته سوى خدمته. وأنه لم تبلغ اية امة اخرى من سائر الأمم المسلمة عر باً و غير عرب ما بلغه الايرانيون فى هذا السبيل، و لعلنا نستطيع القول بأن الايرانيين لامثيل لهم فى هذا السبيل؛ اي ان اية امة اخرى لم تخدم اي دين من الاديان و لم تخلص له كما خدم الفرس الإسلام و اخلصوا له.

اذ بالامكان أن تجعل امة من الامم تطيع بالقوة، و ليس بالامكان أن يخلق فيها الايمان و الحركة والنشاط بالقوة و القهر و الاكراه و الاجبار؛ فان منطقة نفوذ الأموال و القدرات محدودة بحدود واضحة، و ان عبقر يات البشر ية لم تنشأ الا من الايمان و الاخلاص

← الحكاية الرابعة.

فحسب.

وقد يدعى البعض بأن دافع الايرانيين لحركتهم ونشاطهم الكثير فى سبيل الثقافة و المعارف الإسلامية كان ردّ فعل لهم عن هزيمتهم العسكرية امام العرب فى ميادين القادسية وجلولاء و حلوان و نهاوند وغيرها، فقد عرف الايرانيون أن الهزيمة العسكرية ليست الهزيمة النهائية. بل ان الهزيمة النهائية هى الهزيمة القومية و الثقافية. و أن الايرانيين انما نشطوا فى مجال المعارف الإسلامية بأثر من أحاسيسهم القومية كى يثبتوا وجودهم أمام الأمم ولاسيما العرب انفسهم، ولكى يحفظوا بالضمن افكارهم و آدابهم بصبغة اسلامية. و بعبارة آخرى يقولون: إنّ الايرانيّين حيث لم يتمكنوا من عدم قبول الإسلام كحقيقة واقعية، فكروا فى سبيل أن يجعلوا الإسلام ايرانياً، ولم يجدوا لهذا سبيلاً سوى الطريق الى القبض على الشؤون العلمية الاسلامية.

و باعتقادنا أن هذا التفسير بعيد عن الواقع مئة بالمئة، و ذلك:

اولا ــ قد بيّنا قبل هذا أن سوابق الخدمات الايرانية للاسلام تصل الى ما قبل الهزيمة العسكرية، و أن ما قام به الايرانيون من خدمة للاسلام بعد الهزيمة امامه له نظائر منهم من قبل الهزيمة العسكرية.

و ثانياً: لوكان الدافع ردّ فعل للهزيمة لما كان يستمر اربعة عشرقرناً من الزمان. و لوكان بالامكان تفسير الحركات المؤقتة بهكذا دوافع آنية، فليس من الصحيح تفسير الحركات التى تدوم قروناً بمثل هذه الدوافع الزمنية.

و فضلاً عن مرور القرون على هذه الحركة و النشاط، فان كيفية العمل ايضاً ليس مما تصح فيه هكذا توجيهات و تأو يلات. و سنرى فى الفصول التالية أن كيفية العمل الايرانى فى المجالات الإسلامية يبدو منها الايمان والاخلاص واضحاً جلياً.

ولو كان الايرانيون يهدفون من خدمتهم للاسلام جبر الكسر العسكري الذي اصيبوا به أمامه؛ فلما ذا أصبحوا من حملة هذا الدين بين سائر الأمم، مما ادخل اضعاف اعدادهم من الأمم فى الإسلام؟ و لما ذا كان الايرانى يضحي بنفسه جندياً فى سبيله ابّان المخاطر للاسلام من دون أن يكون هناك أي خطر يهدد القومية الايرانية؟ و لما ذا تبدى هذه الامة حين شيوع المنكرات و المناهي ردود فعل اكثر واشد من سائر الامم المسلمة؟

و سنوضّح فى البحوث الآتية جميع هذه النقاط.

و الآن نوردهنا بحثاً عاماً حول العوامل التى دفعت الأمم المسلمة للحركات العلمية و الثقافية:

دوافع الامم المسلمة:

يلزمنا هنا أن نلقي نظرة عامة على العالم الإسلامي من حيث الدوافع والمحركات. فنقول:

ظهرت في عالم الإسلام حركة علمية و ثقافية اشترك فيها العرب و الفرس و الهنود و المصريون و الجزائريون و التونسيون و المغربيون و السوريون و حتى الاوروبيون و الاسپانيون، فكانت هذه الحركة تمتد وتتواصل من اقصى نقاط المشرق الإسلامي الى اقصى نقاط المغرب الإسلامي و كذلك من شماله الى جنوبه. فمثلاً كان يشترك في هذه الحركة سيبويه وابن سينا الايرانيان من ناحية وابن مالك وابن رشد الاندلسي من ناحية اخرى. فماذا كان الدافع لهذه الحركة العظيمة؟

هنا نظريات نشير اليها:

١ــ كان قد ظهر في جميع هذه الأُمم روح عربية، فكان جميع هذه الأُمم قد اوجدت حركة متوازنة متفقة متحدة تحت عنوان «العروبة».

وليس هكذا قطعاً، و ان كان بعض العرب المعاصرين يحاولون أن يحرفوا التاريخ بهذه الصورة المنحرفة.

و يذكر بعض الاوروبيين الحضارة الاسلامية بعنوان الحضارة العربية؛ ليزيدوا من الغرور العربي من ناحية، كي يعتمدوا على قوميتهم فيفصلوا انفسهم عن العالم الاسلامي اكثر من ذي قبل، ولكي تتأذى سائر الأُمم المسلمة من العرب الذين يصدقون هذه الفرية الكاذبة، من ناحية اخرى.

٢ــ ان الأُمم المسلمة انما نشطت بفعل أحاسيسها القومية و الوطنية الخاصة، فكان دافع كل امة أحاسيسها القومية الخاصة.

و بطلان هذه النظرية من الوضوح بمكان لانحتاج معه الى توضيح فساده. و قد بحثنا في القسم الاول من الكتاب في هذا الموضوع بما فيه الكفاية. ان الأُمم المسلمة كانت قد ضربت جسراً على قومياتها عبرت عليه الى سائر الأُمم المسلمة، و لهذا كان المسلم الايراني او الهندي يحس بالاخوة مع المسلم الافريقي او الأسباني...

٣ــ أن هذه الأُمم كانت تعيش داخل الحدود العقائدية و الفكرية الاسلامية، فكانت دوافعها نابعة من الاسلام ديناً وعقيدة وفكراً، ومن تعاليمه العالمية والانسانية التي تسمو على القوميات والعنصريات؛ و كان يؤيد هذا روح العلم العالمية والانسانية أيضاً.

و ان الشواهد و القرائن التاريخية تؤيد هذه النظرية بصورة قاطعة.

و ان الطريق الى معرفة الدوافع فى الامة او فى الافراد فى أية حركة تاريخية، هو النظر فى كيفية العمل عند الفرد اوالأُمة. و ما نأتي به فى الفصول التالية يكفي للتعريف بدوافع الايرانيين فى هذه الحركة التاريخية...

و هنا ناتى بقسم آخر مما كتبه الشيخ العطاردي بعنوان:

النشاط الاسلامى الايراني

إنّ حوادث اليمن و تضحية أبناء الفرس المسلمين فيها فى سبيل الاسلام لهى من اكبر الشواهد على طواعية قبول هذه الأُمة للاسلام، و على أنها لم تألُ جهداً فى سبيل نشره و الدعوة اليه و الدفاع عنه. فالذين يكتبون: ان هذه الامة حملت على الاسلام بقوة السلاح، إمّا هم يجهلون تاريخ هذه الأُمة فى اسلامها، اوتحملهم الأحاسيس القومية و العصبيات العنصرية على التفوّه بهذه الفرية الكبرى.

يكتب المؤرخون جميعاً: أن الاسلام تقدم فى ايران بسرعة عجيبة، و أن هذه الأُمة استقبلته من دون حروب كثيرة ولا جدال عنيف، و أنه شمل هذه الأُمة من ساحل الفرات الى نهر جيحون و من نهر السند الى بحيرة خوارزم فى فترة لا تزيد على عشرين عاماً فقط! و أنه ان كنا نرى بعض الحروب فى بعض الموارد بين العرب المسلمين و أبناء هذه الأُمة فانما هو مع الموابدة و الطبقات الممتازة التى كانت تسعى للحفاظ على مصالحها بسدّ طريق الاسلام.

بعد أن فتح المسلمون الدولة الايرانية لم يطل كثيراً حتى دخل اكثر الناس من هذه الدولة فى دين الإسلام باستثناء جبال مازندران و ديلمان، ثم بدأ نشاط هؤلاء الناس فى سبيل نشر الإسلام و تحكيم قواعده و مبانيه المقدسة. و لقد سعت الأُمة الايرانية فى طول القرون الثلاثة الاولى التى كانت ايران فيها تحت نفوذ حكم الخلفاء الأمويين و العباسيّين، فى سبيل شرح احكام الاسلام السياسية و الاجتماعية و القضائية و الأخلاقية، سعياً حثيثاً، و عرضت مسائل مهمة و وضحتها و نظّمتها.

و هكذا تأسست علوم الأدب و الفقه و الحديث و التفسير و الكلام و الفلسفة، و التصوف(!) فى القرون الاسلامية الاولى، وتصدرت الأُمة الايرانية هذه الحركة. و اصبحت مدارس نيشابوروهرات و بلخ ومرو و بخارى وسمرقندوري و اصفهان، وسائر مدن ايران مراكز للنشاط العلمي الدائب. و تربّى فيها مئات الرجال من كبراء الإسلام،

الذين نشروا الثقافة و الحضارة الإسلامية فى شرق العالم و غربه.

و كان علم الحديث احد الموضوعات الهامة التى توجهت اليها الانظار فى ايران و لا سيما فى خراسان، و يلزمنا أن نعترف هنا بأن الايرانيين كان لهم الحظّ الوافر فى تدو ين الأحاديث. بل يجب أن نعرفهم كمؤسسين لمدرسة علم الحديث. فقد كان جمع من أهل الحديث منهم يسافرون الاسفار الكثيرة كى يسمعوا الأخبار و الروايات من مشايخ الحديث بأسماعهم فيدونوها فى صحاحهم و مسانيدهم. و بلغت أهمية مدرسة الحديث فى خراسان يومئذٍ مرتبة كبيرة حتى أن كثيراً من طلاّب الحديث كانوا يهاجرون اليها من مصر وافر يقيا و الحجاز و العراق و الشام للاستفادة من مشايخ الحديث بها فيقيمون السنين فى نيشابور و مرو و هرات و بلخ و بخارى.

و الذين تعرّفوا على كتب الحديث من الصحاح و المسانيد و أحوال الرجال و مشايخ الرواية، يعلمون أن جميع أصحاب الصحاح الستة للسنّة وهكذا مؤلّفى الكتب الأربعة للشيعة ايرانيون، ستة منهم من خراسان؛ هم: الشيخ الطوسى، و محمد بن اسماعيل البخارى، و مسلم بن الحجاج القشيرى النيشابورى، و ابو عبدالرحمن النسائى، و ابو داود السجستانى، و الترمذي، و البيهقى. و الشيخ محمد بن على بن الحسين بن بابو يه القمى الصدوق من قم، و الشيخ محمد بن يعقوب الكلينى من قر ية كُلين من الرّي، و ابن ماجة من قزو ين، و مئات من المشاهير غير هؤلاء كانوا من ايران.

فكبار الفلاسفة المسلمين، و المتكلمين، و المؤرخين، و اللغويين، و الشعراء، و المفسّر ين، و السياسيين، والملوك، و القادة الفاتحين كثير منهم كانوا من ايران. اليس البرامكة، و النو بختيون، و القشر يون، و الصاعديون، و السمعانيون، من ايران؟ اليس خواجة نظام الملك الطوسى، و الشيخ الطوسى، و الخواجة نصيرالدين الطوسى من ايران؟ اليس الملوك الطاهر يون، و السامانيون، و آل بو يه، و الغزنو يون، و الغور يون، و السر بدار يون، و عشرات الأسر غير هؤلاء ممن سعوا فى سبيل نشر الإسلام و حضارته كلهم من ايران؟

و اثنان من الأئمة الار بعة للسنة ايرانيان خراسانيان هما: ابوحنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى الكابلى او النسائى[١٦] و أحمد بن حنبل المتولد بمرو خراسان و ان كان قد نشأ أحدهما فى الكوفة و الآخر ببغداد العراق.

و بصورة عامة نقول: إنّ الايرانيين اسهموا كثيراً فى توطيد اصول و قواعد الادب و

---

١٦ ــ نسا: منطقة في محافظة خراسان، والآن تسمى درگز.

الثقافة و الفكر الإسلامى فى القرون الاسلامية الاولى، مما فتح الطريق أمام الأجيال التالية. و لوضوح هذا الموضوع نتوقف عن التفصيل فيه.

و فى اوائل القرن الرابع الهجري فتح المسلمون طبرستان و گيلان. و فى هذا القرن بالذات استقل الايرانيون سياسياً؛ فقد قطع السامانيون علاقتهم بالخلافة فى بغداد و استقلوا بالسلطة فى خراسان و النواحى الشرقية من ايران، و لم يكونواحتى فى فهمهم للمبانى و المعانى الدينية بحاجة الى مركز الخلافة.

النشاط الاسلامى للايرانيين فى الهند:

انّ الغزنويين هم أول اسرة ايرانية دخلت بالاسلام الى الهندعن طريق نهرالسند، و قد كانت مقاطعة «پنجاب» الكبيرة على عهد الغزنويين بايديهم و جعلوا «لاهور» و هى احدى المدن الكبيرة فى هذه الناحية مركزاً لحكومتهم. وعلى عهد هؤلاء سافرجمع من علماء ايران الى الهند منهم ابوريحان البيرونى العالم و الفيلسوف الايرانى الخراسانى. والغزنويون وان كانوا ينصرفون الى القتل والنهب اكثرمن تبليغ الاسلام ولكنهم اثروا كثيراً فى تحطيم الموانع السياسية والعسكرية فى شبه القارة الهندية أمام تبليغ الاسلام وفتحوا الطريق أمام القادمين.

... والغوريون:

و الغوريون كانوا من الغورفى هرات، وتنتهى نسبتهم الى من يُدعى «شنسب» و كان هذا قد أسلم على عهد أميرالمؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام ففوض اليه الامام امارة ناحية الغور. و كتب بعض المؤرخين يقول: حينما كان بنو أُمية يسبون عليا عليه السلام على المنائرو المنابر و كانوا يكرهون الناس على ذلک، لم يتحمل حكام غورهذا الأمر من بنى امية و لم يسيئواالأدب الى على عليه السلام.

و كان أول ملک مسلم سار بجيوشه الى الهند و فتح دهلى و جعلها عاصمة له هو السلطان محمد سام الغورى، و منذ ذلک أصبحت دهلى عاصمة دولة اسلامية و لا زالت عاصمة للملوک المسلمين حتى استعمرها الانجليز. و قد قدّم الغوريون الى الهند خدمات مهمة، و هاجر على عهدهم علماء كثيرون من ايران و استوطنوا الديار الهندية، و بدأالتبليغ بالاسلام فى الهند على عهد هؤلاء الحكام الغوريين و تأسس الكثير من المساجد و المدارس الاسلامية

على عهدهم.

وكان احد كبار العلماء الايرانيين الذين هاجروا على عهد الغوريين الى الهند الخواجة معين الدين الششتي، وقد خدم هذا الهند كثيراً وتتلمذ عليه جمع كثير اصبحوا بعده قادة وعلماء دين. ومدرسته قائمة الآن بعد مئات السنين وقبره يزار في «اجمير».

... والتيموريون:

وسار بجيوشه الى الهند أيضاً «ظهيرالدين محمد بابر» من أحفاد الأمير تيمور، وجعل دهلي مركزاً لامارته، واستمر بعده في الحكم جمع من اولاده الى اربعة قرون، وكانت المناصب الحكومية والدينية على عهدهم بيد الايرانيين وكانت العلاقات بين التيموريين والصفويين في ايران علاقات طيبة، وهاجر على عهدهم جمع كثير من ايران الى الهند من الفقهاء والمجتهدين والشعراء والعرفاء وعمل هؤلاء على نشر الإسلام في الهند كثيراً.

وكان أحد هؤلاء الذين خدموا الهند على عهد جهانگير «اعتماد الدولة ميرزا غياث بك» وكان هذا حاكم مرو من قبل شاه طهماسب الصفوي وغضب عليه الصفوي وصادر أمواله، فسافر الحاكم حتى وصل الى بلاط جلال الدين الاكبر في الهند، وزوّج ابنته نور جهان من جهانگير وأصبحت ملكة الهند.

وتزوج شاه جهان بانو بيگم حفيدة ميرزا غياث بك واصبحت ملكة الهند أيضاً. وإنّ بناية تاج محل التي تعتبر اليوم احدى الأبنية التاريخية المهمة التي ليس لها مثيل في العالم هي مقبرة هذه السيدة الايرانية ملكة الهند. وعلى عهد نورجهان وبانو بيگم ممتاز محل صاحبة مقبرة تاج محل هاجر جمع من ايران الى الهند وخدموا الإسلام نشراً وتبليغاً، وكانوا من الشيعة.

والقطب شاهيون:

ولد محمد على قطب شاه في همدان وسافر في غضارة الشباب الى الهند ولازم خدمة حاكم دكن، واستزاد في العزة والمقام يوماً بعد يوم لما كان يتمتع به من النشاط، حتى لقب بعد مدة بلقب «قطب الملك» واصبح عام ٩١٨ للهجرة حاكم منطقة دكن، وكان قطب شاه من تلامذة السيّد الشيخ صفي الدين الاردبيلي الموسوي، وحينما اعلن الشاه اسماعيل المذهب الجعفري مذهبا رسمياً للدولة في ايران، تبعه في ذلك قطب الملك في الهند وعمل على نشره والتبليغ عنه.

وسعى القطب شاهيون في دكن في سبيل تبليغ الإسلام ومذهب التشيع سعياً بليغاً، وهاجر على عهدهم جمع من ايران الى ناحية دكن من الهند وعملوا على نشر الإسلام و

التشيع. و كان احد كبار الشخصيات العلمية التى هاجرت الى الهند على عهد القطب شاهيين هو المير محمد مؤمن الاسترابادى، و استمر هذا العالم مدة خمسة و عشرين عاماً فى منصب «وكيل السلطنة» يعمل فى سبيل نشر الإسلام و التشيع الكثير، و كان يعتبر متبحّراً فى اكثر العلوم العقلية و النقلية على عهده بل أعلم العلماء فى عصره. و استمر القطب شاهيون فى الحكم على هذه المنطقة قرنين من الزمن، و لهم تاريخ فى ذلك طويل مفصّل.

.. والعادل شاهيون:

و كان مؤسس هذه الاسرة يوسف عادل شاه الايرانى الساوجى، فقد ولد فى مدينة ساوة قرب قم، وسافر الى الهند فى عنفوان الشباب و دخل فى خدمة حكام بيجاپور، وتملك السلطة فى هذه الناحية بعد مدة و عرف باسم يوسف عادل شاه الساوجى. و كان العادل شاهيون شيعة و لهم السعى الكثير فى سبيل تبليغ الإسلام و نشر التشيع فى الهند، و فتح علي عادل شاه كثيراً من مناطق الهند المركزية التى كانت بايدى الوثنيين و نشر فيها الاسلام و التشيع.

و كان فى جيشه على الدّوام جماعة من العلماء الاعلام من ايران و العراق و حتى من المدينة المنورة و كان هؤلاء يشرفون على الأمور الدينية فى العسكر و البلاط، و كان اكثر الأمور الحكومية و السياسية بايدى الايرانيين. و لهؤلاء الملوك الهنود المسلمين تاريخ طويل تعرّضت له فى كتابى: التاريخ الاسلامى للهند.

... والنظام شاهيون:

وكان مؤسس هذه الأُسرة رجلاً هنديا باسم تيمابهت اصبح أسيراً لدى المسلمين على عهد السلطان أحمد شاه البهمنى، فوجده السلطان ذاذكاء وفطنة ودهاء واستعداد وقريحة، فوهبه لابنه محمد شاه و بعثه معه الى المكتب للدراسة، فتعلم هذا الهندي الخط العربى و اللغة الفارسية فى مدة قليلة ولُقب بالملک حسن البحرى. وتوصل أخيراً الى الحكم بما يطول ذكره مما ليس محله هنا، وتشيع بعد تملكه السلطة وسعى فى نشر التشيع وتبليغ الاسلام سعياً بليغاً.

و كان اكثر رجال بلاطه وحكومته و اكثر الشخصيات الدينية لدولة النظام شاهيين من الايرانيين، و كان الايرانيون هم الذين يديرون الامور السياسية والدينية فى الدولة. و الملک شاه طاهر الهمدانى الدكنى سافر على عهد هؤلاء الى الهند، و كان هذا من مؤيدى شاه

اسماعيل الصفوى فخالفه و كاد أن يقتل على ذلک فتخفّى و دخل الهند هارباً من الصفويين، و عاش فى بلاط النظام شاهين معظماً محترماً حتى توصل الى الحكم بنفسه.

و قد خدم هذا الرجل «شاه طاهر» فى الهند خدمة هامة؛ فقد تربى على يديه علماء كثيرون فى مختلف الفنون و الفروع الاسلامية، و كانت حوزته العلمية من احدى كبريات الحوزات العلمية فى الهند. و له خدمات قيمة بحيث ينبغى أن يكتب بشأن هذا الرجل المجاهد و خدماته و جهاده كتاب مستقل مفصّل. و للنظام شاهين ايضاً تاريخ مفصّل لا يسعه الا أن يكتب فيه كتاب كبير.

... و الملوک الأوديّون:

و على عهد السلطان حسين الصفوى هاجر السيد محمد احد علماء نيشابور الى الهند و أقام بدهلى، و دخل اولاده فى سلک مناصب الدولة، و اهتمت الدّولة بهم كثيراً، حتى اصبح احد احفاد السيد محمد باسم السيد برهان الملک حاكم صوب اود من بلاد الهند، واستقل هذا هناک بعد مدة و قطع علاقاته بدهلى، و استمرّ اولاده ملوكاً بتلک الناحية.

و هاجر الى الهند على عهد هؤلاء الملوک النيشابوريين جمع كثير من نيشابور و مشهد الامام الرضاعليه السلام و سايرالمدن الخراسانية و قطنوا فى لكهنو، و كان كل اوجلّ رجال الدين و السياسة لهؤلاء الملوک خراسانيين، منهم السادة النقوية النيشابورية. و قد كان المرحوم مير حامد حسين النيشابورى صاحب «عبقات الانوار» فى ظل هؤلاء. وقد كتب لهؤلاء تواريخ فارسية فى الهند منها كتاب «تاريخ شاهيهٔ نيشابوريّة».

و حكمت طبقات اخرىٰ غيرمن ذكرنا هنا فى مقاطعات وولايات الهند: بنگاله، و بيهار، و كجرات، و برار، و پنجاب و غيرها، وسعت كل أُسرة منها فى سبيل نشر الاسلام و تبليغ التشيع الشيء الكثير. و للاسلام فى الهند تاريخ طويل ينبغى أن تتفرّغ للعمل و التحقيق فيه لجنة من العلماء و المحققين. و من حسن الحظ توفّر المصادر الكثيرة من كتب المكتبات الهندية والباكستانية الكثيرة.

الاسلام فى كشمير:

كتب المؤرخون المسلمون أن الإسلام لم يكن دخل كشمير حتى عام ٧١٥ الهجري، و فى هذا العام دخل كشمير رجل ايرانى عليه بزّة الدراويش «القولوندريين» و اخذ بالسعى و العمل فى هذه المقاطعة فى سبيل نشر الاسلام و تبليغه. و ابدى الكشميريون و الهنود عاطفة

خاصّة و اخذوا يحيطون به و يحوطونه بهالة من الكرامة.

و جاء فى تار يخ «فرشته»: كان هذا الرجل يدعى: شاه‌ميرزا، دخل الى مدينة «سرى‌نگر» على عهد سيه ديو حاكم كشمير، و تقبل على نفسه خدمة هذا الحاكم (راجه) واخذشاه ميرزاينفذالى قلب الحاكم شيئاًفشيئاً حتى توفى سيه ديو وتملك الحكم بعده ابنه رنجن فجعل شاه ميرزاوز يرأمستشاراًلديه، وهكذااقتدرالميرزاحتى ادّعى اولاده الاستقلال بالسلطة لانفسهم.

وتوفى رنجن بعد مدة و تملكت بعده زوجته، و خالفها شاه ميرزا و اولاده، حتى تزوجها و قبلته زوجاً و حاكماً و اسلمت على يديه و دعى سلطان كشمير و خطب باسمه و تلقّب بلقب «شمس الدين».

و قد نشر هذا الرجل الإسلام فى الهند و سعى كثيراً فى تبليغه و ارشاد الناس اليه و اسلم على يديه و بعده اكثر أهالى كشمير.

و ممن خدم الاسلام فى كشمير هو السيد مير على الهمداني، و هو رجل كبير من مفاخر المسلمين، و قد تتلمذ لديه الوف من الطلبة اصبح كل واحد منهم استاذاً يدرس الآخرين. و له الآن فى كشمير مزار محترم يزار و يكرم، و حينما تعبر مواكب عزاء الامام الحسين عليه السلام على مزاره تنكّس اعلامها احتراماً لهذا السيد ناشر الاسلام و التشيع.

الاسلام فى الصين:

لا يدرى بالتحقيق متى دخل الاسلام الى تخوم اراضى الصّين، إلاّ أنّ من المسلّم المقطوع به أنه دخل اليها على أيدى تجار خوارزم و سمرقند و بخارىٰ فى القرون الاولى الإسلامية. و زاد تردد الايرانيين الى الصيّن على عهد خوارزمشاه و خصوصاً علاءالدين محمد خوارزمشاه الذي استولى على تركستان. و سكن الصين بعد حملة المغول وتسلطهم على ايران جمع كثير من الايرانيين، فان جنگيزخان لما هدم مدن خراسان امر ان يذهبوا بار باب العلوم و المعارف و اصحاب الحرف و الصنائع الى الصين و مغولستان (منغوليا) كى يعلم هؤلاء أهل الصين مما يعرفون من الفنون فى ايران، فعلم الايرانيون اهل الصين الصناعة و الديانة، و هكذا تطرق الاسلام الى الصّين على أيدى الايرانيين عن طر يق الوعظ و الارشاد والنصيحة. و يدل على هذا أنّ جميع كتب الاسلام فى الصين انما كانت باللغة الفارسية فقط.

الإسلام فى جنوب شرق آسيا و افريقيا الشرقية:

ووصل الاسلام عن طريق الهند وموانئ الخليج وبحر عمان الى دول جنوب شرق آسيا و افريقيا الشرقية وجزر المحيط الهندي. ولجمع من التجار والبحارة الايرانيين سهم كبير فى وصول الاسلام الى هذه المناطق. فقد كان بعد أن هجم المغول على ايران وأبادوا المدن العامرة لهذه البلاد أن هاجر منها جمع من العلماء والتجار، فالذين كانوا فى شرق ايران هاجروا الى الهند وتوابعها، والذين كانوا فى جنوب ومركز ايران فروا عن طريق البحر الى حيث انتهى بهم المسير، واضطر رجال الجنوب من ايران والخليج و بحر عمان الذين كانت لهم معرفة بالطرق البحرية الى أن يختاروا العيش برؤوس أموالهم فى احدى النقاط النائية، او ان يفروا بفقرهم وفاقتهم الى دول جنوب آسيا. وان الايرانيين المقيمين بافريقيا الشرقية واندونيسيا اكثرهم من أهالى فارس شيراز والجنوب وعلى أي حال فقد انتشر الاسلام على أيدي هؤلاء المهاجرين من المدن البائدة، عن طريق الخطابة والوعظ والارشاد، ولهؤلاء آثار محفوظة فى جنوب شرق آسيا و افريقيا الشرقية بعد مرور قرون وسنين. وللتحقيق نحن بحاجة الى كتاب مستقل.

الإسلام فى المغرب و شمال افريقيا:

ان أهالى خراسان اطاحوا بنهضتهم البطولية بالبلاط الاموي، و حينا استقر العباسيون على اريكة الخلافة ابعدوا العرب عن مناصب الحكومة اللهم الاعدداً قليلاً من الخواص اشركوهم فى امور دولتهم الجديدة، و حيث كان ظهور دعوتهم من خراسان و على أيدى الخراسانيين فقد اوكلوا الولاية فى اكثر البلاد الى رجال خراسان، و أمّروهم فى شرق العالم آنذاك و غربه.

وحينا رجع المأمون من خراسان الى العراق صاحبه جماعة من اشراف و رجال خراسان، فاوكل المأمون اليهم الحكم فى كثير من مدن البلاد. و كان المغرب الأقصى و شمال افريقيا من المناطق التى يخافون منها على أنفسهم، اذ كانت حكومة الاندلس بايدى الأمويين فكانوا يتخوفون من الخطر الأموى من تلك الناحية. و لذلك فقد كانوا يختارون حكام مصر و افريقيا من بين رجال خراسان الذين كانوا اعداء بنى امية الالداء و الاشداء. و ذلك منذ عهد المهدى العباسى فما بعد، و على هذا العهد فقد زاد نفوذ الخراسانيين و رجال

شرق ايران فى مصر و مناطق افر يقيا الشمالية، و اصبح حفظ الحدود و الثغور الإسلامية بتلك النواحى بايدى الخراسانيين، و كان أمر الجهاد و الصلح بأيديهم. فسعت هذه الأُسر الايرانية فى المغرب الاقصى و جزر البحر الابيض المتوسط و آسيا الصغرى فى سبيل تبليغ الإسلام سعياً حثيثاً. و نحن الآن نذكر أسامي الحكام من هؤلاء من زمن المهدى العباسى حتى ظهور الفاطميين فى مصر و افر يقيا، و اليك أسماءهم:

١ ــ يحيى بن داود النيشابورى.
٢ ــ مسلمة بن يحيى الخراسانى.
٣ ــ عبّادبن محمد البلخى.
٤ ــ سري بن حكم البلخى.
٥ ــ محمدبن سرى البلخى.
٦ ــ عبدالله بن سري البلخى.
٧ ــ عبدالله بن طاهر البوشنجى.
٨ ــ عميرالبادغيسى الهروى.
٩ ــ اسحاق بن يحيى السمرقندى.
١٠ ــ عبدالواحد البوشنجى.
١١ ــ عنبسة بن اسحاق الهروى
١٢ ــ يز يدبن عبدالله.
١٣ ــ مزاحم بن خاقان.
١٤ ــ أحمد بن مزاحم.
١٥ ــ ارخوز بن اولغ.
١٦ ــ احمدبن طولون الفرغانى.
١٧ ــ خمارويه بن أحمد الفرغانى.
١٨ ــ جيش بن خمارو يه الفرغانى.
١٩ ــ هارون بن خمارو يه الفرغانى.
٢٠ ــ عيسى النوشهرى البلخى.
٢١ ــ شيبان بن أحمد الفرغانى.
٢٢ ــ محمدبن على الخلنجى.
٢٣ ــ محمدبن طغبج الفرغانى.
٢٤ ــ انوجوربن اخشيد الفرغانى.

٢٥ ــ على بن اخشيد الفرغانى.
٢٦ ــ احمد بن علي بن اخشيد.
٢٧ ــ شعلة الاخشيدى.
٢٨ ــ حسن بن عبيدالله الاخشيدى.
٢٩ ــ فاتک الاخشيدى اميرالشام.
٣٠ ــ حسين بن احمد بن رستم.

هؤلاء الثلاثون كلهم خراسانيون، و كانوا يحكمون طوال مئتي سنة على مصر و شمال افريقيا و المغرب الاقصى و سواحل البحر الابيض المتوسط و سائر الاراضي الإسلامية فى نواحى الغرب و سواحل المحيط الاطلسى، و كان نشر الشريعة و الدفاع عن حدود بلاد الاسلام و ثغور الاراضى المفتوحة فى بعض نواحى الاندلس و اوربا بأيدي هؤلاء الخراسانيين، و على عهد هؤلاء الحكام هاجر من خراسان و سائر مدن ايران عشرات من الفقهاء و المجتهدين والمفسرين و المحدثين و القضاة و الأمراء و الكتاب و السياسيين الى تلک المناطق الغربية و شيّدوا هناک قواعد العقائد و المبانى الإسلامية ممن سجّلتهم كتب العلوم و الادب و التاريخ الاسلامى لشمال افريقيا و الاندلس فى بطونها.

و سنذكر هذه الأمور بالتفصيل إن شاءالله عن المصادر المعتبرة المحفوظة فى مكتبات تونس و مراكش و التى جاء في الفهرس المخطوط عنها، فى كتاب «تاريخ خراسان ــ الكبير»[١٧]

---

١٧ ــ هذا آخر ما نقلناه عن مخطوطة الشيخ عزيز الله العطاردي حفظه الله ومصادر المقال هي: ــ
١ ــ سنا ملوك الارض والأنبياء ــ لحمزة الأصفهاني.
٢ ــ كامل التواريخ ــ لابن الأثير الجزري.
٣ ــ تاريخ فرشته ــ محمد قاسم فرشته الاسترابادي.
٤ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ــ لابن تغري بردي.
٥ ــ شاهيه نيشابوريه ــ لقاسم علي الهمداني ــ مخطوط.
٦ ــ ولاة مصر ــ للكندي.
٧ ــ طبقات شاهجهاني ــ لمحمد صادق ــ مخطوط.

ردود الفعل (*)

من أجل ان نكتشف مدى اخلاص الايرانيين للاسلام فان لنامقياساً حسناً، هو أن نرى كيف كانت ردود الفعل عند الايرانيين فى الحركات التى ظهرت فى اوائل القرن الثانى الهجرى فى مخالفة الاصول الاسلامية؟ فهل أن الايرانيين أيدوا المخالفين أم قاوموهم و ثاروا عليهم؟.

فالذي نراه فى ذلک العصر من الحركات المخالفة للإسلام ثلا ثا :

اولاهـا: حركة الزنادقة التى ظهرت فى اوائل القرن الثانى الهجرى، و كانت تخالف أساس التوحيد و سائر الاصول الاسلامية، و كانت تسعى جاهدة للتشكيک فى مبانى العقائد الاسلامية.

و ثانيتها: حركة القومية العربية التى حرّكها الأُمويون، و التى سحقت تحت قدميها أهمّ الاصول الاجتماعية فى الاسلام، و هى قوله سبحانه «انّ اكرمكم عندالله اتقاكم».

وثالثتها: اشاعة الفحشاء و المنكر و الغناء و اللهو و الطّرب بين الناس، و التى قام بها الأُمويون أيضاً و توسعت على عهد العباسيين كذلک.

هذه الحركات الثلاث ترتبط بالاصول العقائدية و الاجتماعية و الاخلاقية العملية فى الاسلام، و لا شک أن كان للايرانيين فى هذه الحركات دورٌفما كان دورهم؟

يحوم المؤرخون الاجتماعيون حول حركة الزندقة فى القرن الثانى الهجرى من جوانب مختلفة!

---

* هذا آخر ما عرَّبته من الكتاب على عهد الاستاذ الشهيد العلامة الشيخ المطهري (أعلى الله مقامه الشريف) حيث اغتيل برصاص الغدر في ظلام الليل بعد خروجه من جلسة الشورى مع اعضاء (مجلس قيادة الثورة الاسلامية) المنعقدة في بيت الاستاذ المهندس يد الله سحابي، ليلة الأربعاء الخامس من شهر جمادى الثانية عام ١٣٩٩ هـ فإنا لله وإنا اليه راجعون، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

فهم يبحثون أولاً حول كلمة الزندقة ماهي وماهي اصولها؟ فهل أن كلمة «الزنديق» معرب «زنديک»؟ ام أن أصلها شيء آخر؟ وعلى الحالين فمن هم الزنادقة؟ فهل أن الزنادقة هم أتباع مانى؟ ام كان يقصد بالزنادقة الايرانيون الباقون على دينهم القديم سواء كان الزرادشتية او المانوية او المزدكية؟ ام أن المقصود بها طبقة منكري ماوراء الطبيعة الذين كانوا بالطبع ينكرون جميع الاديان بما فيها المانوية؟.

ومن المقطوع به أن الكلمة كانت تطلق على جميع من سبق وصفهم، بل حتى على مجموعة من المسلمين المتجاهرين بالفسق والفجور المعلنين بهما الذين لايبالون بما قيل فيهم وما يقال والذين كانوا يسخرون أحياناً من المتدينين و ينثرون او ينظمون كلاماً فى ذلک كان يعد إهانةً لنفس الدين.

... فما هى سابقة الزندقة بين العرب؟ ومتى ظهرت، هذه الكلمة بينهم؟ فهل أنهم عرفوا الزندقة بعد اختلاطهم بالأمم ولا سيما الايرانيين؟ ام أنهم كانوا يعرفونها حتى قبل ظهور الاسلام؟

ويعتقد المحققون أن المعنى الاصيل لهذه الكلمة هوما كانت تستعمل فيه بادئ الأمر وهى المانوية، ثم استعملت بشأن المجوس، فالدهريين، ثم فى كل مرتدّ عن الاسلام داخل فيه بالاسم والرسم فحسب.

ومن حيث القدم يقال ان هذه الكلمة كانت موجودة قبل الاسلام بين العرب ففى كتاب «المعارف لابن قتيبة» و «الاعلاق النفيسة لابن رسته»: أن قريشاً كانت قد عرفت هذه الكلمة ومعناها عن طريق عرب الحيرة قبل الاسلام.

وعلى أي حال، فهناک قائمة أسماء من القرون الاولى الاسلامية بعضها عربية و اخرى ايرانية، يتهم اصحابها بالزندقة، من قبيل:

ابوشاكر الديصانى، ابونؤاس، ابومسلم الخراسانى، ابن الراوندى، ابن مناذر، البرامكة، افشين، بشار بن برد، حماد عجرد، حماد الراوية، حمادبن زبرقان، حسين بن عبدالله ابن عبيدالله بن العباس، داود بن على. صالح بن عبد القدوس. عبدالكريم بن أبي العوجاء، عبدالله بن المقفع، على بن الخليل، عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، مطيع بن اياس. يونس بن أبى فروة، يحيى بن زياد، يزيدبن الفيض، يعقوب بن الفضل بن عبدالرحمان المطلبى، الوليدبن يزيد بن عبدالملک بن مروان بن أبي العاص بن أُمية..

فبعض أصحاب هذه الاسماء ــ كعبد الكريم بن ابي العوجاء ــ كانوا ينكرون ماوراء الطبيعة قطعاً، فلا شک فى أن هذا الرجل ــ حسب أحاديث الشيعة فى محاجته مع الائمة الاطهار و أصحاب الائمة عليهم السلام ــ كان ينكر ماوراء المادة و الطبيعة، فلا شک فى زندقة بعض هؤلاء، و لنا الشک القوى فى زندقة آخرين منهم.

و القرائن تدلنا على ان ظهور جماعة من الزنادقة بمعنى المانوية و الثنوية القائلين بوجود الهين اثنين: نور و ظلمة، او بمعنى الدهريين و منكرى ماوراء المادة و الطبيعة؛ اصبح مستمسكاً لرجال السياسة و بعض اصحاب النفوذ كى يحطموا اعداءهم بهذه الحجة الدينية، و لهذا فلايمكن الاعتماد على زندقة جميع من اتهم بها، ولا سيما ونحن نرى بين المتهمين من يعرف بالبروالزهد و الوفاء للاسلام، و أن بينهم من هو من شيعة أهل البيت و اعداء الخلفاء، و من الطبيعى أن يتهم هؤلاء بكل شيء من قبل جهاز الخلافة.

و بين هؤلاء من اتهم بالزندقة لاشتغاله بالعلوم العقلية: فقد قال ابن النديم فى الفهرست فى ترجمة ابى زيد أحمد بن سهل البلخى: «و كان يُرمى ابوزيد بالالحاد» ثم يروى عن أحد أصدقائه أنه كان يقول فيه: «هذا الرجل مظلوم ــ يعنى ابا زيد ــ و هو موحد، انا اعرف به من غيرى، و انا نشأنا معاً و انما اتى من المنطق، و قد قرأنا المنطق و ما آلحدنا بحمدالله»[18].

و فى الاغانى لابى الفرج الاصبهانى فى ترجمة حميدبن سعيد المعتزلي المعاصر لابن أبى داود قاضى القضاة على عهدالمعتصم «كان حميد بن سعيد و جهاً من وجوه المعتزلة فخالف أحمدبن أبى داود فى بعض مذهبه، فاغرى المعتصم بأنه شعوبي زنديق»[19].

«و يروى عن رجل فى ابن مناذر أنه كان ذكر ابن مناذر فى حلقة يونس فقدح فيه اكثر أهل الحلقة حتى نسبوه الى الزندقة فلما صرت فى السقيفة التى فى مقدم المسجد سمعت قراءة قريبة من حائط القبلة فدنوت فاذا ابن مناذر قائم يصلى فرجعت الى الحلقة فقلت لاعلاقة للرجل بما قلتم وها هو قائم يصلّى حيث لايراه الا الله»[20].

و اتهم افشين بالزندقة، و يرى بعض المؤرخين أن الزندقة كانت تهمة الصقها به نظراؤه السياسيون.

و عادى ابن المقفع كل من الخليفة العباسي منصورالدوانيق و حاكمه على البصرة سفيان بن معاوية المهلبى، و اخيراً قتله سفيان بأمر سرى من الخليفة ثم اتهموه بالزندقة، و كان ابن المقفع عالماً نقل كتب مانى و غيره الى العربية، و يبدو من بعض ما كتبه أنه كان قد اخلص للاسلام. و من الواضح أن نقل كتب مانى الى العربية او حتى الاشتراك و الحضور فى بعض حلقات المانويين لايصبح دليلاً كافياً على زندقة ابن المقفّع.

---

١٨ ــ الفهرست: ص: ١٩٨. ط. مصر.

١٩ ــ الأغاني. ج ١: ص: ١٧.

٢٠ ــ الاغاني: ج ١٧، ص: ٢٩.

يقال: ان الاصمعي كان يمدح البرامكة ويثني عليهم أيام عزتهم، فلما افلت نجمة البرامكة هجاهم واتهمهم بالزندقة.

ويعتبر المهدي العباسي بطل مكافحة الزندقة، فهو الذي قتل عدداً كبيراً منهم وادّعى أنّ جدّه العباس بن عبدالمطلب امره في الرؤيا بقتلهم. وكان بشار بن برد في بلاط المهدي وصديقاً له، ومع اشتهاره بالزندقة على عمرناهز الثمانين لم يكن المهدي يتعرض له بسوء، بل كان يحاول تأويل اقاويل شاعره العزيز، حتى دخل بشار في حريم سياسة المهدي وهجاه في رباعية يخاطب بها بني امية، وحينئذٍ ثارت غيرة المهدي على زندقة ابن برد وأمر أن يجلد بالسياط فجلد حتى مات!.

والآن لنر ما هي ردود الفعل لدى الايرانيين المسلمين أمام حركة الزندقة والزنادقة؟

للاجابة نقول: إن حركة الزندقة كانت تنسب الى عدد من الايرانيين المتظاهرين بالاسلام، ومع ذلك فنحن لا نرى أنها تفشو بين الايرانيين بل نرى أن الايرانيين قاوموها أشد مقاومة، في ناحيتين: كلامية من قبل متكلمي المسلمين الايرانيين، وفقهية من قبل فقهاء المسلمين الايرانيين أيضاً.

فالعراق كما نعلم كان هو المركز الاكبر لتجمع الايرانيين المسلمين وفقهائهم، ونرى أن فقهاء العراق كانت ردود الفعل عندهم على الزندقة والزنادقة أشد من سائر الفقهاء[٢١]

فقد كان ابوحنيفة واصحابه ايرانيين على خلاف الشافعي وأصحابه، وكانت فتوى الشافعي بشأن الزنادقة اقل وطأة من فتوى الاحناف، ففي باب قبول توبة المرتدّ مسألة اختلف فيها الفقهاء، فمنهم من لا يفرق بين المرتد والزنديق في قبول توبتهما، والشافعي من هؤلاء، والفريق الآخر يقول بعدم قبول توبة المرتد، وابوحنيفة من هؤلاء في احد قوليه. وقيل انّ اصحاب أبي حنيفة كانوا يفتون بعدم قبول توبة الزنادقة جازمين بذلك اقوى جزم

---

٢١ ــ نقصد بالفقهاء هنا فقهاء السنة. ولقد كان رد الفعل عند علماء الشيعة الايرانيين شديداً أيضا، فالشيخ الطوسي محمدبن الحسن الخراساني المتوفى ٤٦٠ هـ عنون هذه المسألة في كتاب المرتد من المجلد الثاني من كتاب «الخلاف في الفقه» وهويفرق بين المرتد والزنديق ويقول في الفرق بينهما: (الزنديق: هو الذي يظهر الاسلام ويبطن الكفر. فإذا تاب وقال تركت الزندقة، روى أصحابنا: أنه لا تقبل توبته: لأنه دين مكتوم...). وما أظهره من التوبة لم يدل دليل على اسقاط القتل عنه ــ فإن قتله بالزندقة واجب بلا خلاف ــ وأيضا فإن مذهبه إظهار الاسلام فاذا طالبته بالتوبة فقد طالبته بإظهار ما هو مظهر له، فكيف يكون إظهار دينه توبة له؟ والمرتد على ضربين: أحدهما ولد على فطرة الاسلام من بين المسلمين، فمتى ارتد وجب قتله ولا تقبل توبته. والآخر: كان كافرا فأسلم ثم ارتد: فهذا يستتاب، فإن تاب، وإلاّ وجب قتله..) (الخلاف: ج ٢، ص: ٤٣٤).

من فتوى شيخهم أبى حنيفة. وعرفت هذه الفتوى ردّ فعل شديد من قبل الايرانيين بالنسبة الى الزنادقة المنسوبين اليهم.

اما الحركة الثانية، اى التميز العنصرى و المفاخرات القومية التى كانت ضدّ اصل المساواة الاسلامية؛ فقد وجدت هذه التحريفة على أيدى العرب، اذ كانت سياسة الأُمويين مبنية على اصل تقدم العرب على غيرهم فى الدولة الإسلامية!

و كان معاوية قد كتب الى عماله يأمرهم بأن يفضلوا العرب على غيرهم فى كل شيء. فكانت هذه السياسة ضربة قاضية على الهيكل الاسلامى، اذ أصبحت هى أساس انقسام الدولة الاسلامية الكبرى الى دويلات صغار، فان الأُمم لم تكن تتحمّل تفوق امّة اخرى و قيمومتها عليها. و كان الايرانيون قد قبلوا الاسلام ديناً لهم ولم يكونوا يقبلون العرب أسياداً عليهم، بل انما كانت الامم ترحب بالاسلام ــ بالاضافة الى سائر مزاياه ــ لتجرّده من اى لون قومى اوصبغة عنصرية، فهو بذلك كان ديناً انسانياً عالمياً. و لم يكن الايرانيون ــ و هكذا سائر المسلمين ــ يقبلون سيادة العرب على انفسهم أبداً.

و كان اول ردّ فعل ابداه الايرانيون أمام هذه التميزات ردّاً انسانياً منطقياً؛ اذ انهم دعوا العرب الى العمل بكتاب الله، و صدق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اذ قال: «ليضربنّكم والله على الدّين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً»[٢٢].

ان الدعوة التى قام بها الايرانيون فى صدر الاسلام كانت دعوة الى المساواة الإسلامية لا تفضيل العجم على العرب كما يقال.

كما أن ثورة أصحاب الرايات السود الخراسانية ضدّ الظلم و التميزات الأُموية بدأت باسم الاسلام و العدالة الاسلامية لا باسم آخر فدعاة و نقباء العباسيين الذين كانوا يدعون الناس سراً كانوا يدعونهم الى الرضا من آل محمد و الى العدالة الاسلامية، و الراية التى وصلت الى الخراسانيين من قبل صاحب الدعوة كانت سوداء قد كتب عليها هذه الآية المباركة «اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و ان الله على نصرهم لقدير».

و كانت الدعوة قد بدأت من دون شعار سوى الشعارات الاسلامية المقدسة و من دون اي اسم سوى عنوان أهل البيت و آل محمد و القرآن و الاسلام، و بدون أن يكون هناك تصريح باسم آل العباس او حتى باسم أبى مسلم الخراسانى او القومية الايرانية او اي اسم آخر، ثم جعل ابومسلم اماماً عليهم من قبل ابراهيم، فى احد أسفار الدعاة العباسيين الى

---

٢٢ ــ كتاب «الغارات» لأبي إسحق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي المتوفى ٢٨٣ هـ. ص: ٤٩٩ ج ٢. بتحقيق المتحدث الأرموي.

مكة بعنوان الحج و لقائهم بابراهيم الامام عين ابومسلم اماماً لاهل خراسان من دون أن يعلم من هو؟ و من أين هو؟ و هل هو عربي ام ايراني؟ ولكنه لظهوره في خراسان لقب بالخراساني.

اجل حاول بعض المؤرخين الايرانيين أن يحسبوا التقدم و الموفقية التي حصلت لثورة اصحاب الرايات السود رهناً لشخصية أبي مسلم الخراساني. و نحن لا نشك في أن أبا مسلم كان قائداً محنكاً لائقاً، الا أن الذي مهّد الأرضية لم يكن هو ابومسلم بل هو ماقلناه. ولهذا يروى أن أبا مسلم حينما عاتبه المنصور اخذيتكلم عن خدماته في سبيل استقرار الخلافة العباسية و حاول أن يهدّئ المنصور بتذكيره بخدماته في هذا السبيل. فأجابه المنصور: لوكان الداعي الى هذا الأمر أمة من الاماء لأُجيبت، ولو كنت أردت أن تدعو الناس انت وحدك الى هذا الأمر لما كان يجيبك اليه احد! و كلام المنصور هذا و ان كان فيه شيء من المبالغة الا أنه حقيقة على اى حال، و ليس أدل على هذا مما فعله المنصور به اذ قتله و هو في قمة انتصاراته و لم تقم لقتله أية قائمة!

ان العباسيين انما أصبحواقادة ثورة الايرانيين بما كانوا يؤججون فيهم من الأحاسيس الاسلامية، و حينما كانوا يتلون آية «اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا» فيعدّدون مظالم بني امية كانوايحدثونهم عن ظلمهم لآل محمد اكثر من أن يذكّروهم بظلمهم للايرانيين!

و في سنة ١٢٩ و يوم عيدالفطر اعلن اصحاب الرايات السود ثورتهم، اعلنوها ضمن خطبة صلاة العيد، وقد صلاها بهم رجل يدعى سليمان بن كثيروكان عربياً من دعاة بني العباس، وكان شعارهم يوم ذاك هذه الآية الكريمة: «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، انّ اكرمكم عندالله اتقاكم» فكانت هذه الآية تبين شطراً من اهدافهم. ولوجود كلمة «شعوباً» في هذه الآية وكونها ــ كما قال المفسّرون ــ تعني المجتمعات غير القبلية، سمى الايرانيون الدعاة الى المساواة الاسلامية ونبذ التميزات، سمّوا «شعوبيين».

إنّ ردّ الفعل هذا لتلك التحريفة العربية كان ردّاً اسلامياً مئة بالمئة، و كان هذا علامة على علاقة الايرانيين الصادقة بالاسلام ديناً و عقيدة، اذ لولم يكونوا مخلصين للاسلام لكان يكفيهم أن يعتمدوا على قوميتهم و تاريخهم كالعرب، و لو كانوا يفعلون هذا لكانوا يتقدمون في دعواهم على اخوانهم العرب قطعاً، اذ أن ما تفخر به العنصرية الايرانية اكثر من العرب قطعاً. و لكنهم لم يفعلوا هذا بل انما لجأوا من ضيم القومية العربية الى ظل الإسلام العادل لا الى اى شيء آخر.

و لا ننكر أن حركة الشعوبية انحرفت عن مسيرتها الاولى الصحيحة و أنها وقعت فيما كانت القومية العربية قد وقعت فيه من حبائل الشيطان أي في مجرى المفاخرات القومية و

العنصرية، و أن العنصر الايرانى يفضل العناصر الاخرى و لا سيما العربية، بل تجاوزت احياناً هذه الحدود العنصرية الى حدّ الزندقة و الالحاد.

لكن ما أن بلغت الشعوبية هذه المرحلة حتى انفصلت عنها عامة المسلمين الايرانيين بما فيهم بعض العلماء المتقين وحكمت عليها بالانحراف واستنكرتها، وهذا يعنى أننا نواجه هنا من الايرانيين أمام هذه الانحرافة منهم ــ التى بدأت غيرمنحرفة ــ، بردّ فعل اسلامى يتبرأ من هذه التحريفة عن الإسلام. ولقد كان هذا الرّد العنيف هو السبب فى هزيمة هذه الحركة الشعوبية، ولو كان الايرانيون يحافظون على المسيرة الصحيحة لهذه الحركة لكانوا يخدمون بدعوتهم تلك انفسهم خاصة ومسلمى العالم عامة.

و قد تأسف بعض الايرانيين من هذه التحريفة فى دعوة الشعوبية و رآها خطراً على الاسلام حتى انه برغم قوميته الايرانية اخذ يتعصب للعرب كرّد فعل للتحريفة! و هذا من عجائب التاريخ و من علائم تأثرهم العميق بالاسلام.

فلقد كان الزمخشرى صاحب كتاب «الكشاف» من اكابر علماء ايران و من نوادر الايام، و كان اصله من أهل خوارزم بخراسان، و انما لقّب «جارالله» لجواره بيت الله الحرام، و نراه يبدأ كتابه «المفصّل فى الصرف و النحو» بخطبة يقول فيها:

«الله أحمد على أن جعلنى من علماء العربية و جبلنى على الغضب للعرب و العصبية، و أبى لى أن اتفرّد عن صميم انصارهم و امتاز و انضوى الى لفيف (الشعوبية) و انحاز، و عصمنى من مذهبهم الذى لم يجد عليهم الاّ الرّشق بالسنة اللاعنين و المشق بألسنة الطاعنين»

و يعلم من العبارة الاخيرة أن الشعوبية كانت قد اصبحت مردودة بنظر الايرانيين انفسهم الى درجة أن لم يكن يحصل داعيها على شىء سوى اللعن و الملام!

و الثعالبى النيسابورى صاحب كتاب «يتيمة الدهر فى محاسن ادباء أهل العصر» المتوفى ٤٢٩ هجرية، الذى كان من اكابر مفاخر العلماء المسلمين الايرانيين، نجده فى مقدمة كتابه «سرّ الادب فى مجارى كلام العرب» يكرس قلمه لاصدار الشعار و الهتاف لحماية العرب ضد الشعوبية، و يتكلم عن تقدم العرب على غيرهم كعربى متعصب تماماً، فهو بعد الحمد و الثناء على الله و الرسول يقول: «فانّ من أحبّ الله تعالى أحبّ رسوله محمداً المصطفى صلى الله عليه و آله، و من أحبّ الرسول احبّ العرب، و من أحبّ العرب أحبّ اللغة العربية التى نزل بها افضل الكتب على افضل العرب و العجم، و من احبّ اللغة العربية عُنى بها و ثابر عليها، و صرف همه اليها، و من هداه الله للاسلام و شرح صدره للايمان وآتاه قوة بصيرة و حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً صلوات الله عليه خير الرسل، والاسلام خير الملل و العرب

خير الأُمم، و العربية خير اللغات و الالسنة»[٢٣].

و ان نظرة الثعالبي فى تقديم العرب على غيرهم فى الإسلام نظرة خاطئة؛ اذ لا ملازمة بين الايمان بالاسلام ديناً و بين تقديم و تفضيل العرب قومياً، بل العكس هو الصحيح، اذ انّ هذه الفكرة تنا فى الايمان بالاسلام، فالملازمة الصحيحة هى بين الايمان بالاسلام و الايمان بعدم تقدم اى قوم على اى قوم آخرين مهما وكيفما كانوا؛ فان الفضل بحكم القرآن اما بالعلم لقوله سبحانه: «هل يستوى الذين يعلمون و الذين لايعلمون» او بالتقوى لقوله سبحانه: «ان اكرمكم عندالله اتقاكم» او بالجهاد و العمل فى سبيل الله لقوله سبحانه: «فضّل اللّه المجاهدين على القاعدين اجراً عظيماً». و الحبّ للعربية ليس فرعاً لحبّ العرب على رغم دعوى الثعالبى و صغراه و كبراه؛ بل هو فى العلاقة بالقرآن الكريم و الرسول العظيم... و لكن هذه المبالغة الثعالبية انما هى ردّة فعل المبالغة الشعوبية.

و ابو عبيدة معمّر بن المثنى المتكلم المعروف فى القرن الثانى الهجرى، ايرانى يتعصّب للعرب و ينتقص العجم، و له كتاب يدعى «مقاتل فرسان العرب».

و يعارضه على بن الحسين المسعودى المؤرخ العربى الشهير صاحب كتاب «مروج الذهب و معادن الجوهر» و كتاب «التنبيه و الاشراف» من احفاد عبدالله بن مسعود الصحابى الجليل، و المتوفى فى اوائل القرن الخامس اى فى سنة ٤٣٦ هـ يعارض أباعبيدة فى كتابه «مقاتل فرسان العجم» و يقول فى كتابه «التنبيه و الإشراف» فى ذكر ملوك ساسان: «.. و قد أتينا على خبره و سبب مقتله و مقتل غيره من فرسان الفرس و شجعانهم على طبقاتهم من الملوك و غيرهم، ممن اجمع على تقدمه و فضله و شجاعته و مقاماته المشهورة و ايامه المذكورة، فى كتاب لنا ترجمناه بكتاب (مقاتل فرسان العجم) معارضة لكتاب أبى عبيدة معمر بن المثنى فى (مقاتل فرسان العرب)»[٢٤].

فالمسعودى العربى يرى أن أبا عبيدة لم ينصف العجم ولذلك يردّه بكتاب! وهذا أيضاً من عجائب الاسلام.

وليس هدفنا هنا التحقيق الكامل فى ماهية الشعوبية وردود الفعل الموافقة والمخالفة التى ظهرت وانقرضت، فلهذا العمل فرص اخرى. بل نهدف أن نقول: ان الشعوبية كانت ــ ابتداءً ــ نهضة نظيفة وردّ فعل جميلاً من الايرانيين امام التمييزات العنصرية العربية، فلما انحرفت هى عن مسيرتها الاصلية بأقاويل اقلية ايرانية واصطبغت هى بصبغة قومية ايرانية بل

---

٢٣ ــ سرالارب في مجاري كلام العرب للثعالبي النيسابوري ص ١ ط طهران ١٢٧٢هـ.

٢٤ ــ التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٨٩ ــ ٩٠ ط بيروت ١٣٨٨ هـ.

تلونت أحياناً بصبغة الزندقة ولون الالحاد عوضاً عن الإسلام، حكم عليها بالرّد والاستنكار من قبل عامة الايرانيين وعلمائهم المتقين وقد انقرضت منذ الف سنة مضت! وان كان الاستعمار الكافر اليوم يحاول احياء هذا الميت! ولكنه لن يوفّق ان شاء الله!.

و ثالثة الحركات المنحرفة ضدّ الإسلام فى الصدر الاول، التى قاومها الايرانيون اكثر من سائر الأمم الاسلامية الاخرى؛ هي حركة اشاعة الفحشاء و المنكر و الغناء و البغى.

و قد كان للغناء و الموسيقى فى ايران سابقة عهد طويل، و كان للايرانيين أنس شديد باللهو و الطرب. فقد كتب مشيرالدولة فى كتابه «تار يخ ايران» يقول: «ان بهرام غور جاء من الهند باثنى عشر الف مغنية و راقصة و مطربة...» و نقل الدكتور أحمد أمين فى «فجر الإسلام» عن تار يخ حمزة الاصفهانى: أن بهرام غور كان قد أمر الناس أن يعملوا نصف النهار و يقضوا النصف الآخر فى العيش والطرب وأن يشربوا الخمورو يعزفوا انغام اصوات الموسيقى! و لهذا فقد علا مقام المغنّين. فقد مرّ يوماً بجماعة يتعاطون الخمرة و لا مغنّى لهم، فسألهم: أين المغنّى؟ فقالوا: طلبناه فلم نجده لغلائهم. فكتب بهرام الى ملك الهند و طلب منه المغنّين، فجاءه اثنا عشر الف مغنٍ ومطرب و راقص، ففرّقهم بهرام فى بلدان ايران!...

و لم يكن يتعرف العرب من الغناء و الموسيقى إلاعلى صوره البسيطة الساذجة، و لكنهم بعد اختلاطهم باخوانهم العجم انتشر فيهم الغناء و اللهو بصورة سر يعة، حتى أن الحجاز تقدمت فى كثرة تعاطيه على العراق و الشام، حتى اصبح الحجاز فى النصف الثانى من القرن الاول الهجرى مركز الفقه و الحديث و اللهو و الموسيقى! و ذلک لأن الأُمراء و الحكام و اصحاب النفوذ الامويين كانوا يشيعون الفاحشة هذه بشكل فاضح! و خالفهم أئمة أهل البيت عليهم السلام مخالفة شديدة انعكست آثارها فى آثارهم من الحديث و الفقه!

و اذا تجاوزنا الأئمة الاطهار عليهم السلام و اردنا أن نحقق الموضوع فى مستوى عامة الناس، رأينا أن عامة المسلمين الايرانيين و العلماء الايرانيين مع ما كان لاسلافهم من السوابق فى تعاطي الغناء و الطرب قد قاوموا انتشار هذه الانحرافة و خالفوها اكثر من عامة العرب و العلماء العرب!

فقد كتبوا بشأن مالک بن أنس الامام المعروف لمذهب المالكية ــ وهوعربى فى حسبه ونسبه ــ انه أراد أن يشتغل بالغناء والطرب فمنعته امه و قالت: «يابنى! ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه! فدع الغناء و اطلب الفقه، فانه لا يضر معه قبح الوجه» يقول مالک: «فتركت المغنين و اتبعت الفقهاء، فبلغ الله بى ما ترى»[٢٥]

---

٢٥ ــ بالفارسية (تاريخ ايران) لمشير الدولة. ص ٢٠١.

و كتب أحمد أمين يقول: «و الحق أن الحجاز كان غنياً بفنّى الغناء و المنادرة، كما كان غنياً بالفقه و الحديث، و كان اكثر المغنّين فى قصور امراء بنى امية و خلفائهم ممن تخرّجوا فى مدرسة الحجاز. و ليس عجيباً أن يكثر الفقه و الحديث فى الحجاز، لما بيّنا، انما كان عجيباً أن يبزّ الحجاز العراق و الشام فى الغناء و ما اليه، فقد كان اقرب الى الذهن أن يكون العراق وارث المدنيات المتتابعة، او الشام و قد تحضّر بحضارة الرومانيين، أسبق من الحجاز في اجادة الغناء و ما يحيط به من لهو و مجون والحجاز ــ كما قدّمنا ــ اقرب الى البداوة، و هو اذا قورن بالعراق او الشام كان فقيراً مجدباً، فما السّر فى ذلك؟» ثم قال: «حتى لقد كان فقهاء الحجاز اوسع صدراً واكثر تسامحاً فى الغناء والمجون من أهل العراق. وقد رأينا قبلاً أن ما لأهل العراق من تشدّد فى الدين كان وليد الفرس»[٢٦].

و الذى يدعو للتأمل هو أن الايرانيين كانوا اهل غناء و طرب و لهم فى الموسيقى سابقة عهد طويل، و الحال هذا يقتضى أن يكونوا هم الذين يحاولون تأويل حرمة الغناء او أن يتسامحوا فى ذلك؛ هذا اولاً. وثانياً: ان الغناء و اللهو انما انتشر فى الحجاز على ايدى المغنين الايرانيين، فاكثر المغنين المعروفين لذلك العهد كانوا من الايرانيين،[٢٧] و مع ذلك نرى أن الايرانيين كانوا اورع من غيرهم عن الطرب ما عدا هؤلاء المطربين المأجورين!

طبعاً كان هذا يتبع الاجواء الدينية للكوفة اذ ذاك، والاّ فقد كان للاجواء غير الدينية كبلاط هارون الرشيد و البرامكة شأن آخر.

تبليغ الاسلام و نشره:

ان مسألة انتشار الاسلام فى العالم و علله و كيفياته، لهى مسألة مهمّة و جديرة بالاهتمام. و من البد هى أن فطرية هذا الدين و مطابقته للمنطق و مواكبته لسنن الحياة

---

٢٦ ــ فجرالاسلام. ص: ١٧٧.

٢٧ ــ يعلم هذا بمراجعة موسوعة (الاغاني) لأبي الفَرج الاصبَهاني، وللمثال نأتي بأسماء بعض مشاهيرهم: ابن مزن المدني(الأغاني ١:١٥٧)، وحنين الحجازي، وابومنبه الشامي (الاغاني ٢:١١٩) وداودبن سلم (الاغاني ٥: ١٣٧) واسحاق الموصلي وابنه ابراهيم.

ومن الفقهاء والمحدثين بالحجاز المتعاطين له: عبدالله بن المبارک، وابن جريج (الاغاني ١: ١٥٧) وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة احدالفقهاء السبعة (الاغاني ٨: ٩٦) وعبيدالله بن عمر العمري، وسعيدبن المسيب ايضا من الفقهاء السبعة (الاغاني ١٧: ١٢١). وسعيدبن المسيب وعبدالله بن المبارک ينكران علىٰ اهل العراق تشددهم في الغناء وتجويزهم للحداء والرجز (الاغاني ١: ١٥٧و١٧: ١٢١).

كانت عوامل أساسية فى انتشار الإسلام.

و يتشبّث المبشرون المسيحيون بحروب صدر الإسلام فيعلنون أن عامل التوسع فى الاسلام هو الاجبار و الاكراه! و نحن نعلم أن لولم يكن فى جوهر دعوة دينية القدرة على الاقناع فمن المحال أن تكون القوة قادرة على خلق الايمان و الاحساس الديني. اجل لقد وقعت حروب فى صدر الإسلام، فالإسلام دين اجتماعى لم يتعهد بسعادة الفرد فقط بل تعهدبسعادة الدنيا و الآخرة للمجتمع البشرى، ولذلک فهو يرى أنّ شعار «ما لقيصر لقيصر وما للّه للّه» شعارخاطئ، و لهذا فقد قرّر الجهاد. و لكن ينبغى لنا أن نرى ما هو هدف الإسلام من الجهاد؟ و من كان يحارب المسلمون فى صدر الإسلام؟ و أن تلک الحروب من اطلقت؟ و من قيدّت او اسقطت؟

و الى أين تقدم المجاهدون بجهادهم؟ و ما هى تلک المناطق التى لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ولا حراب؟ فما اكثر تلک المناطق التى لم تحصل فيها الحرب، وان اكثر البلاد الاسلامية والتى يعيش فيها المسلمون بأقلية لم تطأها أقدام جنود الإسلام.

ان انتشار الإسلام تحقق بصورة طبيعية وعادية. وقد شرحنا فى القسم الاول من الكتاب كيف ان الايرانيين تقبّلوا الدخول فى الإسلام بصورة تدريجية و لا سيما بعد أفول سيادة العرب السياسية على ايران، وأن الزرادشتية انما انكسرت وانهزمت امام الإسلام فى قرون كان الايرانيون قد استعادوا استقلالهم السياسي، فلم تكن هناک اية قوة قادرة على قسر الايرانيين بترک دينهم السابق.

و المسألة المهمة التى تميز انتشار الدعوة الإسلامية عن المسيحية و المانوية و سائر الدعوات التى كان لها ايضاً انتشار سريع، هى أن الذى قام بتبليغ الاسلام هم عامة المسلمين و ليس جهازاً خاصاً للدعاية، فعموم المسلمين بتأثير من البواعث الوجدانية قاموا بنشر الاسلام و تبليغه، من دون أن يكون ذلک تكليفاً محولاً عليهم من قبل جهاز دينى او غير ذلک. وهذا هو الذى يمنح الإسلام ميزة خاصة فائقة، حتى لا يبقى نظير له في هذه الناحية.

و نحن لانستطيع هنا أن نعدّ الاراضى الإسلامية واحدة واحدة فنحقق فى كيفية عوامل نشر الاسلام فيها، فان هذا العمل خارج عن أهداف الكتاب اولاً، و هو يحتاج الى فرصة للتتبع الاكثر. بل نحن هنا نحقق فى دور الايرانيين فى تبليغ الاسلام و نشره، و هو دور كبير يصلح لأن يكون نموذجاً جيداً لنشر الاسلام فى العالم.

يقرب عدد المسلمين اليوم طبقاً للاحصائيات الاخيرة الى تسعمئة مليون مسلم[٢٨] و

---

٢٨ ــ والاحصائية الأخيرة تبلغ بهذا العدد الى المليارد من النفوس ــ المعرّب.

يقرب عدد الايرانيين الى خمسة وعشرين مليونا[29] وهؤلاء الذين هم الآن اقل من ثلاثين مليونا[30] لهم الأثر الأكبر في اسلام اكثر من نصف مسلمي العالم، ولا أقل من أن تكون احدى مقدمات و مبادئ اسلامهم دعوة اسلامية من المسلمين الايرانيين.

فاليوم يعيش اكثر من نصف مسلمي العالم في الهند و باكستان واندونيسيا، و نتساءل: كيف اسلم أهالي هذه البلاد النائية؟ وهل للايرانيين نصيب في اسلام هذه المناطق؟ ولنبدأ من اندونيسيا:

كتب صاحب كتاب نهضة اندونيسيا في فصل «الدين في اندونيسيا» يقول: «وقد تحقق نفوذ الإسلام الى اندونيسيا بنفس الطريقة التي بناها لسائر الاديان (البوذية و الهندوكية) غير أن انتشار الاسلام قد تحقق لاول مرة على يد تاجرين عربيين من عنصر ايراني باسم عبدالله العريف و برهان الدين الشاگردوي، اللذين كانا من التجار المقيمين بكجرات في الجنوب الغربي من الهند، فهذان التاجران اللذان كانا يترددان الى جنوب شرقي آسياهما اللذان نشرا معارف الإسلام وثقافته العالية في منطقة عملهما»[31]

و كتب يقول: «ان السعي العلني للمسلمين في سوماطرة و الذي كان قد سرى الى جاوة و كاليمنتان ادّى الى اختلاف شديد بين الناس المسلمين و الحكومة الدينية البوذية في القرنين الثالث عشر و الرابع عشر الميلاديين[32] و أدت هذه الاختلافات أخيراً الى سقوط امبراطورية «موجوپا هيت» و عرفت اندونيسيا مركزاً لتبليغ الاسلام في جنوب شرقي آسيا لمدة قرن من الزمان. و كان هذا من أثر الاصول الاخلاقية و الروحية الاسلامية المبنية على المحبة و الامانة و العداله و الاخوة و المساواة و سائر الملكات الفاضلة، و كانت هذه الخصائص ملائمة لطبيعة الناس المحليين و عاداتهم القديمة، فكان أن استقبلوا هذا الدين الجديد برحابة صدورهم بعد أن كانوا أتباع بوذامئات الاعوام! و على اثر تقدم الاسلام تقهقرت المذاهب و المعارف البرهمية الى المناطق الجبلية و القرى و الارياف في شرقي جاوه، وهنا امتزجت العقائد و التقاليد البوذية بعقائد وتقاليد أهالي هذه الأماكن، الا أن الإسلام كان في تقدم دائم لا يعرض في مكان الا و يحتوي ويحتوي سائر المذاهب المحلية و يجعلها تحت نفوذه[33].

---

۲۹ ــ والاحصائيات الاخيرة تبلغ بهذا العدد إلى اكثر من خمسة وثلاثين مليونا ــ المعرّب.

۳۰ ــ بل اليوم هم اقل من اربعين مليونا بقليل ــ المعرّب.

۳۱ ــ بالفارسية: رستاخيز اندونيسيا ص: ۳۰.

۳۲ ــ كان اكثر الناس في اندونيسيا من القرن السابع الى القرن الرابع عشر الميلادي بوذيين والحكومة بوذية.

۳۳ ــ رستاخيز اندونيسيا ــ بالفارسية، ص: ۳۱ ــ ۳۲.

وكتب المؤلف يقول: «ان الدكتور سوكارنو كان يقول في خطابه: ان الشرف و الصدق والمساواة والأمانة.. هي الخصال التي جاء بها الاسلام هدية لشعب اندونيسيا»[٣٤].

وجاء في كتاب «الاسلام صراط مستقيم» بقلم جمع من علماء مختلف الدول الاسلامية مقال بعنوان «الاسلام في اندونيسيا» بقلم ب.ا ــ حسين جاجا ونينگرات استاذ العلوم الاسلامية بكلية الآداب في اندونيسيا، يقول:

«انّ اقدم سند تاريخي موجود بأيدينا يذكر فيه انتشار الاسلام في اندونيسيا هي الخواطر والذكريات السفرية لماركو پولو توقف ــ أثناء رجوعه في عام ٦٩٢ للهجرة، من بلاط «قوبلاي» الصيني الى «فينيسيا» في ايطاليا ــ في نواحي پالارك (شمال سواحل سوماطرة فشاهد أنّ كثيراً من أهالي تلك المناطق قد اعتنقوا الاسلام تأثراً بدعوة التجار القادمين اليهم من «ساراسين»..

والرحالة المراكشي الشهير ابن بطوطة المتوفى ٧٧٩ هـ في طريقه الى الصين عام ٧٤٦ زار «سوماطرة» وكان ملكهم اذ ذاك الملك ظهير ابن الملك صالح... فيقول: «.. وكان يمضي على استقرار الدين الإسلامي رسمياً في تلك الديار اذ ذاك قرن من الزمان تقريباً...» وكتب في كتابه احاديث عن تواضع وزهد وديانة هذا السلطان الشافعي، وأنه كان قد رتب مجالس للبحث والجدل في المواضيع الدينية وقراءة القرآن بمحضر العلماء و المتكلمين، وأنه كان يذهب لصلاة الجمعة مشياً على الارض حافياً، وأنه كان يجاهد الكفار في حوزته احياناً...»

ثم يتكلم في مقاله بشأن التسعة رجال المعروفين بالمقدسين التسعة الذين قاموا بنشر الاسلام في ربوع اندونيسيا، ويقول: ان أحدهم باسم «سه سيتي جنار» كان يحمل عقائد تشبه عقائد الحلاّج، فكان موردا للطعن من قبل الآخرين، ثم يقول:

«انّ عقائد سه سيتي كانت تشبه عقائد الحلاّج تماماً، الا أنّ هذا لايصبح دليلاً على أن الاسلام قدم الى اندونيسيا من طريق ايران فقط، الا أن من المسلّم به أن الاسلام قدم من ايران الى الهند الغربية ثم الى سوماطرة ثم الى جاوة، ويمكن تأييد المدعى هذا بمؤيدات كثيرة؛ من قبيل أن الشيعة يجلسون للعزاء في اليوم العاشر من المحرم لشهادة الحسين بن علي عليه السّلام، وفي اندونيسيا أيضاً يقدم بعضهم الى بعض طعاماً مطبوخاً باسم «بوبود سورا» الاسم الذي نرجح أن تكون «سورا» هي مصحفة كلمة «عاشوراء» كما يسمون المحرم في جاوه بهذا الاسم «سورا» و بالامكان مشاهدة النفوذ الشيعي في ناحية «أتجه» الواقعة في شمال سوماطرة، وهم يسمون

---

٣٤ ــ بالفارسية: رستاخيز اندونوزيا، ص: ٢٨.

شهر المحرم «شهر الحسن والحسين». ومما يمكن ان يستدل به على تلقى اندونيسيا الاسلام عن طريق ايران هوأن القراء حين تعليم كيفية قراءة الحروف والاصوات العربية الصحيحة يستعملون المصطلحات الفارسية لا العربية... وهناك علامات اخرى من آثار الثقافة الفارسية فى مطاوى المطالعات المختلفة للآثار الاندونيسية»[٣٥].

والبروفيسور اسماعيل يعقوب رئيس جامعة سورابای اندونيسية، الذى اشترك فى المؤتمر الالفى للشيخ الطوسى (قدس سره) فى الأيام الاخيرة من عام ١٣٨٨ او اوائل ١٣٨٩، فى حديثه بعنوان «دور العلماء الايرانيين فى الثقافة والمعارف الاسلامية والتراث العلمى للعالم» قال ــ وأنا حاضر:

«ان اسم فارس الذي جاء فى الحديث النبوى و الذى يعرف اليوم بايران معروف بين مسلمى اندونيسيا بشهرة تامة؛ فنحن نعلم ان الدين الإسلامى دخل الى اندونيسيا على لسان المبلغين به القادمين الى اندونيسيا من خارجها و لاسيما من ايران، فقد قدم هؤلاء الى اندونيسيا و نشروا الإسلام فى جميع ربوعها، حتى أصبحت اليوم تشتمل على مئة و عشرة ملايين من الناس تسعون مليوناً منهم مسلمون»[٣٦]

و لقد كان انتشار الإسلام فى الهند وباكستان رهين مساعى المسلمين الايرانيين الى حد كبير. و قد نقلنا قبل هذا مقالاً عن هذا البحث للشيخ العلامة عز يزالله العطاردى بعنوان «النشاط الإسلامى الايرانى» و بالامكان التوصل مما بحث فيه الى معرفة مدى اثر المسلمين الايرانيين فى انتشار الإسلام فى الهند وباكستان، و كانت أكثر هذه المساعى من المتصوفة الايرانيين او غير الايرانيين.

والاستاذ مظهرالدين الصديقى الاستاذ المساعد و رئيس دائرة التاريخ الإسلامى لجامعة السند فى حيدرآباد باكستان، فى مقال بعنوان «الثقافة الإسلامية فى الهند و باكستان» من كتاب «الاسلام صراط مستقيم» كتب يقول:

«كانت للعرب علاقات تجارية بالهند الجنوبية من قبل ظهور الإسلام، و استمرت هذه العلاقات التجارية عن طريق البحر بعد ظهورالرسول صلى الله عليه و آله و سلم مع التبليغ بالاسلام. و حينما اصيبت الهند بالاضطرابات السياسية و النزاعات المذهبية اغتنم المسلمون العرب هذه الفرصة فهاجروا الى سواحل مالابار وأقاموا فيها. و أثرت بساطة الإسلام و وضوح العقائد فيه فى افكار الهنود اثراً بالغا، حتى اعتنق فى مدة الخمس و العشرين سنة كثير

٣٥ــ بالفارسية: إسلام صراط مستقيم، ص: ٤٦٦ــ٤٦٧.

٣٦ــ الذكرى الألفية للشيخ الطوسي، بالفارسية. ج ١، ص: ١٥٩.

منهم الاسلام بما فيهم سلطان مالابار. و استمرت تجارة العرب مع الهند عن طريق البحر، الا أنّ الاسلام تقدّم اليهم فى الاكثر عن طريق البرّ أي ممالک ايران و آسيا المركزية.

و كتب يقول: «كان الصوفيّون أحبّ الى الناس و الدولة من علماء الدين، و ذلک لانّهم كانوا يجتنبون التدخّل فى الامور السياسية، بينما كان علماء الدين أحياناً يوجبون قيوداً على أعمال السلاطين، و لذلک كان امراء دهلى من هواة الصوفية. و قد دعا الى الاسلام آلاف الافراد من الهنود الشيخان الصوفيان سالار مسعود غازى و اسماعيل، فى القرن الخامس الهجرى، على الرغم من الحكام غير المسلمين. و قد بنى الصوفى الكبير معين الدين السمرقندى الذى كان قد اتى الى الهند قبيل اسرة الغوريين، بنى هذا الشيخ الطريقة الصوفية الجشتية التى لازالت من احدى كبريات الطرق الصوفية فى باكستان و الهند، و قبره فى اجمير يزار من قبل المسلمين الهنود. ووجدت طريقة السهروردية فى الهند بعد الطريقة الجشتية، وكانت تخالف الجشتية من حيث التأكيد الشديد على العمل بالأوامر الدينية و ملاحظتها، اذ كانت السهروردية تخالف ما تداول فى سائر فرق الصوفية من انواع الرقص و السماع الخاص بالذكر والابتهال! اضف الى ذلک طريقتين معروفتين باسم القادرية و النقش بندية اللتين كانتا قد قدمتا الى الهند من قبل المغول و وجدتا لنفسيهما مجالاً للنفوذ كبيراً»[٣٧].

و كان عامة او غالبية هؤلاء الصوفية الناشرين للاسلام فى تلک المناطق ايرانيين.

و لمعرفة معين الدين الجشتى السابق الذكر، بالنظر الى الاثر الكبير الذى كان لهذا الرجل الايرانى العارف فى نشر الاسلام فى القارة الهندية، ننقل هنا نصّ ما كتبه العالم المتتبّع المحقق الشيخ عزيز الله العطاردى، خصيصاً لهذا الكتاب شاكرين له ذلک. وهو يذكر مع معين الدين عارفاً ايرانياً آخر باسم نظام الدين الاولياء، مصرحاً بانه كان له الأثر العظيم فى اسلام القارة الهندية، فأتى به هنا أيضاً، قال الشيخ العطاردى:

«ولد الخواجة معين الدين الجشتى الهروى فى القرن السادس الهجرى في سيستان[٣٨] و بدأ هناک بتحصيل العلوم ثم هاجر الى «هرات» فاشتغل فيها بالرياضة فى ناحية يقال لها «جشت» و من هنا قيل له: «جشتى». و بعد اقامة مدة فى جشت عزم على السفر الى طوس و اقام هناک فى طابران فى خانقاه الخواجه عثمان الهارونى احد كبار مشايخ الصوفية

---

٣٧ ــ نفس المصدر السابق، ص: ٣٦٥.

٣٨ ــ قرأنا في مقال مظهر الدين صديقي أن ولادته كانت في سمرقند، ولا يصحح هذا العلامة الشيخ العطاردي بل يرى أن ولادته كانت في سيستان، ومهما كان فهو ايراني سيستاني او سمرقندي.

بخراسان، و اشتغل هناک بتکمیل مقاماته العرفانية و الروحية، حتى اصبح من مر يديه بل اصبح خليفة له بعده فى طر يقته. ثم سافر من طوس الى بغداد و أقام بها مدة مستفيداً من مشايخها و هى اذ ذاک من المراکز المهمة للعلوم الاسلامية. حتى اصبح بها مدرساً و مرشداً يستفيد منه جماعة من مر يديه. ثم طاف مدة فى الحرمين الشر يفين ومصر والشام، و استجازه خلق کثير من تلامذته و مر يديه، و استفادوا من مجالسه العلمية و العرفانية.

و فى مفتتح القرن السابع الهجرى، جرّ السلطان شهاب الدين الغورى عسکراً جرّاراً من موطنه الاصلى فى «فيروزکوه» بين الجبال الغور ية فى شرق هراة الى الهند، و بعد أن اخرج لاهور من ايدى اسلاف الغزنو يين توجّه الى دهلي ففتحها بعد مدة و جعلها عاصمة له. و بعد آن تصرف المسلمون فى پنجاب و استقر الحکم و انتشر الاسلام فى ر بوعه، هاجر جمع من العلماء و القادة المسلمين لتبليغ الدين الاسلامى الى پنجاب و راجستان، و آستفلوا بالنشاط الدينى. و في هذه الاثناء هاجر الخواجه معين الدين مع السلاطين و الأُمراء الغور يين الى الهند و سکنوا فى بلدة اجمير من منطقة راجستان. و أسس الخواجة مؤسسات اسلامية فى اجمير و بنى مدارس و مساجد کثيرة و اشتغل بتبليغ و تدر يس مبانى الاسلام فى تلک البلاد.

و کان الخواجة معين الدين يلقى مواضيعه الدينية عن طر يق العرفان و التصوف الذى کان اوفق بالافکار الهندية، واشتهر فى مدة قليلة شهرة عظيمة و طاف به الناس من کل حدبٍ وصوب و استفادوا منه اکبر استفادة.

و کان يحترمه الملوک و الأُمراء المسلمون احتراماً کبيراً، و تهيّأت له جميع وسائل التقدم و الاطراد من کل ناحية، و تمکن من هداية الملايين من عبدة الأصنام الى التوحيد، و تقدم الاسلام ببرکته الى مغرب الهند و شماله. و أدب معين الدين تلامذة کثير ين و اصبح کل و احد منهم فى منطقته مصدراً لخدمات قيمة، فکان قطب الدين بختيار و فر يدالدين گنج شکر من تلامذته و المتر بين على يديه، وقداصبحا منشأ لآثار وخدمات جليلة.

و توفى خواجة معين الدين بعد مدة من النشاط و تأسيس المؤسسات الثقافية و الدينية فى مدينة اجمير، فبنى المسلمون له مقبرة جليلة و عظيمة لازالت قائمة بعد ثمانية قرون، و هى من اکبر مزارات المسلمين الهنود، و قد اسهم فى مقبرته سلاطين الهند المسلمون من عهد ناصرالدين الخلجى حتى عهد نظام حيدرآباد، و قد کتب على کتائب الأيوان و الاروقة و داخل المقبرة أبيات کثيرة باللغة الفارسية ــ اللغة الرسمية لمسلمى الهند ــ منها الابيات التالية:

شر يف الشرفاء معين الدين.
اشرف الاولياء فوق الارض.
ليس فى کماله اوجماله اى کلام!.

كان مبيناً للدين و حصناً حصيناً.
قلتُ في صفاته أبياتاً.
كان فى العبادة دراً ثميناً.
يا من كان بابه قبلةً لاهل اليقين.
و يا من كان القمر يقبل اعتابك!.
و يا من كان مئات الملوك على رتبة ملوك الصين...
يسحقون وجوههم على اعتاب ابوابك...
و يا من يخدم ابواب بيتك الملائك...
و يامن روضته من رياض الجنان...
و يا من ذرات ترابك من العنبر.
و يامن قطرات المياه فى بيتك ماء معين.

كان سلاطين التيمور يين الهنود يقصدون معين الدين بكل ارادة و احترام، حتى أن جلال الدين اكبر جاء اليه مرة زائراً ماشياً من عاصمته اگره الى اجمير. وله فى قلوب المسلمين الهنود من الشيعة و السنة حبٌ عظيم، و يقيمون فى شهر رجب من كل عام لذكراهَ مجلساً عظيماً يشترک فيه مئات الالوف من الاطراف و النواحي، كى يكرموا معين الدين و يشكروا له خدماته و اتعابه فى سبيل الاسلام. و قد جاءت ترجمته فى عدة من المذكّرات التاريخية.

نظام الدين اولياء:

ولد محمد بن أحمد نظام الدين فى الهند، وهاجر ابوه من بخارى موطنه الاصلى الى الهند و أقام في لاهور ثم سكن فى بدايوان. و هنا ولد نظام الدين، و فقد أباه فى الخامسة من عمره و تولت امه تربيته، و كانت امرأة صالحة طاهرة زاهدة، و سعت فى تربية ولدها الكثير. و بدأ نظام الدين اولياء بتحصيل مقدمات العلوم فى بدايوان، و انتقل بعد مدة مع امه الى دهلى و اشتغل هناك بتكميل معارفه لدى شمس الدين الدامغانى و علاء الدين الاصولى و فريد الدين مسعود، و اجازه هذا الأخير.

و كان نظام الدين اولياء فى اول حاله فقيراً مضطراً و مع ذلک كان عزيزاً لا يقبل من احد شيئاً. و بعد أن طارصيته فى الهند اقبل عليه الكبار و امراء المسلمين من كل حدب وصوب، و طلب منه الملوک المسلمون منهم السلطان جلال الدين الخلجى أن يلاقوه. و تعلق به

الأمير خسرو الدهلوى السمرقندى احد الشعراء المعروفين و نظم فيه ابياتاً من الشعر.

و قد بذل نظام الدين فى سبيل نشر المعارف الاسلامية جهوداً كثيرة، و اشتغل كل واحد من تلاميذه فى منطقة من مناطق الهند بتبليغ الاسلام. منهم الخواجة نصيرالدين الذي خلف فى رودو گجرات و پنجاب آثاراً روحانية مذهبية. و منهم سراج الدين الذى نشر العلوم الاسلامية،فى بنگاله وبهار واسام. ومنهم برهان الدين الذى كان يرشد الناس في منطقة دكن و نواحى الهند المركزية. و بصورة عامة نقول: ان انتشار المعارف الاسلامية فى مختلف مناطق الهند كان من حسن عناية نظام الدين أولياء و تلامذته و خلفائه.

و توفى نظام الدين اولياء عام ٧٢٥ فى دهلى و دفن هناك، و لايزال قبره الى اليوم مزاراً للمسلمين و يجلسون المجالس و يتجمع لذكراه آلاف من المسلمين و يخطبهم العشرات.

و للتحقيق فى أحوال معين الدين الجشتى و نظام الدين اولياء يراجع «تاريخ فرشته» تأليف هندو شاه الاسترابادى[٣٩].

اجل؛ لاكلام فى الأثر العظيم لايران المسلمة فى اسلام القارة الهندية. و هذا تماماً عكس ما كان لايران قبل الاسلام؛ فقد قرأنا فى القسم الثانى من هذا الكتاب أن دين القارة الهندية(البوذية) كان في حال التقدم الى جهة الشرق، و أن قسماً كبيراً من ايران كان قد تأثر بالدين الهندي، نعم،ان دين بوذا كان قدقدم من الهند الى ايران و قبل فى الأوساط الايرانية، و من المسلم به ان لولم يظهرالاسلام و يصل الى ايران لكانت البوذية تلقى من التقبل و التقدم اكثر من قبل... ولكن بعد أن ظهر الاسلام و وصل الى ايران فقد اجرى دماً جديداً فى عروق الحياة المعنوية والروحية لهذه الأمة، فانعكس الأمر حتى اثرت ايران فى نفس الهند بدينها الجديد وازاحت البوذية حتى عن نفس الهند...

ان الاسلام هو الذى حمل الفارسية الى الهند، فانّ اشاعة الفارسية فى الهند لم تكن الا عن طريق التعاليم الاسلامية، حتى اصبحت الفارسية فى مقاطع من تاريخ الهند و جغرافيته لغة رسمية ولم تحض على الرسمية الا باستخدامها كوسيلة لمعرفة الاسلام.

و قد اشاع الفارسية أخيراً فى الهند شعراء من قبيل العلامة محمد اقبال الباكستانى بتأثير من الأحاسيس و العواطف الإسلامية. و قد حاول أخيراً بعض المدّعين لحبّ الأوطان ان يشيعوا اللغة الفارسية فى بعض الدول المجاورة مع قطع النظر عن الإسلام، و لم يوفقوا و لن يوفقوا، لنفس السبب الذى ذكرناه من ارتباط الفارسية بالتعاليم الإسلامية.

٣٩ــ هذا اخر مقال الاستاذ الشيخ عزيزالله العطاردي الخراساني المقيم بطهران.

تقدم الاسلام فى الصين:

ان الاحصائيات تدل على وجود اكثر من خمسين مليون مسلم اليوم فى الصين. و انّ تقدم الإسلام فى الصين انما تحقق عن طريق تبليغ الإسلام و الدعوة اليه من قبل المسلمين المسافرين الى تلك الديار و المقيمين فيها منهم. و للايرانيين من هذه الناحية حظّ وافر.

نرى البحث عن ذلک فى مقال عن مبدأ تقدم الإسلام و تطوّره وضعفه فى الصين، بعنوان «الثقافة الاسلامية فى الصين» فى كتاب «الاسلام صراط مستقيم»[٤٠].

و ينقل هذا المقال فى مبدأ دخول الاسلام الى الصيّن تاريخاً عن مصادر صينية خاصة لم يذكر شيء منه في سائر المصادر الإسلامية، يقول:

«ان التاريخ القديم لأُسرة «تانک» يقول: جاء فى السنة الثانية من سلطة يونک وى فيما يقارب عام ٣١ للهجرة رسول من الحجاز بهدايا الى بلاط الخاقان، و قال: ان دولتهم قد تأسست منذ اثنين و ثلاثين عاماً... و بعد ان اطّلع الخاقان على معلومات عن الدين الإسلامى المقدس رآها توافق تعاليم كنفوشيوس وتصدّقها، فأيّد الإسلام و صدّق به واستثقل ما قرره الاسلام من الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان. وأذن لسعد[٤١] ومن معه فى تبليغ الاسلام فى الصين، ووافق على تأسيس اول مسجد للصلاة فى مدينة چانكان، وهكذا كان يتظاهر بتعاطفه مع الدين الجديد. و يعتبر تأسيس هذا المسجد فى الصين حدثاً مهماً فى تاريخ الاسلام حيث بقيت آثاربنائه حتى اليوم بصورة مجللة فى «سيان الجديدة».[٤٢]

إن صحّ هذا دلّ على أن مبدأ دخول الإسلام الى الصين كان على يد المسلمين العرب الاوائل. و ان قطعنا النظر عن هذا، فقد تقدم الاسلام فى الصين على يد التجار المسلمين بما

---

٤٠ ــ كتب هذا المقال السيد داود سي تينک، وهو ــ كما في مقدمة الكتاب ــ عضو في التابعة لجمهورية الصين في بيروت، وهو قبل أن يخرج الى تايوان كان زعيم المسلمين في منطقته، وكان من خريجي جامعة الازهر، وقد تقلد عدة مناصب سياسية مهمة في دولة الصين. وهو اليوم من خطباء المسلمين والناطق الرسمي باسمهم في الصين.

٤١ ــ صرّح هنا أن سعدا هذا هو سعد بن أبي وقاص الصحابي والقائد المشهور، ولا يطابق هذا ما في المصادر الاسلامية عن وفاة ابن ابي وقاص و دفنه في المدينة. وعلى فرض صحة المصدر الصيني يمكن ان يكون سعداً آخر غير ابن أبي وقاص المعروف.

٤٢ ــ بالفارسية: إسلام صراط مستقيم، ص: ٤٢٠ ــ ٤٢٣.

كان فيهم من اكثرية من الايرانيين. يقول فى المصدر السابق:

«وازداد سفر التجار المسلمين الى الصين فى عصر خلافة بني أُمية و بنى العباس، و عرف العرب الداخلون الى الصين فى خلافة بنى امية بلقب: العرب ذوو الملابس البيضاء، و حيث توسعت العلاقات الودية بين الامبراطورية الإسلامية و الصين على عهد بنى العباس هاجرت اليها وفود كثيرة من العرب الذين عرفوا بلقب: العرب الملابس السوداء»..

و فى قرن و نصف من الزمان اى فى الفاصلة بين سنة ٣١ هـ الى ١٨٤ هـ، دخل الى الصين عدد يعتدّ به من التجار العرب و الايرانيين من طريق البحر، و أقام كثير منهم فى ساحل «كوانگ چو» و تقدموا من هناك فى امتداد السواحل و دخلوا الى مدن مهمة و وصلوا الى أقصى المناطق الشمالية و حتى مدينة «هانگ چو»... وازداد عدد التجار العرب و الايرانيين فى هذا العصر فى النواحى الجنوبية و صاهروا الصينيين و قطنوا معهم. و كانت لهم مجامع خاصة و حياة مستقلة عن سائر الصينيين و لهم تقاليدهم الخاصة فى مراسيم العرس و الاعمال اليومية مما يراعون فيه احكام الاسلام المقدسة. و حتى انهم كانت لهم محاكم خاصة تحكمهم فى مسائل الزواج و الطلاق و الارث و غيرها طبق الفقه الإسلامى. و استقلال المسلمين هذا دليل آخر على قدرة الإسلام اذ ذاك فى الصين» [٤٣].

و كتب يقول: «كان التجار العرب و الايرانيون يتاجرون بالابريسم و الحرير و البضائع الصناعية و الأوانى الصينية و سائر الأمتعة التجارية من الصين الى الشرق الاوسط وأوربا، و يرجعون بالنباتات الطبية و الادوية و اللؤلؤ و سائر محاصيل تلك النواحى الى الصين. وكان هؤلاء التجار فى الحقيقة وسائط للتجارة وتبليغ الاسلام وكانوا بتجارتهم الرابحة هذه يجتذبون سائر المسلمين للتجارة و تبليغ الإسلام الى الصين، و كلما كانت ترد الى الصين وفود جديدة من المسلمين يزداد عددهم فى الشمال الغربى و الجنوب الشرقى من البلاد» [٤٤].

و يقول: «وكان حمل ونقل البضائع التجارية فى مناطق الشمال على الاغلب فى اختيار المسلمين وتنقل بقوافل الجمال والبغال والحمير، فكان حمل البضائع فى امتداد سواحل نهر «يانگ تسر» و «هوايهو» و مزارع الرزّ على شواطئ الجداول المتفرعة من تلك الأنهار يتم على يد المسلمين، و المصطلحات و الارقام الفارسية المستعملة اليوم فى أخذ وردّ الغلاّت التجارية دليل بارز على تفوّق المسلمين على هذه التجارة فى هذه النواحى الصينية» [٤٥].

---

٤٣ ــ نفس المصدر السابق، ص: ٤٢٢ ــ ٤٢٣.

٤٤ ــ نفس المصدر، ص: ٤٢٤.

٤٥ ــ نفس المصدر، ص: ٤٣٢.

و يقول: «و ينقسم المسلمون فى الصين الى قسمين: قسم يصطلح عليهم بلقب: سيكيانگ، اى أصحاب العمائم الذين يشبهون بالسيك الهنود. و قسم خاص آخر من المسلمين فى الصين يسمّون «هان» و هؤلاء يتداولون فى امورهم الدينية كلمات عربية و فارسية فى تركيبات خاصة» [٤٦].

و يقول: «و يلقب رئيس الروحانيين فى المساجد: آخوند أو آخونگ بمعنى العالم او المعلم للاحكام الدينية، و يعتبر ائمة الجماعة فى المساجد كمساعدين للآخوند الاعلى [٤٧] و كانت طريقة التعليم القديمة فى الصين مقتبسة مما كان متداولاً بين المسلمين العرب والايرانيين فى الصين من الدراسات» [٤٨].

و الدكتور السيد جعفر شهيدى الاستاذ بجامعة طهران فى مقاله بعنوان: «أثر الايرانيين فى نشر الاسلام فى العالم» الذى اورده فى الاحتفال بالذكرى الالفية للشيخ الطوسى فى مشهد و الذى نشر فى المجلد الاول من كتاب الذكرى، نقل بصدد بيان تقدم الاسلام فى الصين عن كتاب «جهانگشا عطاء الملک الجوينى» يقول:

«وما يمكن أن نصل اليه من طريق العقل [٤٩] وليس بعيداً عن الأفهام والاوهام، هو شيئان: الأول هو ظهور نفس النبوة، والثانى هو الكلام المعجز. والمعجزة الأقوى منها هي أن نرى تحقق حديث «زويت لى الارض فأريت مشارقها ومغاربها، و سيبلغ ملک أمتى مازوى لى منها» مثلاً، بعد ستمئة ونيف من السنين... وهكذا ترتفع راية الإسلام وتعلو أنواره فتشع على ديار لم يصل اليها عطر الاسلام قط، ولم يحل فيها صوت الأذان فى آذانهم ولم تطأ اراضيهم الا أقدام عبدة اللات والعزىٰ. فكم قد اقبل اليوم على ديار الشرق فى الصين من مؤمن موحد بلغ الى اقصى ديار المشرق بل سكنها. وقطنها من يخرجون عن حدود الاحصاء والحصر، فبعضهم سيق الى هناک حشراً [٥٠] بعنوان اصحاب الحرف والاحشام مما وراء النهر وخراسان، وطائفة كثيرة منهم ممن طافوا أقصى المغرب والعراقين والشام وغيرها من بلاد الاسلام على سبيل التجارة والسياحة و بلغوا كل حدب وصوب و بلد ومدينة، و بنوا لأنفسهم صوامع للصلاة ومدارس فى مقابل بيوت الاصنام

---

٤٦ ــ نفس المصدر، ص: ٤٣٧.

٤٧ ــ نفس المصدر، ص: ٤٤٢.

٤٨ ــ نفس المصدر، ص: ٤٥٦.

٤٩ ــ لاثبات النبوة.

٥٠ ــ شرح ناشر الكتاب هذه الكلمة في الهامش فقال: (الحشر في اللغة المغولية بمعنى الافراد الذين كانوا يختارون من بين اصحاب الصنعة والعمال من الأمم المفتوحة عنوة لتشغيلهم في نفس أعمالهم في البلاد المفتوحة).

للعبادة، واشتغل فيها العلماء بالافادة والاستفادة. حتى كأنّما الحديث يشير الى ابناء هذا الزمان اذيقول: «اطلب العلم ولوبالصين»[٥١].

انّ عطاء الملك الجوينى يرى أن ذهاب المبلغين المسلمين الايرانيين و غير الايرانيين الى الصين و دعوتهم اهلها الى الإسلام، بعد ستمئة سنة من الهجرة النبوية، هى احدى معجزات خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله و سلم.

الجندية و التضحية:

انّ جندية الايرانيّين فى سبيل الاسلام ــ سواء مابلغ منها الى نتائجها الايجابية، ومالم يصل منها الى الثمر على الرغم من المساعى والجهود الخالصة ــ لهى احدى الصفحات البيضاء فى العلاقة بين الإسلام و ايران.

وقدقرأتم قبل هذا المساعى المخلصة للمسلمين الايرانيين المقيمين فى اليمن. وانّ قيام الايرانيين بوجه الحكومة الأموية الذى انتهى بظهور الدولة العباسية كان نوعاً من هذه الخدمات للأُمة المسلمة، إذ أن هذا القيام المسلّح ــ كما سبق ــ كان لإقامة الشعائر الاسلامية و ارجاع المسلمين الى صراط الدين. و ان كان قيامهم هذا مع انتصاره المسلّح لم يكن موفقاً توفيقاً تاماً و ذلك لأن الأُسرة التى تسنّمت الحكم لم تكن احسن من سابقتها الأموية. و لقد قامت فى ايران فى القرن الثانى و الثالث الهجرى ثورات غير اسلامية واحبطت من قبل نفس الايرانيين، وان الدقة فى التاريخ تكفلت لنا ببيان أن الذين كانوا يحبطون هذه الثورات انما كانوا من الايرانيين انفسهم دون العرب.

فانه لولا الجنود و القواد المسلمون الايرانيون لكان من المحال أن تحبط الدولة العربية تلك الثورة التى كان يقودها فى آذربايجان بابك خرّم دين، مع كل ما قدمت هذه الحروب مما يقرب من مئتين و خمسين الفاً من الضحايا... و هكذا سائر الثورات التى كان يقودها المقنّع او السنباد او ستادسيس اوغيرهم.

و انّ السلطان محمودا الغزنوى كان قد صبغ حروبه فى الهند بصبغة اسلامية، فكان الجنود المسلمون الايرانيون يتقدمون فيها باندفاع الى الجهاد الاسلامى المقدس. و كذلك كان الأمر فى الحروب الصليبية حيث أن سلاطين ايران انما صدّوا حملة الصليبيين الغربيين باسم الاسلام و بفعل الاحاسيس الاسلامية.

---

٥١ ــ الذكرى الألفية للشيخ الطوسي ج ١، ص: ١٧٩، باللغة الفارسية.

و ان الجنود المسلمين الايرانيين هم الذين ذهبوا بالاسلام الى آسيا الصغرى لا العرب و لاغيرهم. و نستمع هنا الى مقال الدكتور السيد جعفر شهيدى فى كتاب الذكرى الالفية للشيخ الطوسى (قده) يقول:

ان كلمة «بلاد الروم» فى عرف المسلمين كانت عبارة عن ممالك الروم الشرقية، كما كانوا يلقبون البحر الابيض المتوسط ببحر الروم، وعلى هذا فهم كانوا يسمون آسيا الصغرى: بلاد الروم. و حينما فتح المسلمون أراضي الشام رأوا أن من الضرورى عليهم أن يفتحوا آسيا الصغرى ايضاً. و اراد معاوية أن يهجم عليها و لكنه فوجئ بمخالفة الخليفة عمر بن الخطاب. إلا أنه تحققت أمنيته هذه و تقدم فى الحرب حتى عمورية. ولازالت هذه الأراضى على عهد خلافتى الامويين و العباسيين مورداً للأخذ والرّد، و كانت مدن و قلاع تلك المنطقة تتناولها الأيدى و تتداولها من يد الى يد اخرى. و يشهد التاريخ أنه لم يتمكن الخلفاء الأمويون و لا العباسيون أن يمكنوا الاسلام و يرسوا دعائمه فى جميع ارجاء هذه المنطقة... حتى تأتى حكومة السلاجقة فتغير اوضاع هذه المنطقة، وتحكم هذه الاسرة جميع مناطق آسيا الصغرى و تبدأ رسالة تبليغ الاسلام فيها و نشر معارفه باللغة و الادب الفارسى المنظوم و المنثور، و بلغ الأمر الى أن طلع علينا من تلك المنطقة فى سماء العرفان جلال الدين التبريزى الرومى فاضاء منطقته اولاً ثم سرت انواره مع اللغة الفارسية حيثما كانت. و ننقل عن كتاب «مسامرة الاخبار» للقسرائى فى تاريخ آسيا الصغرى عبارة ترينا وجهة النظر عند القادة المسلمين و الأمة الايرانية الى الأراضى المفتوحة: لوكان غرض خلفاء الإسلام من فتح العراق او الأراضى الغربية تحصيل الجزية و زيادة الخراج و الفيء و عمران بيت المال، فانه لم يكن ينظر قادة الفتوحات الشرقيون الا الى نشر الإسلام فقط. يقول القسرائى:

«قصد ارميانوس ملك الروم مع مئة وعشرين الفاً من الجنود بلاد الإسلام، و توجه الى «دانشمند» ملك نكيسار وسيواس و توقات و ابلستان و غيرها. فبعث الملك دانشمند رسلاً الى ملوك الإسلام خلفه حرضهم على مقابلة عساكر الكفّار، و وعد «قلج ارسلان» أن اذا حصل الظفر و صله بمئة الف دينار و ولاّه ملك ابلستان.

واتفق قلج ارسلان مع سائر ملوك تلك النواحى لصيانة الدين وحماية الاسلام و اجتمعوا وعزموا على غزو الكفار. ووهب الله لهم النصر وانهزم ارميانوس بعد حروب ومقابلات كثيرة ولم ينج من الكفار الاقوم قليل. وارسل الملك دانشمند مئة الف درهم الى قلج ارسلان وتوقف عن توليته على ابلستان، فلما سمع قلج ارسلان بهذا ردّ عليه المئة الف درهم وقال: «أنا إنّما أتيت الى الحرب لحماية الاسلام، ولاحاجة بي الى الدراهم والدنانير»[٥٢].

---

٥٢ ــ كتاب الذكرى الألفية للشيخ الطوسي. بالفارسية، ص: ١٧٦.

و كتب فى نفس هذا الكتاب عن مساعى المسلمين العسكرية فى الهند، يقول:

«حمل على اراضى نواحى السند لاول مرة فى سنة ٤٣ هجرية عبدالله بن سوار العبدى الذى كان عبدالله بن كريج قد جعله على ثغور السند من قبل البصرة. وفى سنة ٤٤ هـ حمل عليها المهلب بن أبى صفرة. و في سنة ٨٩ هـ قتل محمد بن قاسم ملك السند فى حرب دارت هناك، و بقتله حكم المسلمون اراضى السند بلا اى مانع يذكر. و أما انتشار الإسلام في معظم شبه القارة الهندية فكان على يدالايرانيين ايضاً.

و هنا نرجع الى سند من التاريخ. كتب الجرفادقانى فى مبدأ أمر ناصرالدين سبكتكين يقول: «ثم توجّه الى جهاد الكفار و قمع اعداء الدين و جعل ناحية الهند و معبد الاوثان و مسكن اعداء الإسلام جبهة القتال و الغزو.»

و كتب عن احوال السلطان محمود الغزنوى يقول: «ان السلطان يمين الدولة و أمين الملة حينما اخذ نواحى الهند و بلغ فى اقاصى هذه الولاية الى أماكن لم تكن تصلها قبل ذلك اليوم راية للإسلام ولامن الدعوة المحمدية معجزة ولا آية ، طهّر تلك البقاع من ظلمات الكفروالشرك، و انار مشاعل الشريعة فى تلك الديار و الأمصار، و بنى وشيّد المساجد، و أظهر الاذان و شعائر الايمان و تلاوة القرآن و دراسته فى تلك النواحى...

ان سيرة السلطان محمود الغزنوى فى جانب المشرق ليست غريبة فى الشبه عن سيرة عبدالرحمان الاول حاكم أسپانيا والفاتح الإسلامى فى المغرب، ولايفوتنا أن بين الفتوحات الاسلامية فى الشرق والغرب تفاوتا كبيراً فان المسلمين العرب استطاعوا أن يبلغوا بفتوحاتهم تخوم اوروپا الغربية، الا أن كثيراً من تلك المناطق خرجت فى طول التاريخ عن حوزة المسلمين و خرج المسلمون عنها و خرجت هى عن الإسلام. بينما نرى أن الحضارة و الثقافة الإسلامية التى بنيت فى النواحى الشرقية على يد المسلمين الايرانيين بقيت ثابتة مستقرة لازال معها الناس فى هذه المناطق بعد مرور القرون المديدة يصلون الى قبلة الإسلام و يتلون كتاب الله و ان لم يكونوا عرباً. و العجيب أنه قارن احتلال قسم من اراضى المسلمين فى ناحية الشمال من شبه الجزيرة العربية أن اعلنت دولة قوامها تسعون مليوناً من المسلمين فى الجانب الشرقى من ايران، اعلنت عن وجودها باسم دولة پاكستان الإسلامية»[٥٣].

فى هذه الفتوحات و ان كانت أسامى قلج ارسلان و سبكتكين و الغزنوى اسامى تركية، الا أن هؤلاء ــ كما ذكر ذلك الدكتور الشهيدى ــ كانوا اذ ذاك حكام اراضى ايران باسم الإسلام، وجنودهم كانوا من هذه الأمة الايرانية حتماً دون غيرها.

---

٥٣ ــ الذكرى الألفية للشيخ الطوسي، ص ١٨٠ ــ ١٨٢. بالفارسية.

العلوم والثقافة:

إنّ ميدان العلوم والثقافة من اوسع الميادين التى ادّى فيها الايرانيون خدمات جُلّى للاسلام.

إنّ سرعة التطور و التقدم و النفوذ، و الشمول و الكلية و الجامعية، و اشتراك مختلف طبقات المجتمع، بل اشتراك مساعى امم مختلفة... كل ذلك مما اثار إعجاب الجميع بشأن الحضارة و الثقافة الإسلامية... يقول جرجى زيدان بهذا الصدد:

«يلاحظ أيضاً أن العرب نقلوا من علوم تلك الأُمم فى قرن و بعض القرن مالم يستطع الرومان بعضه فى عدة قرون، و ذلك شأن المسلمين فى اكثر أسباب تمدنهم العجيب»[٥٤].

إنّ المسلمين ابدعوا و اخترعوا العلوم التى احتاجوا اليها لفهم القرآن الكريم و السنة الشريفة كالقراءة و التفسير و الكلام و الفقه و الحديث و النحو و الصرف و المعانى و البيان و البديع و السيرة و غيرها، ولو اقتبسوا فيها شيئاً فذلك شىء قليل لايذكر. ما كان من العلوم حصيلة تمدن و مساعى و اتعاب سائر الأُمم من الطبيعيات و الرياضيات و النجوم و الطب و الفلسفة و غيرها فهم ترجموها و نقلوها الى لغتهم و اضافوا اليها الكثير. يقول جرجى زيدان:

«كان من جملة أفضال التمدن الاسلامى على العلم أنه جمع شتات تلك العلوم من اليونانية و الفارسية و الهندية و الكلدانية الى العربية، و زاد فيها و رقّاها...»[٥٥]

و يقول جرجى زيدان ايضاً:

«ان المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ما كان معروفاً من العلم و الفلسفة و الطب و النجوم و الرياضيات و الادبيات عند سائر الأُمم المتمدنة فى ذلك العهد، و لم يغادروا لساناً من السن الأُمم المعروفة اذ ذاك لم ينقلوا منه شيئاً، و ان كان اكثر نقلهم عن اليونانية و الفارسية و الهندية. فأخذوا من كل أُمة احسن ما عندها، فكان اعتمادهم فى الفلسفة و الطب و الهندسة و الموسيقى و المنطق و النجوم على اليونان، و فى النجوم و السير و الآداب و الحكم و التاريخ و الموسيقى على الفرس، وفى الطب (الهندى) و العقاقير و الحساب و النجوم و الموسيقى و الاقاصيص على الهنود، و فى الفلاحة و الزراعة و التنجيم و السحر و الطلاسم على الانباط و الكلدان، و فى الكيمياء و التشريح على المصريين، فكأنهم و رثوا اهم علوم

---

٥٤ ــ تاريخ التمدن الاسلامي ــ لجرجي زيدان ج٣، ص: ١٨٣ ط، د. حسين مؤنس.

٥٥ ــ تاريخ التمدن الاسلامي ج٣، ص: ١٣٣ ط، د. حسين مؤنس.

الآشوريين و البابليين و المصريين و الفرس و الهنود و اليونان. و قد مزجوا ذلك كله و عجنوه و استخرجوا منه علوم التمدن الاسلامى الدخيلة»[٥٦].

اول حوزة علمية:

نمت و اثمرت العلوم و الثقافات و التمدن و الحضارات الاسلامية بصورة عامة، كأي موجود حيّ يظهر كخلية واحدة و ينموتدريجياً تبعاً لاستعداد الحياة فيه، و يتفرع على نفسه فروعاً واغصاناً واقساماً مترابطة.

و كذلك بدأت الحركة العلمية الاسلامية من نقطة انطلاق معينة و موضوع خاص وعلى يد اشخاص معينين. فلنر ماهى تلك النقطة المعينة؟ واين هو المكان الذى انطلقت منه؟ واين تأسست اول حوزة علمية للمسلمين؟

أجل: بدأت الحركة العلمية الإسلامية فى المدينة المنورة. و اول كتاب استقطب افكار المسلمين الى نفسه و سعى المسلمون الى درسه و فهمه وادراكه هو القرآن ثم الحديث. و هكذا تعرّف عرب الحجاز لاول مرة فى المدينة على التلمذة و الجلوس فى مجالس الدرس والحفظ و الضبط و الكتابة و الاستماع الى الاساتذة استماع تعلم و دراسة، فكان المسلمون يجتمع بعضهم الى بعض كى يتعلموا و يحفظوا بحرص وولع كثير ما كان ينزل تدريجياً على رسول الله صلى الله عليه وآله من آى الذكر الحكيم، وكانوا يسألون مالا يعلمون أهل الذكر ممن كان رسول الله صلى الله عليه و اله يامرهم بكتابة الآيات و عرفوا فيما بعد بكتاب الوحي. و يتعلمون ايضاً أحاديث الرسول التى كانت تبيّن سنته الشريفة و احكام الشريعة. و هذه الحلقات كانت تعقد فى مسجد الرسول و يتعلم فيها المسلمون المسائل الدينية فى أثناء البحث والكلام. و قد دخل الرسول صلى الله عليه و آله يوماً الى مسجده ورأى فيه حلقتين احداهما للعبادة و الاخرى للتعلم، و بعد أن أجال ببصره عليهما قال: «كلاهما على خير، ولكن، بالتعليم ارسلت» ثم ذهب وجلس الى الحلقة العلمية[٥٧].

و بعد المدينة اصبح العراق محطاً للحركة العلمية ومنه المصران العراقيان البصرة و الكوفة. و بعد بناء بغداد اصبح هومركزاً علمياً للخلافة العباسية، و فى بغداد ترجمت العلوم الى العربية.

---

٥٦ ــ تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ج٣، ص: ١٨٢ ط: د. حسين مؤنس.

٥٧ ــ منية المريد في آداب المفيد والمستفيد للمرحوم الشهيد المطهري (قدس سره) ص: ٥.

و بعد بغداد صاركل من رى و خراسان و ماوراء النهر، و مصر و الشام والاندلس، و غيرها مركزاً لحوزات علمية.

و بعد أن يذكر جرجى زيدان أنّ تشويق الامراء والحكام المسلمين كان عاملاً مؤثراً فى انتشار العلوم، يقول:

«فلا عجب ــ والحالة هذه ــ اذا كثر المؤلفون و تعددت مؤلفاتهم و اتسعت مباحثهم، و كان منهم الملوك و الأُمراء و الوزراء و الاغنياء و الفقراء، و فيهم العرب و الفرس والروم و اليهود و السريان و الهنود و الترك والديلم والقبط، و غيرهم من الملل الخاضعة للاسلام فى انحاء العالم المتمدن يومئذٍ، فى الشام و مصر و العراق و فارس و خراسان و ماوراء النهر و الهند و فى المغرب والاندلس و غيرها. و قد حوت مؤلفاتهم البحث فى كل ما انتجته قريحة الانسان الى ذلك الزمان، من الطبيعيات والالهيات و العقليات والرياضيات و النقليات. و دعت ابحاثهم الواسعة الى تشعب العلوم و تفرّعها»[58].

كان فى بدء حركة ترجمة العلوم اكثر العلماء من المسيحيّين ولاسيما السُريانيين، الا أنّ المسلمين شغلوا أماكنهم الشاغرة بعدهم تدريجياً. يقول جرجى زيدان:

«ان بذور العلم التى القاها خلفاء النهضة العباسية فى بغداد ظهرت ثمارها فى خراسان و الرى و خوزستان و آذربايجان و ماوراء النهر، و فى مصر و الشام والاندلس و غيرها. و ظلت بغداد مع ذلك حافلة بالعلماء بقوة الاستمرار و بمافيها من أسباب الثروة ولانها مركز الخلافة. فنبغ فيها جماعة من أهل العلم المسلمين، فضلاً عن الاطباء النصارى الذين كانوا يخدمون الخلفاء فى التطبيب و الترجمة. على أن اكثر العلماء غير المسلمين الذين نبغوا فيها بعد تلك النهضة كانوا يتقاطرون اليها من انحاء جزيرة العراق و غيرها لخدمة الخلفاء. أما المسلمون فالغالب ان يكون ظهورهم خارج العراق، ولاسيما و ان اكثر ملوك الدول الجديدة التى تفرعت من الدولة العباسية اقتدوا بخلفاء النهضة العباسية فى ترغيب اهل العلم و استقدامهم الى عواصمهم في القاهرة و غزنة و دمشق و نيسابور و اصطخر و غيرها، فالرازي من ري وابن سينا من بخارى في تركستان، والبيرونى فى بيرون في بلادالسند، وابن جلجل النباتي من اهل الاندلس، و كذلك ابن ماجة الفيلسوف وابن زهر الطبيب وأقاربه آل زهر و ابن رشد و ابن الرومية النباتى، وكلهم من الاندلس»[59].

فأول خلية للثقافة و العلوم الاسلامية ظهرت الى الحياة فى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وهى أول نقطة بذرت فيها بذرة الحضارة الاسلامية.

---

٥٨ ــ تاريخ التمدن الاسلامي. جرجي زيدان، ط. د. حسين مؤنس، ج ٣، ص: ١٩٣.

٥٩ ــ نفس المصدر، ص: ١٨٩.

فما هو الموضوع الاول؟

و أما اوّل موضوع استقطب التفات المسلمين الى نفسه و بدأ المسلمون حركتهم العلمية منه، فهو القرآن الكريم؛ فان المسلمين بدأوا علومهم من التحقيق و البحث فى معانى و مفاهيم آيات القرآن الكريم ثم الحديث الشريف، و لهذا كانت مدينة الرسول صلى الله عليه و آله اول مدينة ظهرت فيها الحركة العلمية، و اول مركز علمى للمسلمين هو مسجد الرسول فيها، و اول موضوع علمى هو مايتعلق بالقرآن و السنة، و اول معلم هو الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم. و القراءة و التفسير و الكلام و الحديث و الرجال و اللغة و الغو و الصرف و البلاغة و التاريخ و السيرة و غيرها مما يعد من العلوم الاسلامية الاولى انما وُجدت لحفظ القرآن و السنة.

و يقول ادوارد براون: «اثبت لنا البروفيسور دخويه، المستشرق المتعرب الكبير، فيما كتبه فى الطبرى و قدماء المؤرخين العرب للمجلد الثالث و العشرين من دائرة المعارف البريطانية، بصورة تستحق الثناء و التقدير، أثبت كيف أن العلوم المختلفة و لاسيما التاريخ الاسلامي تطورت فى ظل القرآن الكريم، وكيف أن هذه العلوم تمركزت حول الحكمة الالهية. قال: ان العلوم اللغوية كانت فى الدرجة الاولى طبعاً، و ما أن اقبل الاجانب على قبول الاسلام حتى أحسّوا بالحاجة الفورية الى علوم الصرف والنحو واللغة، وذلك أن القرآن الكريم كان بلغة العرب، و لشرح معانى الكلمات النادرة و الغريبة (نسبياً) احتاجوا الى تتبع الاشعار العربية القديمة بقدر الامكان... و لفهم معانى هذه الاشعار العربية أحسّوا بضرورة علم الأنساب و الاطلاع على الأيام وأخبار العرب بصورة عامة. و لتكميل الاحكام النازلة فى القرآن الكريم لامور الحياة لزمهم السؤال من الاصحاب و التابعين عن أقوال و افعال النبى صلى الله عليه و آله فى مختلف الاحوال و الاوضاع، و هكذا ظهر فى النتيجة علم الحديث. و لمعرفة اعتبار الأحاديث لزم الوقوف على أسناد الأحاديث، وللتحقيق فى حقيقة الاسناد كان من الضرورى الوقوف على التواريخ و السير واوصاف و احوال هؤلاء الاشخاص، و جرّ هذا الى مطالعة احوال مشاهير الرجال و ترتيب علم الوقائع والأزمنة. ولم يكن تاريخ العرب كافياً لفهم معانى كثير من الاشارات الموجودة فى القرآن بل ان تواريخ مجاورى العرب من الايرانيين و اليونانيين و الحميريين والحبشيين و غيرهم كان الى حدّ ما لازماً لفهم تلك الإشارات. و لنفس هذا السبب و لجهات عملية اخرى كانت ترتبط باتساع رقعة الاسلام عدّوا علم الجغرافيا أيضاً واجباً الى حدّ ما» [٦٠].

---

٦٠ ــ بالفارسية: تاريخ أدبيات إيران، ص: ٣٩١ ــ ٣٩٢.

و جرجی زیدان أیضا یبني نظره علی هذا الأساس، فانه أیضاً یقول: ان التفات المسلمین الی العلوم بدأ من القرآن الکریم، اذ کان المسلمون قد اعجبوا بالقرآن و اهتموا بتلاوته تلاوة صحیحة، فان القرآن کان قد ضمن لهم دینهم و دنیاهم، و لذلک فهم صرفوا جمیع مساعیهم فی فهم احکام القرآن. ان احساس المسلمین بالحاجة الی فهم الفاظ و معانی القرآن اوجد لهم مختلف العلوم الاسلامیة. و خلاصة القول ان الخلیة الحیّة التی ظهرت فی المجتمع الاسلامي ونمت وتکاملت حتی اوجدت ذلک التمدن الاسلامی العظیم؛ هی تلک العلاقة بین المسلمین و القرآن التی کانت تصل بهم الی حدّ الاعجاب به. و بشأن هذا الاعجاب العظیم للمسلمین بالقرآن الذی اصبح منشأ اقبال المسلمین علی فتح ابواب العلوم یقول جرجی زیدان: «وقد عنی المسلمون فی کتابة القرآن و حفظه عنایة لیس بعدها عنایة، فکتبوه علی صفائح الذهب و الفضة، و علی صفائح العاج، و طرزوا آیاته بالذهب و الفضة علی الحریر والدیباج، و زیّنوا بها محافلهم و منازلهم، و نقشوها علی الجدران فی المساجد و المکاتب و المجالس، و رسموه بکل الخطوط و اجلها علی کل اصناف الرقوق و الجلود و الکواغد بالادراج و الکراریس و الرقاع باصناف المداد و الوانها و ملأوا بین الکلام بالذهب. و کان الخلفاء و الأمراء و السلاطین یتبرکون بکتابة المصاحف بایدیهم ویختزنونها فی المساجد اونحوها. و فی دارالکتب الخدیویة (المصریة) بالقاهرة امثلة کثیرة من المصاحف المخطوطة بمعظم الاشکال المذکورة من القلم الکوفی الخالی من الشکل والاعجام الی اتمام الاعجام و الشکل و مابینهما. و قد ضبطوا عدد سور القرآن و آیاته و کلماته و حروفه، و عدوا ما فیه من الألفات و الباءات الی الیاءات»[٦١].

و یقول: «...وارتسمت عباراته علی ألسنة ادبائهم، و اصبح هوالمرجع فی الشرع و الدین و اللغة و الانشاء و فی کل شيء. فاقتبسوا أسالیبه فی خطبهم و کتبهم، و تمثلوا بآیاته فی مؤلفاتهم، و ظهرت آدابه و تعالیمه فی اخلاقهم و اطوارهم، مع تباعد الامم التی اعتنقت الاسلام فی اصولها و لغاتها و بلادها. و استشهدوا باقواله و نصوصه فی علومهم اللسانیة، فضلاً عن العلوم الشرعیة. فقد کان فی کتاب سیبویه وحده ٣٠٠ آیة من القرآن، و اصبح اهل البلاغة لا تروق لهم الکتابة اوالخطابة الا اذا رصّعوها بشيء من آی القرآن»[٦٢].

و یقول جرجی زیدان: «کان فی المکتبة التی أسسها العزیز بالله ثانی خلفاء الفاطمیین، بمساعدة و ترغیب و زیره یعقوب بن کلس، عند استیلاء صلاح الدین الایوبی علی مصر. ٣٤٠٠ ختمة قرآن بخطوط منسوبة، محلاة بالذهب»[٦٣].

---

٦١ ــ تاریخ التمدن الاسلامي، ج ٣، ص: ٦٩ ــ ٧٠.

٦٢ ــ المصدر السابق، ج ٣، ص: ٦٨.

٦٣ ــ المصدر السابق، ج ٣، ص: ٢٣١.

و ان جناح المصاحف الموجود الآن فی متحف الروضة الرضویة بمایشتمل علیه من مصاحف مذهبة منقشة بنقوش جذّابة، علامة بارزة علی علاقة هذه الأمة بهذا الکتاب المقدس.

ان الحرکة العلمیة و الثقافیة الاسلامیة بدأت علی النحوالذی ذکرناه.

و الآن نبحث بشأن المشترکین فی هذه الحرکة العلمیة و الثقافیة.

ان اکثر الآثار العلمیة التی نقلت و ترجمت من خارج العالم الاسلامی و ان کان من غیر ایران، الا أن اکثر الآثار الاسلامیة سواء في العلوم الدینیة اوغیرها کانت من مساعی المسلمین الایرانیین، و هذا هو فخر ومیزة المسلمین الایرانیین علی العهد الاسلامی.

یقول ادوارد براون: «نحن اذا اخرجنا ما کتبه الایرانیون مما عرف باسم العرب و العلوم العربیة من التفسیرو الحدیث والإلهیات والفلسفةوالطب و اللغة و تراجم احوال الرجال و حتی الصرف والنحو،اذا اخرجناه من سائر ماکتبه غیرهم، نکون قد اخرجنا احسن ماکتب من هذه العلوم» [٦٤].

نحن لانرید أن نبالغ و نغض الطرف عن حقوق المسلمین غیر الایرانیین، فان التمدن و الثقافة الاسلامیة لیست ملکاً لقومیة خاصة بل هی لعامة المسلمین، ولا یحق لأی أُمة ــ من العرب و غیرهم ــ أن یسجلوها باسمهم. و لکن کما قلنا سابقاً یحق لای امة أن توضّح ما اسهمت به فی هذه الثقافة والحضارة.

متی بدأ التدوین و التألیف؟

لایدعی المستشرقون و اتباعهم و اذنابهم عدم شیوع التدوین و التألیف فی صدر الاسلام علی عهد الخلفاء الاوائل بل یدعون أن ذلک کان ممنوعاً (شرعاً!) و یستندون فی ذلک الی کلمات کانت تروی عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی المنع عن الکتابة و التألیف، و أن ذلک انما شاع بعد توسّع الإسلام و انهم رووا فی ذلک احادیث توصی بالتألیف و التصنیف عن النبی الکریم.

یقول جرجی زیدان:

«ان الخلفاء الراشدین کانوا یخافون الحضارة علی العرب، لئلا تذهب بنشاطهم و بداوتهم. و لذلک منعوهم من تدوین الکتب، لان علومهم فی اوائل الاسلام کانت قاصرة

---

٦٤ ــ بالفارسیة: تاریخ أدبیات ایران ج ١، ص: ٣٠٣.

على القرآن و التفسير و رواية الاحاديث، و نظراً لقلة الاختلاف و لسهولة المراجعة و الاستفتاء من ثقات الصحابة و التابعين، لقرب عهدهم من صاحب الشريعة كانوا فى غنى عن تدو ين تلك العلوم... فلما انتشرالاسلام و اتسعت الأمصار و تفرقت الصحابة فى الاقطاروحدثت الفتن واختلفت الآراء و كثرت الفتاوى و الرجوع الى الكبراء، اضطروا الى تدو ين الحديث و الفقه و علوم القرآن،واشتغلوا فى النظر والاستدلال و الاجتهاد و الاستنباط، و تمهيد القواعد والاصول و ترتيب الابواب و الفصول، فرأ وا ذلك مستحباً فعمدوا الى التدو ين و رجعوا الى حديث رواه انس بن مالك و هو قوله: «قيدوا العلم بالكتابة» وقوله: «العلم صيدوالكتابة قيد»...[٦٥].

ان ماينسبه جرجى زيدان الى الخلفاء الراشدين كذب محض، فلم يكن هناك خوف من التمدن والحضارة ولاخوف من الكتابة والتدو ين التي اعتبرها جرجى زيدان جزءاً من ذلك. وانما الذى كان هو منع صحابة الرسول عن الخروج من المدينة واستيطانهم فى بلدآخر، ومنعهم عن كتابة الاحاديث النبو ية فحسب. وهذان انما هما من الخليفة الثانى عمر لامن جميع الخلفاء الراشدين كما يقول. وقد ذكر فى اقدم كتب التاريخ ــ كما نعلم ــ اختلاف وجهة نظر الامام على عليه السلام وآخرين من الصحابة من جانب مع عمر و آخرين من الصحابة من جانب آخر حول مسألة كتابة الحديث. وسنتكلم فى هذا الموضوع فيما ياتى ان شاءالله تعالى. وقد نقض الامام على عليه السلام منع عمر للصحابة عن الخروج من المدينة بخروجه هو عليه السلام من المدينة الى الكوفة واستيطانه بها مع جمع كثير من الصحابة معه. وعلى هذا فلا أساس لكلام جرجى زيدان اصلاً ولا فرعاً.

و يدعى ادوارد براون أن القرن الاول الهجرى قد مضى على المسلمين ــ مع اشتياقهم العلمى ــ ولم يدونوا كتاباً لهم، وانما كانوا ينقلون معلوماتهم بالحديث المحفوظ الملفوظ سلفاً الى الخلف، وان القرآن الكريم هو الأثر النثري الوحيد الذى كان يكتب بينهم ويحافظ عليه مكتوباً. يقول:

«ان طلب العلم انما كان يتحقق فى القرن الاول الهجرى بالرحلات والاسفارالتي كانوا يقومون بها لطلبه، و قد كان لكل رحلة فى المرحلة الاولى دواع و اسبابٌ، حسب مقتضيات الاوضاع و الاحوال، الا أن الرحلة لطلب العلم اصبحت رسماً جارياً بل حتى انها تبدّلت الى نوع من الجنون و الغرام الفارغ، و اصبحوا يستدلون لرحلاتهم بأمثال هذا الحديث «من سلك سبيلاً يطلب فيه علماً سلك الله به سبيلاً الى الجنة» و ان مكحولا كان عبداً

---

٦٥ ــ تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣، ص: ٥٥ ــ ٥٦ ط. د. حسين مؤنس.

مملوكاً فى مصر، فلما اعتق لم يخرج منها حتى طلب كل ما كان متداولاً من العلوم فى مصر على عصره، ولمارافقه التوفيق لاستيفاء هذا الطريق رحل الى الحجاز و العراق والشام لعله يعثر على حديث معتبر فى تقسيم الغنائم» [٦٦].

ولا أساس لهذه النظرية فاننا بالنظر الدقيق فى الآثار الاسلامية لصدرالاسلام نعلم أن الكتابة و التذكرة كانت معمولة و موجودة على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و انها استمرت من بعده، ولنا لاثبات هذا مدارک و أسانيد كثيرة، وقد نقل المترجم لكتاب براون الى الفارسية كلاماً فى هامش الترجمة عن كتاب «مصنفات الشيعة الامامية فى العلوم الاسلامية» للعلامة الفقيد شيخ الاسلام الزنجانى لرد هذه النظرية و اثبات خلافها [٦٧] و كذلک اثبت زيف هذه النظرية العلامة الجليل المرحوم آية الله السيد حسن الصدر اعلى الله مقامه فى كتابه النفيس «تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام» و سننقل شيئاً منه فى ضمن المباحث الآتية و خوفا من اطالة الكلام لاننقل شيئاً منه هنا [٦٨].

عوامل التقدم السريع:

كان من عوامل سرعة تقدم المسلمين فى العلوم انهم لم يتعصبوا فى احد العلوم والفنون والصنايع، بل كانوا ينتفعون بما يجدونه من ذلک فى اى مكان و بيدكل أحد، و كانوا يتسامحون فى سبيل ذلک فى معاشرة من سواهم.

---

٦٦ ــ بالفارسية: تاريخ أدبيات إيران ج ١، ص: ٣٩٦.

٦٧ ــ يراجع هامش المجلد الاول من الترجمة الفارسية لتاريخ ادبيات ايران لادوارد بروان، ص: ٣٩٢ــ٣٩٦.

٦٨ ــ وراجع كتاب: النبي الأمي ــ للمؤلف ــ تعريب الشيخ التسخيري. ولايقصد المرحوم المؤلف بقوله (المباحث الآتية) بحثا مستقلاً حول هذا الموضوع وإنما قال في ضمن المباحث الآتية) ثم لم يأت في ضمن المباحث الآتية إلاّ ــ كما قال ــ بشيء مما جاء به المرحوم العلامة السيد الصدر في كتابه (تأسيس الشيعة) ولم يعقد المرحوم الصدر في كتابه هذا بحثا خاصا لتزييف أورد نظرية تأخر عامة المسلمين عن الكتابة كراهة أو تحريما من جانب الخلفاء أومن الخليفة الثاني فقط، وانما أثبت سبق الامام أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه وشيعته الى رواية وكتابة وتدو ين الأحاديث والأحكام والفقه وأسماء الرجال وتاريخ الحروب وتأليف الكتب وتصنيفها.

وقد وعد المؤلف قبل هذا بقوله (وسنتكلم في هذا الموضوع بعدهذافيمايأتي ان شاءالله تعالى)وليته كان يفي بوعده هذا، لكنه لم يتكلم في هذا الموضوع بعد هذا أبدا. وعسى الله ان يوفقني لا تمام مسودات لي في هذا الموضوع وانجازها واخراجها ــ المعرّب.

و كما نعلم ان أحاديث الرسول الكريم كانت قد لفتت انظار المسلمين الى أن ينتفعوا بالعلم و الحكمة اينما وجدوها و فى يدكل احد، فقد قال صلى الله عليه و آله، «كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها»[٦٩] و فى نهج البلاغة «الحكمة ضالة المؤمن فخذالحكمة ولو من أهل النفاق»[٧٠] و من كلمات الرسول القائدايضاً قوله: «خذ الحكمة ولومن المشركين»[٧١] و روى الائمة عليهم السلام عن السيد المسيح انه كان يقول: «خذوا الحق من اهل الباطل ولا تأخذوا الباطل من اهل الحق، وكونوا نقاد الكلام»[٧٢] ان هذه الروايات هى التى اوجدت الارضية المساعدة لسعة النظرة و شمولها و عدم التعصب عند المسلمين فى تلقى العلوم و المعارف من غير المسلمين، و هى التى اوجدت فى المسلمين روح المسامحة و التساهل و عدم التثاقل فى تعلم العلوم و الصناعات من غير المسلمين، فهم كانوا ينظرون الى مايأخذون و لاينظرون الى من يأخذون منه و لايهتمون لذلك، بل كانوا يرون انفسهم ورثة الكتاب و الحكمة و اصحابها الاصليين فى العالم كما تعلموا ذلك من قائدهم العظيم الرسول الكريم، بل كانوا يرون الحكمة عند غيرهم عارية يجب ان تؤخذمنه، كما قال العارف المولوى فى شعره:

...ان الحكمة عارية لديك يا أخى
...كما أن الجارية عارية لدى النخاسين

بل كانوا يعتقدون بأن العلم و الايمان يجب أن لاينفصل احدهما عن الآخر، و أن الحكمة فى البيئة غير المؤمنة غريبة يجب أن تنقذ، و أن وطن الحكمة هوقلوب أهل الايمان، و لاشك فى فهم هذه المعانى من هذا الحديث: «كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها» و لذلك فقد كان همّ المسلمين أن يتوصلوا الى علوم العالم و معارفه.

و يقول جرجى زيدان بشأن عوامل سرعة تقدم التمدن و الحضارة الاسلامية:

«و من العوامل الفعالة فى سرعة نضج العلم فى النهضة العباسية، و كثرة ما ترجم فى تلك المدة القصيرة، ان الخلفاء اصحاب تلك النهضة كانوا يبذلون كل مرتخص و غال فى سبيل نقل الكتب، و يرغبون النقلة و غيرهم بالبذل و الاكرام و المحاسنة، بقطع النظر عن مللهم أونحلهم او أنسابهم، و قد كان فيهم النصرانى واليهودى والصابئي والسامرى و

---

٦٩ ــ بحارالأنوار: ج ٢، ص: ٩٩ ط جديد.

٧٠ ــ نهج البلاغة: الحكمة ٨٠.

٧١ ــ بحار الانوارج ٢ ط جديد، ص: ٩٧.

٧٢ ــ بحار الانوارج ٤، ص: ٩٦.

المجوسى. فكان الخلفاء يعاملونهم كافة بالرفق و الاكرام، مما يصح أن يكون مثالاً للاعتدال و الحرية و قدوة لولاة الأمور فى كل العصور» [٧٣].

ثم ينقل جرجى زيدان قصة رثاء السيد الشريف الرضىّ لأبى اسحاق الصابئي و يقول: «ولم يمنعه شرفه فى الاسلام من هذا الرثاء»! و يدلك ذلك على أنّ التعصّب او التساهل انما يكون مصدرهما من صاحب الأمر و النهى، فاذا كان الأمير معتدلاً او متعصباً كانت رعيته مثله، و لذلك فقد كان التساهل فى عصر النهضة العباسية شاملاً، على الخصوص الخلفاء وأهل الوجاهة والعلم. ولم يكن العالم المسلم يستنكف أن يأخذ العلم عن نصرانى، حتى الفارابى الفيلسوف الكبير فقد اخذ بعض علمه عن احد نصارى نجران» [٧٤].

... الا أن هذه النتيجة غير صحيحة عندنا... فان السيد الشريف الرضى لم يكن يتبع فى فكره وفعله هذا أحداً من الخلفاء بل لم يكن تابعاً للخلفاء اطلاقاً، فهو لم يكن ليتعلم سعة الصدر و النظر من الخلفاء، بل من شريعة الاسلام و مبلّغه و احترامه للعلم و العلماء على أى حال، و لذلك فقد اجاب السيد من اعترض عليه فى ذلك بقوله: «انى رثيت علمه لاشخصه»!

و الدكتور زرين كوب فى كتابه يعدّ روح التسامح و عدم التعصّب فى المسلمين عاملاً مهماً فى سرعة تقدم المسلمين. [٧٥]

و العامل الآخر المؤثر فى اقبال المسلمين على طلب العلوم هو ترغيب الاسلام الاكيد على ذلك. و جرجى زيدان مع ما فيه من التعصب للمسيحية مما يبدو جلياً فى بعض الموارد و احياناً يصر على أن المسلمين كانوا يخالفون كل كتاب سوى القرآن... مع ذلك نراه يعترف بأن ترغيب الاسلام فى طلب العلم كان عاملاً مؤثراً فى ذلك... يقول:

«ولما اتسع سلطان المسلمين و فرغوا من انشاء العلوم الاسلامية ــ وقد تأيدت دولتهم و ذهبت عنهم السذاجة والغفلة عن الصناعات، و اخذوا في أسباب الحضارة بالحظ الوافر و تفننوا فى الصناعات و العلوم ــ تشوّقوا الى الاطلاع على العلوم الفلسفية بما سمعوه من الأساقفة والقساوسة، و هان عليهم ذلك بالاسناد الى الحديث النبوى القائل: الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها، ولايبالى من أى وعاء خرجت» و قوله: «خذوا الحكمة ولو من ألسنة المشركين» و «طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة» و «اطلبوا العلم من المهد الى اللحد» و «اطلبوا العلم ولو بالصين» [٧٦].

٧٣ــ نفس المصدر السابق: ج ٣، ص: ١٨٣.

٧٤ــ تاريخ التمدن الاسلامي: ج ٣، ص: ١٨٥.

٧٥ــ بالفارسية: كارنامهٔ اسلام، ص: ١٣ــ ١٦.

٧٦ــ تاريخ التمدن الاسلامي، ج ٣، ص ١٥٣.

و يقول الدكتور زرّين كوب:

«انّ التشويق الأكيد الذى كان يقوم به الاسلام فى التوجه الى العلم و العلماء كان من عمدة العوامل فى تعرف المسلمين على الثقافة و العلوم الانسانية؛ ان القرآن الكريم كان يدعو الناس مكرراً الى التفكر و التدبّر فى أحوال الكائنات و التأمل فى اسرار آيات التكوين، وكثيراً ما كان يشير الى تفضيل اهل العلم ودرجاتهم، وقد عدّ فى موردمن آياته شهادة «اولى العلم» تاليةً لشهادة الله و الملائكة، و قد قال الامام الغزّالى: كفى بهذا فى نبل العلم و فضل أهله. اضف الى ذلك أن هناك أحاديث كانت تروى بمختلف الاسانيد تحكى عن تكريم العلماء و اهل العلم، فهذه الاحاديث و ان كانت مورد البحث و الاختلاف صدوراً و دلالة ولكنها لاشك كانت من الأمور التى اوجبت مزيد رغبة المسلمين فى العلم و الثقافة، و دفعتهم الى التأمل و التدبر فى احوال الكون و التفكر و الفحص عن أسرار الكائنات. اضف الى ذلك أن رسول الاسلام كان يرغّب المسلمين فى طلب العلم عملاً، فضلاً عن القول، فقد حرّر كل من علّم عشرة من ابناء المسلمين فى المدينة القراءة و الكتابة، و هوالذى أمر زيد بن ثابت بتعلم العبرية او السريانية اوكليهما، فهذا الترغيب هو الذي اوجب إقبال أصحابه على طلب العلوم، فقد تعلم ابن عباس كتب التوراة و الانجيل على ماهو مشهور، و الم عبدالله بن عمرو بن العاص بالتوراة و وقف على السريانية. ان تأكيدات النبي [صلى الله عليه و آله] هى التى زادت فى علاقة المسلمين بالعلوم و هى التى اكرمت العلماء و أهل العلم بين المسلمين و عظّمتهم»[٧٧].

و الآن لنرد البحث حول الدور المهم و المؤثر للايرانيين فى العلوم و الثقافات الاسلامية.

ان هدفنا فى هذا الكتاب هو توضيح الدور المؤثر للايرانيين فى تكوين و تدوين العلوم و الثقافات الاسلامية. و ما ذكرناه هو من باب المقدمات الضرورية... ولانريد قطعاً أن نسلك سبيل المبالغة و نغض النظر عن حقوق سايرالافراد والأُمم الذين قد يكون لهم فى هذا المضمار حظّ عظيم؛ فان التمدن الاسلامى ــ كما كررنا ــ ليس من مآثر قومية خاصة بل انه من الاسلام والمسلمين، ولايحق لأية امة ان تسجله باسمها الخاص، عربيةً اوغيرها... الا انه يحق لكل امة أن تعين وتشخّص حظّها من ذلك.

القراءة و التفسير:

ان اول علم تكوّن من العلوم الاسلامية هو علم القراءة ثم التفسير، فالقراءة ترتبط

٧٧ــ بالفارسية: كارنامهٔ اسلام، ص: ١٧ــ١٨.

بكيفية التلفّظ بالفاظ و كلمات القرآن، و التفسير يرتبط بمفاهيم و معانى كلام الله المجيد.

فى القراءة تبيّن اصول و قواعد الوقف و الوصل والمد و التشديد و الادغام و غيرها، اضف الى ذلک أن بعض كلمات القرآن قد قرئت باشكال مختلفة فتُبيّن تلک الاشكال فى علم القراءة.

ان الصحابة كانوا يتعلمون قراءة القرآن من النبى الاعظم صلى الله عليه و آله و سلم و كان الرسول الكريم يباشر بتعليم بعضهم ثم يأمرهم بتعليم الباقين. و كان التابعون الذين لم يدركوا عصر الرسول الكريم يتلقون قراءة القرآن من قراءة الصحابة. و هكذا وجدت جماعة تخصّصوا فى قراءة القرآن بصورة صحيحة و تعليمها للآخرين، و قد اقبل المسلمون على هؤلاء القرّاء المتخصصين بحرص و ولع شديدين فى تعلّم القراءة الصحيحة للقرآن الكريم، و كان هؤلاء القراء المتخصصون يروون قراءتهم عن النبى اوصحابته وكان لكل واحد منهم بدوره تلامذة متخصّصون ترجم لهم أصحاب المعاجم والتراجم.

و امّا ما هوالسبب فى اختلاف القراءات؟ وهل كانت هذه القراءات المختلفة موجودة حتى على عهد الرسول الكريم ام لا؟ وعلى الاوّل فهل كان ذلک باذنه صلى الله عليه و آله؟ و بعبارة اخرى: هل كانت هذه الكلمات اوحيت اليه صلى الله عليه و آله كما هى عليه الآن باختلاف القراءات؟ ام انّ سبب اختلاف القراءات هوما يظهر فى سائر الكتب من اختلاف نقل الرواة؟.. فهذا موضوع يجب أن يبحث على حدة. و الذى يسلّم به المسلمون هو أنهم كانوا يبذلون منتهى مساعيهم كى يقرأوا القرآن كما يقرأه الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و سلم، و لذلک فهم كانوا يتعلمون قراءته عند من تعلّمه عندالرسول مباشرة او بالواسطة.

بدأ القرّاء بتعلم فنّ القراءة من اساتيذهم و معلميهم شفاهاً و حفظاً فى الصدور و يعلمونه تلاميذهم كذلک، ثم كتبوا كتباً فى ذلک.

وادّعى بعضهم أن أول من الف كتاباً فى علم القراءة هو ابوعبيد قاسم بن سلام المتوفى فى ٢٢٤ هجرية. و هذا مردود؛ فان حمزة بن حبيب من القراء السبعة و هو من الشيعة كان يعيش قبل ابى عبيد بقرن، و قد الف كتاباً فى فنّ قراءة القرآن الكريم... كما حقق ذلک العلامة الكبير آية الله المرحوم السيد حسن الصدر واستشهد لذلک بكلام ابن النديم فى الفهرست و كلام النجاشى فى الفهرست. بل ان اول من دون علم القراءة كما ذكر هؤلاء هوأبان بن تغلب من اصحاب الامام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

و يثبت المرحوم السيد الصدر أن اول من جمع القرآن و كتبه هو أميرالمؤمنين على عليه السلام، و أن اول من نقط المصحف (ولم ينقط قبله) هو ابوالاسود الدؤلي من أصحاب اميرالمؤمنين عليه السلام، و أن اول من صنف كتاباً فى علم القراءة هو ابان بن تغلب و هو اول من كتب كتاباً فى معانى غريب القرآن، و أن اول من كتب كتاباً فى فضائل القرآن هو

الصحابي الشهير ابي بن كعب المعروف بولائه لعلي عليه السلام، و أن اول من الف كتاباً في مجازات القرآن هو الفراء النحوي المعروف الشيعي الايراني، و أن اول من كتب كتاباً في احكام القرآن هو محمد بن السائب الكلبي الشيعي الكوفي، و أن اول من صنف كتاباً في التفسير هو سعيد بن جبير التابعي الذي قتله الحجاج على ولائه لعلي عليه السلام [٧٨].

و على اي حال فقد عرف من بين التابعين و تابعي التابعين الذين كانوا يعيشون في القرن الاول و الثاني من الهجرة عشرة منهم بعنوان أنهم متخصصون في فن قراءة القرآن، عرف سبعة منهم بعنوان «القراء السبعة» و هم: نافع بن عبدالرحمن، و عبدالله بن كثير، و ابوعمرو ابن العلاء، و عبدالله بن عامر، و عاصم بن أبي النجود، و حمزة بن حبيب، و علي الكسائي.

اربعة من هؤلاء السبعة ايرانيون و ثلاثة منهم غير ايرانيين، من كل من الاربعة و الثلاثة اثنان من الشيعة و ماعداهما من غيرالشيعة. فقد روى العلامة الجليل المرحوم السيد حسن الصدر في كتابه «تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام» [٧٩] عن الشيخ عبدالجليل الرازي: أن اكثر ائمة القراءة من العدلية (المعتزلة اوالشيعة) و على اي حال فان اربعة منهم ايرانيون و هم:

١ــ عاصم بن أبي النجود، فانه كان من الموالي العجم، و قد تتلمذ في القراءة على أبي عبدالرحمن السلمي و هو كان تلميذ علي عليه السلام، و قد عرفت قراءته أنها أجود القراءات. فقد جاء في «ريحانة الادب» مانصه: «ان اصول المصاحف كتبت على موافقة قراءة عاصم، و كتب سائر القراءات بخط أحمر في الهوامش» [٨٠]. كان عاصم يعيش في الكوفة و توفي بها. وقد صرّح بتشيعه القاضي نورالله التستري في كتابه «مجالس المؤمنين» و العلامة السيد حسن الصدر في كتابه تأسيس الشيعة [٨١] و توفي في حدود عام ١٣٠ هـ.

٢ــ نافع بن عبدالرحمن، و قد صرح ابن النديم في كتابه «الفهرست» بأنه اصبهاني الاصل سكن المدينة. و جاء في «ريحانة الادب»: أن نافعاً كان شديد السمرة، وفي القراءة إمام اهل المدينة وكانوا يعتمدون على قراءته و رأيه. و هو كان قداخذ القراءة من يزيد بن القعقاع احد القراء العشرة. و مات نافع سنة ١٥٩ أو ١٦٩.

٣ــ عبدالله بن كثير؛ قال ابن النديم: قيل ان ابن كثير كان من ابناء الفرس الذين بعثهم انوشيروان الى اليمن كي يأخذوا الحكم فيها من الحبشة و يرجعوه ليد سيف بن ذي يزن اليمني... و قد بينّا نحن سابقاً الدور المهم لهؤلاء في نشر الاسلام في اليمن. و جاء في «ريحانة

٧٨ــ تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام. ص: ٣١٦ــ ٣٢٢.

٧٩ــ نفس المصدر السابق. ص: ٣٤٦.

٨٠ــ ريحانة الأدب، ج ٤، ط ٢، صفحة ٤٢٦.

٨١ــ تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، ص: ٣٤٦.

الادب»: ان ابن كثير كان قد اخذ اصول علم القراءة من مجاهد عن ابن عباس عن علي عليه السلام. وكانت وفاته عام ١٢٠ هـ.

٤ــ على بن حمزة الكسائي، و حمزة ابوه ــ على ماجاء فى الفهرست لابن النديم ــ هو ابن عبدالله بن بهمن بن فيروز. و قد كان الكسائي من مشاهير الادب العربى و من اكابر النحويين، و كان معلم ابناء هارون الرشيد، و كان معه فى سفره الى خراسان و مات بالرّى و دفن مع محمد بن الحسن الشيبانى الفقيه و قاضى القضاة فى يوم واحد بالرّى، فقال هارون: لقد دفنا اليوم الفقه و العربيّة بالرّى. مات فى اواخر القرن الثانى للهجرة. و كان الكسائي يتشيّع.

أما التفسير:

فقد كان المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله يسألون مايشكل عليهم من معانى و مفاهيم آيات القرآن إياه نفسه صلى الله عليه و آله. و قد كان لبعض صحابته بصيرة فائقة فى فهم معانى القران، و لذلك فقد عرف هؤلاء بعنوان «المراجع» فى التفسير فمن هؤلاء عبدالله بن عباس و عبدالله بن مسعود، و كان لابن عباس شهرة اكثر فى ذلك، و لذلك فقد نقلت آراؤه فى كتب التفسير كثيراً. و كان ابن عباس تلميذ الامام على عليه السلام وكان يفخر بهذا. و ابن مسعود ايضاً كان من شيعة على عليه السلام و تلاميذه. و تذكر كتب التفسير اسم كتاب لابن عباس فى ذلك و يدعى البعض وجود نسخة من هذا الكتاب اليوم فى المكتبة الملكية بالقاهرة [٨٢] و كان ابن عباس مع علمه الجم فى التفسير اذا سئل عن علمه من علم على عليه السلام يقول: علمى من علم ابن عمى على عليه السلام كقطرة أمام بحر لُجّيّ!

و يدّعي جرجى زيدان أن التفسير كان حتى اواخر القرن الاول الهجرى يُروىٰ «وكانوا يتناقلون التفسير شفاهاً الى أواخر القرن الاول. فكان اول من دوّن التفسير فى الصحف مجاهد المتوفى سنة ١٠٤ هـ ثم اشتغل فيه سواه و هم كثيرون حتى انتهى ذلك الى الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ و الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ وغيرهما» [٨٣].

و لا تصح هذه النظرية قطعاً؛ فان ابن عباس و حتى سعيد بن جبير كانا قد كتبا فى التفسير قبل مجاهد. بل ان هذه النظرية لجرجي زيدان هى فرع نظرية عامّة تدعى أن

٨٢ــ كما جاء في كتاب: مفسران شيعه، من منشورات جامعة طهران صفحة: ٤٦.

٨٣ــ تاريخ التمدن الاسلامي، ج ٣، ص: ٧٠.

المسلمين فى القرن الاول لم يؤلفوا شيئاً. و نحن سنبطل هذه النظرية فى الفصول التالية.

و كما اهتم الايرانيون بفن القراءة كذلك اهتموا بفنّ تفسير القرآن، بل انّ اهتمام الايرانيين بالقراءة و التفسير و الفقه و الحديث و العلوم التى تتعلق بمصادر الاسلام كان أكثر من اى اهتمام لهم فى اي مورد آخر. و لايمكننا هنا أن نعرّف بجميع المفسّرين الايرانيين ففى كل قرن منهم العشرات بل المئات ممن كتب فى ذلك و ألّف و صنّف، و التحقيق بشأن جميع هؤلاء وفصل الايرانيين منهم عمّن عداهم يحتاج الى عمر مديد ولكن لكى نبدى نموذجاً من خدمات الايرانيين في التفسير لابأس بعطف النظر الى اهمّ التفاسير و اشهر المفسّرين المعروفين بين المسلمين، وسنرى أن اكثرهم كانوا ايرانيين. و نختار هؤلاء من بين من يذكر اسمه و رأيه كثيراً فى كتب التفاسير لانه من كبار القدماء اوممن خلفوا كتباً معروفة فى التفسير.

اما الطبقة الاولى اى المفسّرون الأوائل الذين تنقل آراؤهم فى كتب التفسير كثيراً فبعضهم من الصحابة و بعضهم من التابعين و بعضهم من تابعى التابعين، كابن عباس و ابن مسعود و ابى بن كعب، و السدّى و مجاهد و مقاتل وقتادة، والكلبي و السبيعى و الثورى و الزهرى، و الاعمش و عكرمة و عطاء و الفراء، وغيرهم.

فبعض هؤلاء شيعة و بعضهم غير شيعة، و بعضهم ايرانيون و بعضهم غير ايرانيين، و ان تراجم جميع هؤلاء خارج عن عهدة هذا الكتاب. و بدهى أن الاكثرية فى هذه الطبقة لغير الايرانيين، و انما المعدود منهم عجم ايرانيون و هم مقاتل و الاعمش و الفراء.

فمقاتل بن سليمان من أهل خراسان اوالرى، كان يعيش فى القرن الثانى للهجرة، مات عام ١٥٠ هـ، و كان من العامة. و يبالغ الشافعى فيه فيقول: «انّ الناس فى التفسير عيال على مقاتل».

وأما سليمان بن مهران الاعمش فهو ــ على ما فى ريحانة الادب ــ ٨٤ من أهل دماوند، وقد ولد بالكوفة و سكن بها و تشيع لعلى عليه السلام و اثنى عليه علماء العامة. و كان يعرف باللطائف و الطرائف و تنقل عنه امور من ذلك. مات حوالى ١٥٠ هـ.

و أما الفراء فهو يحيى بن زياد الاقطع من معاريف اللغويين و النحويين، و له ذكر كثير فى كتب الادب العربى، و قد كان الفراء تلميذ الكسائى و معلما لابناء هارون من بعده، و قد صرح صاحب «رياض العلماء» و «تأسيس الشيعة» بتشيعه، و هو ايرانى، وكان ابوه زياد الاقطع فى وقعة فخ المعروفة مع شهيد فخ الحسين بن على بن الحسن المثنى، فقطعت يده عقوبة له ولذلك عرف بالاقطع، مات الفراء عام ٢٠٧ أو ٢٠٨ هـ.

و اذا تجاوزنا هذه الطبقة نصل الى طبقة المؤلفين فى التفسير. وقدقلنا سابقاً أن

٨٤ــ ج ١، ط ٣، ص ١٥٤.

اصحاب التفاسير فى الشيعة و السنة كثيرون بل يخرجون عن حدّ الحصر و الاحصاء، و انما نكتفى نحن هنا بذكر اشهر التفاسير المعروفة اليوم بين السنة و الشيعة، و نبدأ البحث في تفاسير الشيعة فنقول:

ان المفسّرين الشيعة ينقسمون الى: المفسّرين على عهد الائمة عليهم السلام و المفسّرين فى عصر الغيبة، فقد كان لكثير من اصحاب الائمة عليهم السلام تفاسير، من قبيل أبى حمزة الثمالى و أبى بصير الاسدى و يونس بن عبدالرحمن و حسين بن سعيد الاهوازى و على ابن مهزيار الاهوازى و محمدبن خالد البرقى القمى و فضل بن شاذان النيسابورى. و كثير منهم ايرانيون.

والمفسّرون الشيعة فى عصر الغيبة ايضا كثيرون؛ و نحن هنا نكتفى بذكر نموذج من كتب التفسير المعروفة بين الشيعة، مما يعلم به أن اكثر تفاسير الشيعة كتبها ايرانيون:

١ ــ تفسير على بن ابراهيم القمى؛ و هو من اشهر تفاسير الشيعة، موجودمطبوع، و ابراهيم بن هاشم ابوعلى كوفى انتقل الى قم، و هو من مشايخ الشيخ الكلينى. و كان على حياً حتى عام ٣٠٧.

٢ ــ تفسير العيّاشى؛ و العيّاشى هومحمدبن مسعود السمرقندى، و كان عامياً فتشيّع، وكان معاصراً للشيخ الكلينى. وكان قدورث من ابيه ثلاثة آلاف دينارصرفها جميعها فى النسخ والمقابلة و الاستنساخ و اقتناء الكتب، حتى كان بيته قد اصبح مثل المدرسة، ففيه جمع من أهل العلم كل فى شأن من الشؤون العلمية، يصرف عليهم العيّاشى من ارث ابيه. وكان للعياشى ـ فضلاً عن الحديث والفقه والتفسير ـ يدٌ فى الطب والنجوم. ذكره ابن النديم فى الفهرست و عدّدله كتباً كثيرة و ادّعى أنها كانت كثيرة الانتشار فى خراسان و ما والاها. كان العياشى ايرانياً و الظاهر أنه كان من أصل عربى، قال ابن النديم: قيل انه تميمى. و هو من علماء المئة الثالثة.

٣ ــ تفسير النعمانى؛ و هو ابوعبدالله محمدبن ابراهيم النعمانى، و كان يكنى عنه أحياناً بابن أبى زينب. و هو من تلامذة الشيخ الكلينى. و يقول صاحب «تأسيس الشيعة»: ان بمكتبته نسخة من تفسير النعمانى. و هو من علماء المئة الرابعة من العراق او مصر. و له ابن اخت يدعى اباالقاسم الحسين بن المرزبان الوزير المغربى[٨٥] و هو ينتسب الى يزدجرد الساسانى، بلغ الوزارة عدّة مرّات فلقب بالوزير المغربي. و كان قد حفظ القرآن قبل أن يكمل الخامسة عشرة من عمره، و كان ماهراً فى النحو و اللغة و الحساب و الجبر و الهندسة والمنطق و

---

٨٥ ــ راجع: تأسيس الشيعة، ص: ٣٣٦، و ريحانة الأدب، ج٨: ص: ٢٠١ ــ ٢٠٢.

بعض الفنون الاخرى، و كان اديباً قديراً، و له كتاب بعنوان «خصائص القرآن» مات سنة ٤١٨ أو٤٢٨ واوصى أن ينقل جثمانه من بغداد الى النجف الاشرف ليدفن عند أميرالمؤمنين على عليه السلام.

٤ــ تفسير البيان: لشيخ الطائفة ابى جعفر محمد بن الحسن بن على الطوسى الخراسانى، الامام فى الفقه و الحديث و التفسير و الكلام، ولد سنة ٣٨٥ و لذلك فقد احتفلت جامعة مشهد فى العام الماضى[٨٦] بالذكرى الألفية له (قده) و اشترك فى الاحتفال عدد كبير من العلماء المسلمين و غيرهم من شيعة و سنة. و توفى فى ٤٦٠ هـ. و كان قد هاجر من خراسان الى العراق فى الثالثة والعشرين من عمره و حضر محضر الشيخ المفيد و السيد المرتضى علم الهدى ثم اصبح امام الشيعة على عهده بعدهما، ولا زال اماماً يعد فى الرعيل الاول من علماء الشيعة فى زمن الغيبة. وانتقل فى اواخر عمره من بغداد الى النجف الاشرف على اثر حوادث جرت هناك، فأسس الحوزة العلمية للشيعة فى جوار مرقد مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام، الحوزة العلمية النجفية التى لازالت مصدر اشعاع علمى للشيعة بعد مرور الف عام.

٥ ــ مجمع البيان: للشيخ المفسّر الفضل بن الحسن الطَّبْرِسى (بفتح الطّاء) و سكون الباء و كسر الراء = معرّب: تفرش ــ على نفس الوزن، و هى مدينة قرب قم الى اراك و قد فرغ من تحرير هذا التفسير فى شهر ذى القعدة الحرام عام ٥٣٦ هـ. و كتابه احسن التفاسير من حيث الأدب و حسن التصنيف و التاليف و التحرير، و يعنى به الشيعة و السنة، و قد طبع مراراً فى ايران و مصر و بيروت. و له تفسير مختصر آخر يدعى «جوامع الجامع». و قد كتبه بعد فراغه من مجمع البيان عند ما عثر على «الكشاف» للزمخشرى و وجد فيه نكاتاً ادبية فاتته فى مجمع البيان، فألف «جوامع الجامع» استدراكاً لما فاته من ذلك. و يجد أهل الفن فى مجمع البيان من الامور الأدبية مالايوجد فى الكشاف، و ان كان فى الكشاف من البلاغة ما ليس فى مجمع البيان.

٦ ــ روض الجنان: للشيخ المفسّر أبى الفتوح الرازى الطهرانى، فارسى. و هو من اغنى تفاسير الشيعة، و يرى البعض أن الطبرسى الآنف الذكر و الشيخ فخرالدين الرازى قد انتفعا من هذا التفسير كثيراً. و كان ابوالفتوح نيسابورياً يسكن بالرىّ، و هو من اصل عربي ينتهى الى عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي من اصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام فى صفين. و كان ابوالفتوح يعاصر الشيخ الطبرسى و الزمخشرى و قد قرأ على تلامذة الشيخ الطوسى

٨٦ــ أي عام ١٣٨٥ هـ. فالمؤلف كتب هذا عام ١٣٨٦ هـ.

(قده) وكان يعيش فى القرن السادس الهجرى. وقبره اليوم بريٍّ يزار و يكرم فى جوار مرقد السيد عبدالعظيم الحسنى والسيد حمزة بن موسى بن جعفر عليهما السلام فى واجهة القبلة.

٧ ــ تفسير الصافى: وهو للمولى محسن الفيض الكاشانى من مشاهير علماء الشيعة فى القرن الحادى عشر الهجرى، فقيه محدث ومفسر حكيم عارف، وكان كثير البركة فى عمره تأليفاً وجودة فى التأليف. كان مقيماً مدة بقم فى المدرسة المعروفة بالنسبة اليه: «الفيضية» ثم سافر الى شيراز وقرأ الحديث على السيد ماجد البحرانى والفلسفة والعرفان لدى الحكيم الالهى صدرالمتألهين الشيرازى وصاهره. ومات فى كاشان فى سنة ١٠٩١ هـ.

٨ ــ تفسير المولى صدرالدين الشيرازى: كان معروفاً بالفلسفة والعرفان بل هو صاحب مدرسة فلسفية خاصة، الا أن له يداً طولى فى تفسير القرآن وشرح الاحاديث، فقد شرح كتاب الاصول من الكافى، وسورة البقرة الى الآية الخامسة والستين: «ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت...» وسور السجدة و يس والواقعة والحديد والجمعة والطارق والاعلى والزلزال، وآيات الكرسى، والنور، وآية «وترى الجبال تحسبها جامدة» فتفسيره وان لم يكن كاملاً الا أنه مفصّل تفصيلا يقرب من نحو تفسير الصافى، وقد طبع مراراً فى ايران وقد اتفقت وفاته فى البصرة فى طريقه الى الحج عام ١٠٥٠ هـ.

٩ ــ منهج الصادقين: وهو تفسير فارسى طبع فى ثلاثة مجلدات كبار فى تبريز، وكان الى فترة قريبة هو التفسير الفارسى الوحيد تقريباً. مؤلفه المرحوم المولى فتح الله الكاشانى من علماء كاشان فى المئة العاشرة، واكثر كتبه بالفارسية، منها شرح نهج البلاغة بالفارسية.

١٠ ــ تفسير شبر: وهوالسيد عبدالله شبرالمعاصر للشيخ جعفر كاشف الغطاء والمولى الميرزا القمى صاحب القوانين، كان عالماً عابداً متتبعا متبحراً، له كتب كثيرة فى الفقه والاصول والكلام والحديث والرجال والتفسير. توفى فى ١٢٤٢هـ و دفن بالكاظمية.

١١ ــ تفسير البرهان: ومؤلفه المولى المرحوم السيد هاشم البحراني المحدث المتتبع الشهير وقد كتب هذا التفسير على مبنى الاخباريين الذين انما يفسرون القرآن بالحديث فحسب بدون اي توضيح آخر بل حتى بدون توضيح لتلك الاخبار والأحاديث وكيفيتها فى تفسير الآية، بل انما بنقل الأحاديث المرتبطة بتلك الآية فقط. مات هذا العالم عام ١١٠٧ أو ١١٠٩هـ.

١٢ ــ نور الثقلين: مؤلفه احد علماء الحويزة فى شيراز معاصر للمرحوم المجلسى والحر العاملى وقدعنى فى تفسيره هذا بنقل الاخبار فقط، وهو المرحوم الشيخ عبدالعلى بن جمعة، ولا يعلم وفاته بالضبط.

هذه التفاسير هى اعرف و اشهر تفاسير الشيعة حتّى القرن الثالث عشر الهجرى،

المطبوع منها والمتداول فى ايدى أهله، واذا اراد غير الشيعة ان يراجعوا تفاسير للشيعة راجعوا هذه التفاسير. وقد كتب فى هذا القرن الرابع عشر عدة من التفاسير القيمة او هى فى حال التأليف، أمسكنا عن ذكرها.

ومن اراد الحصول على احصاء لكل تفاسير الشيعة فعليه بمراجعة الكتاب الجليل «الذريعة الى تصانيف الشيعة» تأليف العلامة الجليل المرحوم الحاج الشيخ آقا بزرگ الطهرانى اعلى الله مقامه الشريف.

وقد علم من هذه النماذج التى رأيناها أن مؤلفي اكثر التفاسير المعروفة اليوم للشيعة اما هم من الشيعة الايرانيين اوالعرب المستعجمين فى ايران او من عرب الخليج الذين سكنوا ايران.

أما تفاسير السنة:

١ ــ جامع البيان فى تفسير القرآن، المعروف بتفسير الطبرى، و هو المؤرخ و المحدث و الفقيه الشهير، و هو من علماء الدرجة الاولى من علماء أهل السنة، كان اماماً فى اكثر علوم زمانه. و كان فى الفقه عيالاً على الشافعى اول امره ثم بنى مدرسة فقهية مستقلة و اجتهد و لم يقلد احد الائمة الاربعة بل أيا من ائمة الفقه السنى. و كان لمذهبه اتباع الى فترة من الزمن ثم انقرضوا بعد حصر المذاهب فى الاربعة. ويذكر ابن النديم فى الفهرست عدّة من الفقهاء الذين كانوا يتبعون مذهب الطبرى فى الفقه.

والطبرى نسبة الى طبرستان و هى مازندران و هو من آمل، ولد بها سنة ٢٢٤ هـ. و مات ببغداد سنة ٣١٠ هـ. طبع تفسيره فى القاهرة. وترجم الى الفارسية بأمر نوح بن منصور السامانى من ملوك السامانيين قام به وزيره البلعمى العربى فى اصله و نسبه، وطبعت الترجمة اخيراً بطهران.

٢ ــ الكشّاف: و هو من أشهر و اتقن تفاسير اهل السنة، ويمتاز من حيث الادب و لاسيما البلاغة. مؤلفه ابوالقاسم محمودبن عمر الزمخشرى الخوارزمى الملقب جارالله، وكان من اكابر علماء الاسلام، وقد الّف كتبا كثيرة فى الادب و الحديث و الموعظة. و انما لقب جارالله لمجاورته سنين بمكة المكرمة وان كان هومن اهل شمال بلاد ايران الباردة، و انما تحمّل ذلك الجوّ الحجازى الحارّ تيمنا و تبركاً و طلباً للآثار المعنوية الكثيرة فى المجاورة هناك. والظاهر أنه كتب تفسيره الكشّاف أيام مجاورته بيت الله الحرام.

وفى الجزء الثالث من الكشاف بذيل الآية السادسة والخمسين من سورة العنكبوت: «يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون» يقول: «معنى ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يحب فليها جر الى بلد يقدر أنه فيه اسلم قلبا و اصح دينا واكثر عبادة و احسن خشوعاً. و لعمرى ان البقاع تتفاوت فى ذلك التفاوت الكثير، و لقد جربنا و جرب اوّلونا فلم نجد ــ فيما دُرنا و داروا ــ اعون على قهر النفس و عصيان الشهوة، و اجمع للقلب الملتفت و اضم للهم المنتشر و احث على القناعة و اطرد للشيطان و ابعد من كثير الفتن واضبط للامر الدينىّ فى الجملة، من سكنى حرم الله و جوار بيت الله، فلله الحمد على ما سهّل من ذلك و قرب و رزق من الصبر و اوزع من الشكر. و عن النبى صلى الله عليه و سلم «من فرّ بدينه من ارض الى ارض ــ وان كان شبراً من الارض ــ استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد..» [٨٧].

و كان الزمخشرى قد فقد احدى رجليه فى احد أسفاره العلمية فى شتاء خوارزم الباردة وكان بعد ذلك يتّكئ على عصا و رجل خشبية، ومع هذا الحال سافر اسفاراً طويلة وجاور بيت الله الحرام مدة. ولد عام ٤٦٧ ومات سنة ٥٣٨ هـ .

٣ــ مفاتيح الغيب: او التفسير الكبير، لمحمد بن عمر بن حسين بن حسن بن على المعروف بالامام فخرالدين الرازى. وهو من مشاهير علماء الاسلام، فنفسه و كتبه و آراؤه و افكاره فى الفلسفة و الكلام و التفسير معروفة بين الشيعة و السنة، و له مختلف المؤلفات فى مختلف الموضوعات. ولد بمازندران وسكن بالرىّ وسافر الى هرات وخوارزم و بلغ الى رتبة كاملة من الاعتبار والشهرة فى عصره. ولد سنة ٥٤٣ و مات عام ٦٠٦ فى هرات.

٤ ــ غرائب القرآن: المعروف بتفسير النيسابورى، و هو من تفاسير الدرجة الأُولى عند أهل السنة. مؤلفه الحسن بن محمد بن حسين المعروف بنظام النيسابورى او الاعرج، و كان من أهل قم و لكنه سكن نيسابور، و كان رجلاً جامعاً لأطراف الكمال، و له مؤلفات فى الرياضيات و الآدب. مات حوالى عام ٧٣٠ هـ .

٥ــ كشف الاسرار: وهو فارسى فى عشرة مجلدات، طبع قبل اعوام بطهران، وهو لابى الفضل رشيد الدين الميبدى اليزدى الذى كان يعيش اواخر القرن الخامس و اوائل القرن السادس. ولهذا التفسير مكانة بين اهل الفضل لابأس بها.

٦ ــ انوار التنزيل و اسرارالتأويل: المعروف بتفسير البيضاوى، و هو عبدالله بن عمر بن أحمد المعروف بالقاضى البيضاوى نسبة الى بيضاء من فارس. و تفسيره تلخيص عن

٨٧ــ الكشاف ج ٣، ص: ٢١٠ تفسير سورة العنكبوت، آية: (يا عبادي إن أرضي واسعة فاياي...).

تفسير الكشاف و مفاتيح الغيب. وقد استفاد منه الفيض الكاشانى فى تفسيره الصافى، و للشيخ البهائى هوامش عليه وتعليقات وتحقيقات. و كان البيضاوى معاصراً للمحقق الطوسى و العلامة الحلى، مات فى اواخر القرن السابع الهجرى.

٧ ــ تفسير ابن كثير: و هو ابن كثير المؤرخ المعروف بكتابه «البداية و النهاية» و هو ابوالفداء القرشى الشامى تلميذ ابن تيمية. طبع تفسيره بالقاهرة. و توفى هو فى عام ٧٧٤ هـ .

٨ ــ الدر المنثور، لجلال الدين السيوطى من اعمق و اكثر علماء الاسلام تأليفاً، و بعضها من النفائس كالاتقان فى علوم القرآن. و الدر المنثور تفسير بالمأثور اي تفسير للآيات بالاخبار و الروايات و الاحاديث، و هو مما لانظير له فى هذا الباب، وهوعندالسنة كتفسير البرهان عند الشيعة. و كان السيوطى مصرياً قيل انه كان قد حفظ القرآن و لم يكمل السابعة من عمره![88] وقد عدّ له صاحب «ريحانة الادب» تسعة وسبعين كتاباً. مات عام ٩١٠ هـ آو ٩١١ هـ .

٩ ــ تفسير الجلالين: و هو من سورة الحمد الى سورة الكهف لجلال الدين محمد بن أحمد بن ابراهيم المحلّى اليمنى الشافعى من اكابر علماء الشافعية، مات عام ٨٦٤ و لم يوفق لاتمامه. فكمله من سورة الكهف الى آخر القرآن بنفس الاسلوب جلال الدين السيوطى، و لذلك عرف بتفسير الجلالين. طبع عدة مرات فى ايران و مصر و الهند ــ كما فى ريحانة الآدب ج ٥ ص ٢٥٠ ط ٣.

١٠ ــ تفسير القرطبى: و هو ابوبكر صائن الدين يحيى بن سعدون الاندلسى، و هو من اكابر علماء عصره فى الحديث والنحو واللغة والتجويد والقراءة والتفسير، بل وكان مرجع الاشياخ فى عصره. وهو من اهل قرطبة بالاندلس (أسپانيا) مات عام ٥٦٧هـ .

١١ ــ ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم: المعروف بتفسير ابى السعود، و هو لآبى السعود من اكابر علماء الدولة العثمانية فى القرن العاشر، و قد كرّمه السلطان بايزيد الثانى لتأليفه هذا التفسيرتكريماً كثيراً، اشتغل بالقضاء و اصبح قاضى القضاة ثم نصب مفتياً عاماً و شيخاً للاسلام عام ٩٥٢ هـ . طبع تفسير ابى السعود بالقاهرة مراراً و أنالم أر هذا التفسير الا أن بعض المحققين من شيوخ الدرجة الاولى من المفسّرين يرى لهذا التفسير قدراً جليلاً. مات ابوالسعود سنة ٩٨٢ هـ .

١٢ ــ روح البيان: و هو فارسى عربى، و فيه ابيات عرفانية فارسية كثيرة. مؤلفه الشيخ اسماعيل الحقى من علماء الدولة العثمانية، اشتغل فى استانبول بالوعظ والارشاد ثم سافر

---

٨٨ ــ ريحانة الأدب ج ٣ ط ٣ ص: ١٤٨.

الى مدينة بروسه من بلاد تركية. كان صوفياً و تفسيره مليء بالذوقيات و العرفان، و لهذا فهو لم يسلم من أذى معاصريه لعقائده الصوفية. مات عام ١١٢٧ هـ.

١٣ــ روح المعانى: للسيد محمود بن عبدالله البغدادى الحسنى الحسينى الآلوسى الشافعى، كان شافعيا و لكنه كان فى كثير من المسائل يتبع فتوى الفقه الحنفى! و له شرح على القصيدة العينية لعبد الباقى العمرى الموصلى فى مدح أمير المؤمنين عليه السلام يبارى به شرح السيد كاظم الرشتى المعروف بشرح القصيدة. و هو من أهل العراق، و قيل ان آلوس نقطة على شاطئ الفرات[٨٩] مات الآلوسى سنة ١٢٧٠ هـ.

١٤ ــ فتح القدير: للشوكانى محمد بن على بن محمد بن عبدالله الشوكانى اليمنى، كبر فى بلدة صنعاء اليمن و بلغ الى رتبة التدريس و الإفتاء. و له كتاب باسم «نيل الاوطار من اسرار منتقى الاخبار» به عرف الشوكانى. مات عام ١٢٥٠ هـ.

و الظاهر أن هذه التفاسير الاربعة عشر التى ذكرناها آنفاً هى اشهر تفاسير اهل السنة و اكثرها تداولاً بينهم حتى القرن الثالث عشر الهجرى، و قد كتبت فى القرن الرابع عشر بين أهل السنة تفاسير هامة فى مصر و سائر البلاد الاسلامية امسكنا عن ذكرها. و ستة من هؤلاء المفسّرين الاربعة عشر ــ كما رأينا ــ من ايران، و بعض هؤلاء من الدرجة الاولى من المفسّرين قبل القرن السابع الهجرى، و اثنان منهم من اليمن، و اثنان منهم من استانبول، و واحد منهم من الاندلس (اسپانيا) و واحد من الشام، و واحد من مصر، و آخر من العراق.

و نلاحظ أن السهم الأوفر فى هذه الخدمة الثمينة للاسلام اى القراءة والتفسير للايرانيين، وان الايرانيين هم اكثر كل الامم المسلمة ايماناً و اخلاصاً و نشاطاً فى خدمة الاسلام.

الرواية و الحديث:

ان من ميادين خدمة الايرانيين للاسلام فى صعيد العلم والثقافة موضوع الأحاديث، اي قراءة الرواية و استماع الحديث و جمعه و ضبطه و نقله عن النبىّ و آله. و هو كالتفسير ينقسم الى أحاديث الشيعة و السنة. و كان باعث المسلمين على جمع الاحاديث و نقل الاخبار حاجة المسلمين اليها فى امور دينهم، بالاضافة الى أن نفس الرسول الكريم ــ حسب الاحاديث القطعية بين الشيعة و السنة ــ كان يكرر تشويق الناس الى أن يثبتوا ماسمعوه منه و ينقلوه لمن يليهم من الغائبين.

٨٩ــ ريحانة الأدب ط ٣، ج ١، ص: ٥٩.

و لهذا فقد ابدى المسلمون منذ صدر الاسلام شوقاً شديداً من انفسهم الى ضبط احاديثه صلى الله عليه و آله و نقلها. و بعد أن انتشر الاسلام و دخل فيه الناس افواجاً، وجد اصحابه المتشرفون بالحضور لديه و حفظ بعض الاحاديث و القضايا عنه قدراً و أهمية خاصة لدى سائر المسلمين، فكان اصحاب الشوق الى احاديث النبي (ص) يسافرون من بلد الى بلد و من نقطة الى اخرى كي يسمعوا الحديث من الصحابة او التابعين و كثيراً ما كان احدهم يسافر للتحقيق في صحة حديث اوسقمه اوسماع حديث من صحابي معتبر عشرات الفراسخ اومئات الكيلومترات حتى يصل الى ذلك المحدث و يسمع منه ما قد رغب فيه.

و يقول جرجي زيدان: «لما اشتغل المسلمون بتفهم معاني القرآن، كان من جملة ما افتقروا اليه في تفهمها اقوال النبيّ، و هو ما عبروا عنه بالاحاديث النبوية. و أقدم من سمعها الصحابة وحفظها، فكانوا اذا أشكل عليهم فهم آية واختلفوا في تفسيرها اوحكم من احكامها استعانوا بتلك الاحاديث على استيضاحها. فلما كانت الفتوح تفرق الصحابة في الارض و عند كل منهم بعض الاحاديث، و قد يتفرد بعضهم باحاديث لم يسمعها سواه، فاصبح طالب الحديث اذا كان من أهل دمشق مثلاً لايستوفيه الا اذا رحل في طلبه الى مكة و المدينة و البصرة والكوفة و الرى و مصر و غيرها. و كذلك المقيم في احد هذه البلاد فانه لايستطيع استيفاء الحديث ما لم يطلبه من البلاد الاخرى. و هذا ما يعبّرون عنه بالرحلة في طلب العلم» [٩٠]

ان شوق المسلمين الى استماع احاديث النبي و ضبطها و نقلها بدأمن عهده هو صلى الله عليه و آله و سلم، و حيث كثرالطلب على حديثه كثرعرضه، و كلما كان كذلك دخل فيه الغل و الغش، و كذلك كان، فقد روى جمع من ضعفاء الايمان على عهده احاديث عنه لا أساس لها من الصحة حتى قام هو صلى الله عليه وآله بتكذيبها وتحذير الناس منها و من اصحابها، فاعلن عن ظهور الكذابين والوضّاعين عليه أو في أحاديثه، ولكي يجعل لهم مقياساً يقيسون عليه صحة احاديثه وسقمها عيّن لذلك القرآن الكريم.

ومع أن الاهتمام بالاستماع ونقل احاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كان مشتركاً بين عامة المسلمين وخاصة اهل بيته عليهم السلام، الاأنه كان هناك اختلافٌ أساسيٌ في القرن الاول الهجرى بين عامة المسلمين و خاصة اهل البيت عليهم السلام، و هو أن عامة المسلمين في هذا القرن تبعاً لامر الخليفة الثاني و آخرين من الصحابة كرهوا كتابة الحديث لكي لايختلط الحديث بالقرآن الكريم، اولئلا يستقطب الاهتمام بالحديث مكان الاهتمام بالقرآن الكريم. بينما كان اتباع اهل البيت عليهم السلام يعتنون بكتابة الاحاديث

٩٠ ــ تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣، ص ٦٥ ط الهلال ــ الاولى

كما كانوا يعنون بنقلها.

و أما عامة المسلمين فقد تنبّهوا للخطأ أوائل القرن الثانى، و كسر هذا السدّ الذى بناه عمر بن الخطاب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الاموى الزاهد من اسباط الخليفة الثانى. و لهذا فقد تقدمت شيعة اهل البيت فى كتابة و تدو ين الحديث قرناً من الزمان.

و قد روى العلامة الجليل و المحقق المتتبع المرحوم السيدحسن الصدر فى كتابه النفيس: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام عن صحيح مسلم وفتح البارى لابن حجر فى المقدمة انهما قالا: «ان السلف اختلفوا فى كتابة الحديث، فكرهها طائفة، منهم عمر بن الخطاب، و عبدالله بن مسعود، و ابوسعيد الخدرى، فى جماعة آخر ين من الصحابة و التابعين. و اباحها طائفة اخرى كأمير المؤمنين على بن أبى طالب و ابنه الحسن، و انس، و عبدالله بن عمرو بن العاص ثم اجمع أهل العصر الثانى على جوازها.... الى آخر كلامهم»[٩١].

اما اول و ثانى كتاب للحديث فهو كتاب الجفر و هو كتاب فى جلد مطوى بخط على عليه السلام كان عند الائمة الاطهار عليهم السلام و كانوا يطلعون عليه احياناً بعض شيعتهم او ينقلون عنه لهم. ثم مصحف فاطمة عليها السلام.

و اذا تجاوزنا هذين الكتابين، فكتاب أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى السنن و الأحكام و القضايا. و كان ابو رافع قبطياً اعتقه رسول الله(ص) و كان هو و ابناه على و عبيدالله من شيعة على عليه السلام، و كان عبيدالله كاتب على عليه السلام و صاحب خزانته. و قد عدّه اصحاب كتب الرجال من الشيعة كالنجاشى فى الفهرست: اول مصنف فى الشيعة[٩٢].

و سلمان الفارسى هو الكاتب الآخر للاحاديث، و له أثرفى شرح و توضيح حديث الجاثليق الرومى[٩٣] الذى كان قد قدم المدينة بعد وفاة الرسول(ص) لغاية التحقيق.[٩٤]

و بعد سلمان ياتى ذكر أبى ذرالغفارى والأصبغ بن نباتة و آخر ين، و من التابعين سليم بن قيس الهلالى و له كتاب باسمه مطبوع.[٩٥]

و فى طبقة التابعين يأتى ذكر «الصحيفة السجادية» للامام السجّاد ز ين العابدين على بن الحسين عليهما السلام، توفى فى اواخر القرن الاول، و عرفت صحيفته هذه بز بورآل

٩١ــ تأسيس الشيعة، ص ٢٨٤.

٩٢ــ نفس المصدر، ص ٢٨٠، و رجال النجاشي، ص: ٥.

٩٣ــ الجاثليق: معرّب كاتوليک. فهو لقب وليس اسماً له.

٩٤ــ وردت مقاطع من هذا الحديث في أماكن متفرقة من كتاب «التوحيد» للصدوق ط. مكتبة الصدوق عام ١٣٨٧ هـ. في الصفحات: ٢٨٢، ٢٨٦، ٣١٦. فليراجع هناک.

٩٥ــ تأسيس الشيعة، ص: ٢٨٠.

محمد، و اخذ الناس يتداولونها منذ اواسط القرن الثانى للهجرة.

و كانت هذه المدة اى عهد الامامين الباقر و الصادق عليهما السلام مدة فترة التقية و حصول شيء من الحرية للشيعة و لذلك فقد كانت هذه الفترة هى أكثر الادوار رواية كتابةً وضبطاً ونقلا للحديث عندهم، فقد روى الحسن بن على الوشّا قال: ادركت فى المسجد الجامع بالكوفة اربعمئة شيخ كل يقول: حدثنى جعفر بن محمد، بل يذكر اسم اربعة آلاف رجل كانوا يحضرون مجالس الامام للعلوم والاحاديث، وكان قد الّف أربعمئة من هؤلاء، أربعمئة كتاب للحديث عرفت بالاصول الأربعمئة، وكان هؤلاء من مختلف القوميات والجنسيات.

و راج فى العهد الذى تلاه اى فى اواخر القرن الثالث بل اوائل القرن الرابع الهجرى تاليف جوامع حديث الشيعة، و قد انحصرت كتب الاحاديث الموجودة اليوم بين السنة و الشيعة فى هذه الجوامع، و هذا العهد هو العهد الذى بدافيه نبوغ الايرانيين و اخلاصهم و تصميمهم فى خدمة الإسلام بصورة واضحة.

و واضح أنا لا نتمكن من أن نذكر جميع الايرانيين فى مختلف طبقات أهل الحديث، حيث أن هذا لوحده يستلزم تأليف مجلدات من الكتب، بل انما نذكرهنا اكثر كتب الحديث اعتباراً و شهرة بين الشيعة و السنة كى يتبيّن أن اكثر كتاب هذه الجوامع لحديث الشيعة و السنة كانوا من ايران و ماوالاها، و نبدأ الحديث عن جوامع حديث الشيعة:

١ــ الكافى: لثقة الاسلام شيخ المحدثين أبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى الرازى.

و هذا الرجل الكبير انما هو من قرية تدعى «كُلَين» من قرى «الرّى» من اطراف طهران. و كانت اسرته فى هذه القرية من محدثى الشيعة، و كان ابوه يعقوب و خاله علان يعيشان فى هذه القرية بالذات (و قبر يعقوب بها، و هو يزار و يتبرك به، على يمين الخارج من طهران الى قم قرب حسن آباد) و تعلّم الكلينى الحديث منذ صغره فى نفس كلين، ثم رحل الى الرّى، و هو من اهل «الرّحلة» فى طلب الحديث لجمعه وادراك شيوخه و الاخذ منهم، و قضى العشرين عاماً الأخيرة من عمره ببغداد، و توفى فيها (و دفن قرب الجسر بها الى جنب المدرسة المستنصرية فى زقاق، و قبره معروف يزار و يتبرك به) و ألف كتابه (الكافى) فى هذه المدة ببغداد، و منها انتشر و استنسخ و تناولته ايدى طلاّبه.

كتاب الكافى دورة من حديث الشيعة من الاصول والأخلاقيات و الفروع، فى مجموع ستة عشر الف حديث، و هو اكثر كتب الحديث اعتباراً عند الشيعة.

٢ــ كتاب من لايحضره الفقيه: لابى جعفر محمد بن على بن بابويه القمى المعروف بالصدوق، كان هو و أبوه من كبار علماء الشيعة، و اسرة ابن بابويه اسرة علمية معروفة. و للشيخ الصدوق مايقرب من ثلاثمئة اثر، و لعله اخذ اسم «من لايحضره الفقيه» عن «من

لايحضره الطبيب» لمحمدبن زكريا الرازى الطبيب و الحكيم المعروف. و قد جمع الصدوق فى هذا الكتاب (خمسة آلاف وتسعمئة و عشرين حديثاً).

و كان الشيخ الصدوق من أصحاب الرحلة فى طلب الحديث ايضاً، فقد سافر فى شبابه الى بغداد، فحضر لديه جمع من مشايخ الحديث فأ فادهم اكثر مما افادوه و لذلك فقد خرجوا من عنده بالاعجاب و التحسين، و رجع الشيخ الصدوق الى خراسان و سافرالى نيسابور و طوس و سرخس و مرو و بخارا و فرغانة، و يشير فى كتابه(من لايحضره الفقيه)الى بعض هذه الأسفار. مات الشيخ الصدوق عام ٣٨١ هـ و دفن فى مقبرة عرفت باسمه فيما بعد «مقبرة ابن بابويه» قرب قبر السيد عبدالعظيم الحسنى بالرّى.

٣ــ تهذيب الاحكام: لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسى، (قده) و قد مرّ ذكره الخير فى عداد المفسّرين. كان هذا الرجل الكبير اكبر رجال الاسلام فى الادب و الكلام و التفسير و الفقه و الحديث و الرجال. و هو اول من ادخل الفقه الى مرحلة جديدة بتأليف كتابه «المبسوط». و قد جمع الشيخ الطوسى فى كتابه «تهذيب الاحكام» ثلاثة عشر ألفاً وخمسمئة وتسعين حديثاً كلهافى فروع الفقه.

٤ــ الاستبصار فيما اختلف من الاخبار: له ايضاً، و هو يشتمل على خمسة آلاف و خمسمئة واحد عشر حديثاً. توفى الشيخ الطوسى عام ٤٦٠ هـ.

و تعرف هذه الكتب الاربعة عندالشيعة بعنوان «الكتب الاربعة» و هى اكثر كتب الحديث اعتباراً عند الشيعة. و مؤلفوهذه الكتب معروفون بالمحمّدين الثلاثة: محمدبن يعقوب، و محمدبن على، و محمدبن الحسن. و ثلاثتهم يكنون بأبى جعفر.

و للشيعة بعد هذه الكتب الاربعة ثلاثة كتب اخرى هى اشهر جوامع الحديث للمتأخرين:

١ــ بحارالانوار فى اخبار الائمة الاطهار عليهم السلام: لشيخ الاسلام علاّمة المحدّثين محمد باقر بن محمد تقى المجلسى. و هذا الكتاب هو اجمع كتب الحديث على الاطلاق، فقد جمع فيه المجلسي (قده) ماتفرق فى سائر كتب الاحاديث، و كان هدفه الاكبر هو المحافظة عليها من الضياع و التلف، و لذلك فقد جمع السليم و السقيم و الصالح و الطالح. مات (ره) عام ١١١١ هـ فى اصفهان و دفن بها.

٢ــ الوافى بأحاديث التهذيب و الاستبصار و الفقيه و الكافى: للحكيم العارف و المحدث الشهير محمد بن المرتضى المعروف بالمولى محسن الفيض الكاشانى.

و هذا الكتاب يجمع الكتب الاربعة بحذف المكرّرات. و للفيض مايقرب من مئتى كتاب له فى مختلف الفروع و الفنون. وكانت وفاته ــ كما سبق ــ عام ١١٩١ هـ فى كاشان.

٣ــ وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة: للمحدّث المتبحّر محمد بن الحسن

الشامى المعروف بالشيخ الحر العاملى. وقد روعى فى هذا الكتاب مراجعة الفقيه للفروع الفقهية، وكان سعى العاملى فيه متجهاً الى ترتيب الكتاب على ابواب تتناسب و المسائل المعنونة فى كتب الفقه وتتبعها، و لذلک فقد قطّع المؤلف هنا الاحاديث قطعة قطعة قد أتى بكل قطعة من الخبر فى المحل المناسب له. كان الحرّ معاصراً للمجلسى، ويروى احدهما عن الثانى اي يتبادلان الرواية. مات الشيخ الحرّ العاملى فى جوارمرقدالامام على بن موسى الرضا عليه‌الصلاة و السلام حيث كان يقيم فى المشهد المقدس عام ١١٠٤ هـ وقبره اليوم فى الصحن الشمالى للامام(ع).

ويعرف مؤلفو هذه الكتب المتأخرة بالمحمّدين الثلاثة: محمد باقر المجلسى، و محمدمحسن الفيض، و محمدبن الحسن الحرّ (ره).

و اذا تجاوزنا هذه الجوامع السبعة رأينا جوامع قيّمة اخرى من قبيل: عوالم المعالم لعبدالله بن نور الله البحرانى، و جامع المعارف و الاحكام للسيد عبدالله شبّر، و مستدرک وسائل الشيعة للمرحوم الحاج الشيخ مرزا حسين النورى المازندرانى النجفى، و هذا الأخير لم يمض على تأليفه اكثر من قرن واحد و مع ذلک فقد وجد لنفسه المكانة اللائقة.

و هكذا عُلم أنّ خمسة من المحدّثين الستة الكبار للشيعة من ايران وواحداً من جبل عامل، و أن واحداً من الثلاثة الآخرين من ايران و اثنين من البحرين و عرب ايران (خوزستان).

أما أحاديث السنة: فانّ اول من دوّن الحديث منهم هو عبدالملک بن جريح فى المئة الثانية، و هو مولى مات عام ١٤٤ هـ ولايعلم أصله، ولايوجد اليوم كتابه.

و اوّل من جمع الحديث من اهل السنة هو مالک بن أنس فى كتابه «الموطّأ» و مالک عربى من أئمة المذاهب الأربعة للسنة. و كتابه موجود مطبوع يعتمد عليه.

و للسنة ستة من كتب الحديث عرفت بالصحاح الستة، ولكى نأخذ نموذجاً لاشتراک الايرانيين فى تدوين كتب الحديث عند أهل السنة نعرّف بهذه الصّحاح ومؤلّفيها.

١ــ صحيح البخارى، و هو محمدبن اسماعيل البخارى، و هذا الكتاب و هو اكثر كتب الحديث عند السنة اعتباراً، ألّفه مؤلفه فى ستة عشر عاماً. وقد روى ابن خلكان فى «وفيات الاعيان» * ،وعنه المحدّث القمى فى«الكنى و الالقاب» عن البخارى أنه كان يقول: انى لم اكتب حديثاً فى كتابى هذا حتى اغتسلت وصلّيت ركعتين ثم اوردت الحديث. وقد قيل عن ذاكرته اشياء. و البخارى نسبة الى بخارى و قد رحل فى طلب الحديث الى خراسان و العراق و الحجاز و الشام و مصر و بغداد و فى بغداد اعجب به اهل العلم و الفضل. مات عام ٢٥٦ هـ فى احدى قرى سمرقند باسم «خرتنگ».

* ج ٣، ص: ٣٣٠.

٢ــ صحيح مسلم، و هو مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابوري وهو اكثر كتب الحديث اعتباراً عند السنة بعد صحيح البخارى، و قد يفضله بعضهم حتى على صحيح البخارى. و قد رحل مسلم فى طلب الحديث الى العراق و الحجاز و مصر و الشام و لازم البخارى بنيسابور مدة من الزمان. و مات بنيسابور فى «نصرآباد» عام ٢٦١ هـ . والظاهر أنه ايرانى خراسانى من أصل عربي.

٣ــ سنن أبى داود: وهو سليمان بن اشعث المعروف بأبى داود السجستانى، نسبة الى سجستان وهى سيستان اليوم، رحل فى طلب الحديث الى مختلف البلدان، و كان معاصراً لأحمد بن حنبل. و الظاهر أنه ايرانى من اصل عربى، مات عام ٢٧٥ هـ .

٤ــ جامع الترمذى: و هو محمد بن عيسى الترمذى من تلامذة البخارى. مات عام ٢٧٩ هـ و الترمذى نسبة الى ترمذ من بلاد ماوراء النهر.

٥ــ سنن النسائى: و هو ابوعبدالرحمن أحمد بن على بن شعيب النسّائى الخراسانى. رحل فى طلب الحديث رحلات الى مختلف البلدان، و لما بلغ الى الشام رآهم منحرفين عن على عليه السلام، فكتب هناك كتاب «خصائص الامام على عليه السلام» فى فضائله و اهل بيته، و روى فى هذا الكتاب اكثر ماروا ه عن أحمد بن حنبل، و كان من عادته أن يصوم يوماً و يفطر يوماً. و كتب ابن خلكان يقول: سئل فى دمشق عن فضائل معاو ية فأجاب: لا أعلم له فضلاً الاماروى: «أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم دعاه فقيل: يأكل، فقال: لا أشبع الله بطنه» فضربه اهل الشام ضرباً مبرّحاً. قيل انه مات على أثر ذلك الضرب ، راحلاً من الشام الى مكة المكرمة، و النسّاء من توابع خراسان. و مات النسّائى سنة ٣٠٣ هـ .

٦ــ سنن ابن ماجه: و هو محمدبن يز يد بن ماجة القزو ينى، رحل فى طلب الحديث الى العراق والحجاز و مصر والشام. ومات عام ٢٧٣ هـ .

كما رأينا أن مؤلّفى الكتب الاربعة فى الشيعة التى هى اكثر كتب حديثهم اعتباراًهم ايرانيون، كذلك نرى أنّ مؤلفي الصحاح السّتة فى اهل السنة التى هى ايضاً اكثر كتب حديثهم اعتباراً ايضاً ايرانيون، امّا ايرانيون اقحاح او ايرانيون من أصل عربى.

و بالاضافة الى مؤلّفى الصحاح الستة هناك علماء آخرون معروفون بعنوان «الحافظ» (لهم كتب فى الحديث مهمة قيمة، أمسكنا عن ذكرها) بينهم ايرانيون كثيرون أمسكنا عن ذكرهم خوف الاطالة المملة.

الفقه:

و الفقه من اهم علوم الاسلام، و هو عبارة عن فن استخراج و استنباط الاحكام من مداركها: الكتاب و السنة و الاجماع و العقل. و هو علم نظرى خلافاً للحديث اذهو علم

حفظي لفظي.

مارس المسلمون الاجتهاد منذ القرن الاول، و الاجتهاد بمفهومه الصحيح من لوازم دين كالاسلام الذى هو دين عام لايختص بقوم او منطقة خاصة اوعنصر خاص و لابزمان دون زمان والذى هو خاتم الشرائع و الاديان، فهو حاكم فى مختلف اوضاع العالم البشرى.

و قد يظن البعض: أن الاجتهاد ظهر فى أهل السنة فى القرن الاول أما فى الشيعة فقد ظهر فى القرن الثالث، و يرون أن ذلك يرجع الى غنى الشيعة عن الاجتهاد لحضور الائمة عليهم السلام. و لكنّى اثبتُّ خطأ هذه النظرية فى مقالتى «الاجتهاد فى الاسلام» [٩٦] و «من وحى شيخ الطائفة» [٩٧]. و كتب المرحوم العلامة السيد حسن الصدر يقول: «ان أول من دوّن علم الفقه على بن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله، كان من فقهاء الشيعة و خواص أمير المؤمنين و كاتبه، و شهد معه كل حروبه...» [٩٨].

و يدعى اهل السنة أن اول من اجتهد من اصحاب رسول الله هو معاذبن جبل فى سفره الى اليمن.

و على اى حال فان الفقه بمعنى الاستنباط و تطبيق الجزئيات على الكليات والاصول كان موجوداً منذ الصدر الاول بين الشيعة و السنة، مع اختلاف اساسى بين الفريقين من حيث المصادر و الاعتماد على الرأى و القياس و الاستحسان و المصالح المرسلة.

و يذكر ابن النديم فى الفهرست اسم عدد من الكتب الفقهية للشيعة من اصحاب الائمة عليهم السلام تحت عنوان «فقهاء الشيعة» و بعضهم ايرانيون الا أنهم اقل من غيرهم.

و بصورة عامة نقول: ان اكثرية فقهاء الشيعة فى عصر حضور الائمة اوغيبتهم حتى القرن السابع الهجرى غير ايرانيين، و ان اكثر قدماء فقهاء الشيعة الذين لازالت كتبهم تقرأ و تدرس غير ايرانيين.

نرى من الايرانيين فى الطبقة الاولى من القدماء: الصدوق الاول على بن الحسين بن بابويه القمى و الصدوق الكبير محمد بن على بن الحسين، بل كل آل بويه من قبيل الشيخ منتجب الدين الرازى من احفاد الحسين بن على بن بابويه القمى، و هكذا شيخ الطائفة ابوجعفر الطوسى، و الشيخ سلاّر بن عبدالعزيز الديلمى صاحب كتاب «المراسم» و تلميذ الشيخ المفيد و السيد المرتضى، و ابن حمزة الطوسى صاحب كتاب «الوسيلة» والعياشى السمرقندي الذى سبق ذكره آنفاً فى عداد المفسّرين، و قلنا ان ابن النديم ذكر له كتباً فقهية

٩٦ــ المنشور في الكتاب السنوي: مكتب تشيع ــ العدد ٢ ــ بالفارسية.

٩٧ــ كتاب الذكرى الألفية للشيخ الطوسي ج ٢، وذكرى الشيخ الطوسى، ج ٣.

٩٨ــ تأسيس الشيعة، ص: ٢٩٨ ط بغداد.

كثيرة و قال انها شايعة فى خراسان.

و أمام هؤلاء نرى عدداً اكبر من فقهاء الشيعة حتى القرن السابع الهجرى غير ايرانيين، كابن الجنيد، و ابن أبى عقيل، والشيخ المفيد، و السيد المرتضى علم الهدى، و القاضى عبدالعزيز بن البراج، و ابى الصلاح الحلبى، و السيد ابى المكارم ابن زهرة، و ابن ادريس الحلى، و المحقق الحلى، و العلاّمة الحلى، و الشهيد الاول و الشهيد الثانى.

و سبب ذلك واضح ،فالشيعة فى ايران اذ ذاك كانوا فى الاقلية، بل الظاهر أن شيعة لبنان و حلب و العراق كانوا اكثرمن شيعة ايران او كانوا فى حالة افضل منهم فى ايران.

وبعد القرن السابع ولا سيما فى هذه القرون الاخيرة يشكل اكثرية فقهاء الشيعة الايرانيون، ولا حاجة الى ذكرهم هنا لكثرتهم. وفى نفس الوقت برز بعض فقهاء الشيعة من غير الايرانيين ولا سيما عرب العراق وممن لهم مقام شامخ فى العلمية والمرجعية كالشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ محمد حسن صاحب جواهر الكلام، رضوان الله عليهم اجمعين.

* * *

وليس من غير المناسب أن نذكرهنا تاريخاً مختصراً من الفقه و الفقهاء من زمن الغيبة الصغرى حتى العصر الحاضر، كى يتضح حظّ الايرانيين منهم فى خدمة فقه الشيعة، و يتضح تسلسل هذه الحلقة الثقافية الاسلامية و انها استمرت بدون وقفة فى طول الف و مئة عام تقريباً.

علم الفقه، اى الفقه المدوّن فى مؤلفات خاصة لازالت باقية ولها سابقة الف و مئة عام، اي أن الحوزات العلمية الفقهية لازالت مستمرة منذ احد عشر قرناً حتى اليوم، ربّى الاساتذة تلامذة اصبحوا اساتذة ربّوا بدورهم تلامذة و هكذا حتى العصر الحاضر، ولم تنقطع هذه الرابطة حتى اليوم.

نعم هناك علوم كالفلسفة و المنطق و الرياضيات و الطب لها سابقة اكثر و كتب اقدم، الاأنها لم تكتب لها حياة مستمرة ومتصلة بدون توقف اوقطع الصلة بين الاساتذة والطلاب فيها وعلى فرض الوجود فلا توجد هذه الحياة المستمرة الا للعلوم فى ظل الاسلام بما لا يطرأ عليها توقف.
وسنبحث فيما بعد عن استمرار حياة الفلسفة فى الاسلام ولو بصورة مختصرة.

و من حسن الحظّ ان مما اهتمّ به علماء المسلمين هو بيان طبقات ارباب العلوم، و قد تحقق هذا لاول مرة بالنسبة لعلماء الحديث ثم لعلماء سائر العلوم، و لنا كتب كثيرة بعناوين: طبقات الفقهاء لأبى اسحاق الشيرازى و طبقات الأطبّاء لابن أبى اصيبعة و طبقات النحويين و طبقات الصوفية لابى عبدالرحمن السلمى.

و كما اعلم: كل ما كتب فى طبقات الفقهاء انما لأهل السنة، ولم يكتب فى طبقات

فقهاء الشيعة كتاب خاص، و للكشف عن طبقات فقهاء الشيعة لابدمن مراجعة كتب التراجم او الاجازات او كتب طبقات الرواة [٩٩].

و نحن هنا لانريد أن نفصل طبقات فقهاء الشيعة، بل انمانريدأن نذكر شيئاً عن شخصيات نامية من فقهائهم الذين لازالت آراؤهم موضع البحث والدراسة مع ذكر كتبهم الفقهية، و فى ضمن ذلک نشير الى شيء من طبقاتهم.

و نبدأ بتاريخ فقهاء الشيعة من زمن الغيبة الصغرى (٢٦٠ ــ ٣٢٩) بدليلين:

١ــ انّ عصرماقبل الغيبة الصغرى عصر حضور الائمة الاطهار عليهم السلام، و فى عصر حضورهم وان كان الفقهاءاي المجتهدون و ارباب الفتوى موجودين وكانوا عليهم السلام يحثونهم على الفتوى و الاجتهاد، الا أنهم كانوا تحت شعاع وجود الائمة عليهم السلام اي أن الرجوع اليهم انما كان فى صورة عدم امكان التوصل الى الائمة عليهم السلام، و كان الناس يحاولون التوصل اليهم عليهم السلام مهما امكن ذلک. و الفقهاء انفسهم كانوا يراجعون الائمة فى كثير مما كان يشكل عليهم من الفقه و الفتوى.

٢ــ انّ فقهنا المدوّن ينتهى الى زمن الغيبة الصغرى فيما نرى على الاقل، اي ليس بأيدينا اليوم اثر فقهى من قبل دور الغيبة الصغرى من فقهاء الشيعة، اونحن لم نجد شيئاً منه على الأقل.

و على اي حال فقد كان للشيعة فقهاء كبار فى عصر الائمة الاطهار عليهم السلام يعلم مستواهم بقياسهم الى الفقهاء المعاصرين لسائر المذاهب الاسلامية. و قد خصص ابن النديم الفن الخامس من المقالة السادسة من كتابه النفيس «الفهرست» بفقهاء الشيعة، و يذكر بعد التنويه باسمائهم بعض كتبهم فى الفقه اوالحديث. و يقول بشأن الحسين بن سعيد الاهوازى و أخيه: «اوسع أهل زمانهاعلماً بالفقه والآثاروالمناقب» و يقول بشأن على ابن ابراهيم القمى: «من العلماء الفقهاء» و بشأن محمد بن الحسن بن الوليد القمى يقول: «وله من الكتب كتاب: الجامع فى الفقه».

و الظاهر أن كتبهم الفقهية كانت مبوّبة على بعض ابواب الكتب الفقهية يذكرون فى كل باب منها ماكانوا يعتبرونه و يعملون به من الروايات و الاخبار و الاحاديث، فكان الكتاب كتاب احاديث فى الاحكام مع العمل بها.

---

٩٩ ــ كتب المرحوم العلامة آقا بزرگ الطهراني كتابا في مجلدات بعنوان: طبقات أعلام الشيعة، إلاّ أن الكتاب ــ كما يحكي العنوان ــ غير خاص بطبقات الفقهاء خاصة من اعلام الشيعة. وقد كتب المغفورله السيد محسن الامين العاملي كتاباً آخر في مجلدات بعنوان: الذريعة الى أعيان الشيعة، ولكنه ــ كما يحكي العنوان ــ يعنى بتراجم أعيان الشيعة وليس خاصا بتراجم طبقات أعلام وفقهاء الشيعة ــ المترجم.

و يقول المحقق الحلي (قده) في مقدمة المعتبر بهذا الصدد: «الفصل الرابع في السبب المقتضى للاقتصار على من ذكرناه من فضلائنا: لما كان فقهاؤنا رضوان الله عليهم من الكثرة الى حديتعسر ضبط عددهم و يتعذر حصر اقوالهم لا تساعها و انتشارها و كثرة ماصنفوه، و كانت مع ذلك منحصرة في اقوال جماعة من فضلاء المتأخرين؛ اجتزأت بايراد كلام من اشتهر فضله، و عرف تقدمه في نقل الأخبار وصحة الاختيار وجودة الاعتبار. و اقتصرت من كتب هؤلاء الأفاضل على مابان فيه اجتهادهم و عرف به اهتمامهم وعليه اعتمادهم. فممن اخترت نقله: الحسن بن محبوب، و محمد بن أبي نصر البزنطي، والحسين بن سعيد، و الفضل ابن شاذان، و يونس بن عبدالرحمن. و من المتأخرين: ابوجعفر محمدبن بابويه القمي «رض» و محمدبن يعقوب الكليني. و من اصحاب كتب الفتاوى: علي بن بابويه، و ابوعلي بن الجنيد، و الحسن بن أبي عقيل العمّاني، و المفيد محمدبن محمد بن النعمان: و علم الهدى، و الشيخ ابوجعفر محمدبن الحسن الطوسي «ره»»[100].

فالمحقق مع أنه يرى الجماعة الاولى من المتأخرين من أهل النظر والاجتهاد و الانتخاب مع ذلك لايراهم من أصحاب الفتوى، و ذلك لان كتبهم و ان كانت مظهر آرائهم الاجتهادية ولكنها لم تكن بصورة الكتب الفقهية الاجتهادية بل كانت بصورة كتب الاحاديث و الاخبار لا الفتوى و اظهار الآراء و الانظار. و نحن هنا نبدأ بحثنا الآن عن المفتين الاوّلين في الغيبة الصغرى.

١ــ علي بن بابويه القمي المتوفى عام ٣٢٩ هـ و المدفون بقم. هو ابوالشيخ محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق المدفون قرب الرّي الابن كان محدثاً اكثر ممايكون فقيهاً بينما كان الاب فقيهاً صاحب فتوى. و يعرفان أحياناً بالصدوقين الاب و الابن.

٢ــ العياشي السمرقندي صاحب التفسير المعروف كان احد الفقهاء المعروفين في ذلك العهد معاصراً للشيخ علي بن بابويه القمي بل متقدماً عليه قليلاً. كان رجلاً جامعاً و ان كان اشتهاره بالتفسير اكثر، له كتب كثيرة في علوم مختلفة منها في الفقه. و يقول ابن النديم في «الفهرست»: كتبه كثيرة شائعة في أهل خراسان. ولم نر شيئاً من آرائه ينقل في الفقه، و لعل كتبه بادت.

و كان العياشي عامياً ثم تشيع. و كان قد ورث من أبيه ارثاً كثيراً صرفه جميعه في استنساخ الكتب و استكتابها و اقتنائها و شرائها و تجميعها والتعلم والتعليم كل ذلك في داره ببغداد.

و قد عدّ بعضهم جعفر بن قولويه شيخ الشيخ المفيد قريناً لعلي بن بابويه في الفقه، و

---

١٠٠ ــ «المعتبر» للمحقق الحلي، المقدمة، ص: ٧.

على هذا فقد عدّه هؤلاء من فقهاء الغيبة الصغرى، وقالوا: ان جعفر بن قولويه كان تلميذاً عند سعد بن عبدالله الاشعرى المعروف.[١٠١] ولايمكن الموافقة على ذلك اذ هو شيخ الشيخ المفيد وقد توفى فى ٣٦٨ او ٣٦٧، وعلى هذا فلايمكن أن يعد معاصراً لعلى بن بابويه، بل المعاصر هو أبوه محمد بن قولويه.

٣ــ ابن أبي عقيل العمانى: وقيل: اليمنى، وعمان من سواحل بحر اليمن، ولايعلم تأريخ وفاته. كان يعيش فى الغيبة الصغرى. قال السيد بحر العلوم: انه كان شيخ جعفر بن قولويه، و جعفر بن قولويه هو شيخ الشيخ المفيد. و هذا أقرب الى الحقيقة من القول السابق الذى عد جعفر بن قولويه قريناً لعلى بن بابويه. و تنقل آراء ابن أبى عقيل فى الفقه كثيراً.

٤ــ ابن الجنيد الاسكافى: هوايضاً من شيوخ الشيخ المفيد، قيل: توفى فى عام ٣٨١ هـ. و قيل: إنّ آثاره كانت تبلغ الخمسين. و يذكر الفقهاء ابن الجنيد و ابن أبى عقيل بعنوان: القديمين، و تذكر آراء ابن الجنيد فى الفقه كثيراً.

٥ــ الشيخ المفيد: اسمه محمد بن محمد بن النعمان. متكلم فقيه. يذكره ابن النديم فى الفن الثانى من المقالة الخامسة من «الفهرست» فى متكلمى الشيعة بعنوان «ابن المعلّم» و يثنى عليه ــ ولد عام ٣٣٦ و توفى فى عام ٤١٣ هـ. كتابه المعروف فى الفقه يدعى «المقنعة»، موجود مطبوع. كان الشيخ المفيد ينام قليلاً من الليل ثم يقضى بقيته فى الصلاة و القراءة و المطالعة. كان الشيخ المفيد من تلامذة ابن أبى عقيل.

٦ــ السيد المرتضى المعروف بعَلَم الهدى: ولد عام ٣٣٥ هـ و توفى فى سنة ٤٣٦ هـ. لقبه العلامة الحلى بمعلم الشيعة الامامية. كان رجلاً جامعاً اديباً متكلماً فقيهاً يعنى بآرائه الفقهاء، كتابه المعروف فى الفقه: الانتصار، و جل العلم و العمل. تتلمذ هو و اخوه السيد الرضي (جامع نهج البلاغة) على الشيخ المفيد (قده).

٧ــ الشيخ ابوجعفر الطوسى المعروف بشيخ الطائفة: من النجوم اللامعة فى سماء الاسلام، له مؤلفات كثيرة فى الفقه و الاصول و الحديث و التفسير و الكلام و الرجال. و الطوسى نسبة الى طوس خراسان ولد عام ٣٨٥ و هاجر الى بغداد مركز علوم الاسلام آنذاك عام ٤٠٨ و له ثلاثة و عشرون عاماً، و بقى فى العراق الى آخر عمره: و انتقلت اليه بعد استاذه السيد المرتضى الرئاسة العلمية و المرجعية. درس على الشيخ المفيد خمس سنين و استفاد مدة مديدة من محضر ابرز تلامذة شيخه السيد المرتضى حتى توفى هذا الآخير عام ٤٣٦ هـ و بقى هو على قيد الحياة بعد استاذه السيد أربعة و عشرين عاماً، بقى منها فى بغداد اثنى عشر عاماً ثم

١٠١ــ الكنى والألقاب. للشيخ عباس القمي (قده)

هجرها الى النجف الاشرف اثر حوادث جرت الى نهب بيته و مكتبته، فأسس فى النجف الاشرف حوزة علمية و توفى فيها عام ٤٦٠ (و دفن فى بيته الى جنب مسجده الى جوار مرقد مولانا الامام أمير المؤمنين عليه السلام خلف جامع عمران بن شاهين المبنى على عهد الدّيالمة البوهيين، ثم وسّع المسجد فيما بعد فدخل قبره فى المسجد المعروف باسمه، يزار و يتبرك به).

و للشيخ الطوسى (قده) كتب فى الفقه باسم: «النهاية فى مجرد الفقه و الفتاوى» اصبح كتاب التدريس على عهد الشيخ و بعده الى مدة مديدة. و كتاب آخر باسم: «المبسوط» دخل بالفقه فى كتابه هذا الى مرحلة جديدة، و كان اوسع كتاب للفقه الشيعى على عهده. و كتاب آخر باسم: «الخلاف فى الفقه» ذكر فيه آراء فقه الشيعة مقارناً اياها بآراء غيرهم (مشيراً الى وجه الاستدلال غالباً) و له فى الفقه كتب اخرى ايضاً. و كان القدماء حتى قبل هذا القرن اذا أطلقوا «الشيخ» قصدوا به الشيخ الطوسى و اذا اطلقوا «الشيخان» قصدوه و شيخه الشيخ المفيد (كما سبق من المحقق الحلى فى مقدمة كتابه «المعتبر») بل ان الشيخ الطوسى هو اعرف الوجوه التى تذكر آراؤهم فى مختلف الكتب و الأبواب الفقهية. و كان ابنه الشيخ أبوعلى أيضاً فقيهاً مرجعاً للشيعة بعد أبيه يلقب بالمفيد الثاني جليل القدر، و قد نقل المرحوم الميرزا حسين النورى فى كتابه (مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٤٩٧): أن له كتاب «الآمالى» و شرحا على كتاب «النهاية» لوالده الشيخ الكبير. و نقل الشيخ الدرازى آل عصفور البحرانى فى كتابه «لؤلؤة البحرين»: أن بنات الشيخ أيضاً كنّ فاضلات بل فقيهات. و كان للشيخ أبي على بن الشيخ ولد خلفه فى مرجعية الشيعة و رئاسة الحوزة العلمية، اسمه الشيخ ابوالحسن محمد بن الشيخ أبي على بن الشيخ الطوسى. و قد قال ابن العماد الحنبلى فى كتابه (شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ج ٤ ص ١٢٦): «... رحلت اليه طوائف الشيعة من كل جانب الى العراق و حملوا اليه. و كان ورعاً عالماً كثير الزهد. و اثنى عليه السمعانى. و قال العماد الطبرى: لوكان جازت على غير الأنبياء صلاة صليت عليه»[١٠٢] توفى فى سنة ٥٤٠ هـ.

٨ ــ القاضى عبدالعزيز الحلبى المعروف بابن البرّاج: تلميذ السيد المرتضى و الشيخ الطوسى، بعثه الشيخ الطوسى الى موطنه من بلاد الشام، فاستمر قاضياً فى طرابلس الشام عشرين عاماً. مات سنة ٤٨١ هـ و اكثر مايذكر من كتبه: المهذّب، و الجواهر.

٩ ــ الشيخ ابوالصلاح الحلبى الشامى: تلميذ السيد المرتضى و الشيخ الطوسى و عمّر مئة سنة. و كتب صاحب «ريحانة الأدب» يقول: انه كان تلميذ الشيخ سلاّر بن عبدالعزيز. ولو كان هذا صحيحاً لأوجب أن يكون تلميذاً لثلاث طبقات من الشيوخ! و

---

١٠٢ ــ مقدمة العلامة السيد محمد صادق بحرالعلوم على رجال الشيخ الطوسي، ط، النجف، ص: ١٢٢.

كتابه المعروف فى الفقه يسمى «الكافى» مات عام ٤٤٧ هـ . ولوكان عمره مئة سنة و كان قد توفى فى ٤٤٧ لكان اكبر من كلا شيخيه. و كان المرحوم الشهيد الثانى يلقبه: «خليفة المرتضى فى البلاد الحلبية.

١٠ــ حمزة بن عبدالعزيز الديلمى: المعروف بسلار الديلمى المتوفى بين عام ٤٤٨ وعام ٤٦٣ هـ. وهوتلميذ الشيخ المفيد والسيد المرتضى: كان ايرانياً توفى فى خسروشاه تبريز. كتابه المعروف فى الفقه يسمى «المراسم». وانّ سلاروان كان من طبقة الشيخ الطوسى وليس من تلامذته، مع ذلك نرى المحقق الحلى يعبّرعنه مع ابن البراج وأبى الصلاح فى مقدّمة كتابه «المعتبر» بعنوان: «اتباع الثلاثة» اى يحسبهم من الاتباع، و الظاهر أنه يقصد من هذا أنّ هؤلاء الثلاثة اتباع للشيوخ الثلاثة: الشيخ المفيد و السيد المرتضى و الشيخ الطوسى.

١١ــ السيد ابوالمكارم ابن زهرة: يروى بواسطة واحدة عن أبي على ابن الشيخ الطوسى، وهوفى الفقه تلميذ الشيخ الطوسى بوسائط. كان من أهل حلب توفى فى عام ٥٨٥ هـ . كتابه المعروف فى الفقه يسمى «الغنية» و حينا يطلق: «الحلبيان» يقصد به: ابوالصلاح الحلبى و ابن زهرة الحلبى. و حينا يطلق: «الحلبيون» يقصدون به بالاضافة اليهما ابن البرّاج فانه أيضاً من حلب. و جاء فى (مستدرک الوسائل ج ٣ ص ٥٠٦) فى احوال الشيخ الطوسى: ان ابن الزهرة كان قد قرأ كتاب «النهاية» للشيخ الطوسى على أبي على الحسن بن الحسين المعروف بابن الحاجب الحلبى، و هو كان قد قرأ الكتاب على أبي عبدالله زينو بارى فى النجف الاشرف، و هو كان قد قرأ الكتاب على الشيخ رشيدالدين على بن زيرک القمى و السيد هاشم الحسينى، وهماقد قرءا الكتاب على الشيخ عبدالجبار الرازى، وقد كان من تلامذة الشيخ الطوسى، وعلى هذا يكون ابن زهرة تلميذ الشيخ الطوسى بأربع وسائط.

١٢ــ ابن حمزة الطوسى: المعروف بابن عمادالدين الطوسى، وقد كان من طبقة تلامذة الشيخ الطوسى. ولم يعلم تاريخ وفاته بصورة دقيقة، توفى فى حدود منتصف القرن السادس الهجرى. و هو من أهل خراسان. كتابه المعروف يسمى «الوسيلة».

١٣ ــ ابن ادريس الحلى: من فحول علماء الشيعة، هوعربى و الشيخ الطوسى جدّه الاعلى لأُمه. كان معروفاً بالتحرر الفكرى، فقد كسر طوق هيبة جدّه الشيخ و انتقد سائر العلماء و الفقهاء انتقاداً فقهياً علمياً لاذعاً يقرب من التوهين بمقامهم. توفى فى عام ٥٩٨ و له خمس و خمسون سنة. كتابه المعروف فى الفقه يسمى «السرائر» و قد قيل أن ابن ادريس كان من تلامذة السيد أبى المكارم بن زهرة، بينمالا نصل من تعبيراته عنه فى كتابيه: الوديعة و السرائر الا الىٰ أنه كان شيخاً من معاصريه وكان يكاتبه فى بعض المسائل الفقهية.

١٤ــ الشيخ ابوالقاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلى، المعروف بالمحقق الحلى. له كتب كثيرة فى الفقه منها: شرائع الاسلام فى مسائل الحلال و الحرام، و المعارج، و

المعتبر، و المختصر النافع من كتاب الشرائع. كان بينه و بين ابن ادريس و ابن زهرة واسطة واحدة فى المشيخة و التلمذة. و قد كتب المحدث القمى فى احوال ابن نما فى كتابه «الكنى و الألقاب» يقول: «قال المحقق الكركى فى وصف المحقق الحلى: ان اعلم اساتذة المحقق فى فقه أهل البيت هو الشيخ محمد بن نما الحلى، و أجل اساتذته هو ابن ادريس الحلى (ره) و الظاهر أن مقصود المحقق الكركى هو أن أجل اساتذة ابن نما هو ابن ادريس، اذ انه توفى فى ٥٨٩، و المحقق قد توفى فى ٦٧٦، فمن المقطوع به أن المحقق لم يكن ليدرك مجلس درس ابن ادريس.

و كتب فى «ريحانة الادب» يقول: «إنّ المحقق الحلى كان تلميذ جده و أبيه و السيد فخار بن معد الموسوى و ابن زهرة» و هذا خطأ، اذ أن المحقق لم يدرك ابن زهرة المتوفى فى ٥٨٥ هـ، نعم لايبعد أن يكون أبو المحقق من تلامذة ابن زهرة.

و هو شيخ العلامة الحلى (قده) ولايقدّم عليه احد فى الفقه. و اذا اطلق الفقهاء لقب المحقق بصورة مطلقة كان المقصود هو هذا الشيخ الكريم. وكان قد لاقاه فى الحلة الفيلسوف والرياضي الكبير الخواجة نصير الدين الطوسى وقد حضر مجلس درسه فى الفقه. و كتب المحقق فى الفقه كانت ولا تزال كتبا دراسية و لاسيما «شرائع الاسلام» و قد شرح كتبه و علق عليها كثير من الفقهاء بعده.

١٥ ــ الحسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلى: المعروف بالعلامة الحلى. كان من أعاجيب الرجال الأفذاذ. كتب كثيراً فى الفقه والاصول و الكلام والمنطق و الفلسفة و الرجال و غيرها، يوجد الآن من كتبه ما يقرب من مئة كتاب مطبوع او مخطوط، يكفى بعضها كتذكرة الفقهاء ليكون مرآة لنبوغ هذه الشخصية الفقهية النابغة. له كتب كثيرة فى الفقه شرحها وعلق عليها كثير من الفقهاء بعده. كتبه الفقهية المعروفة هى: الارشاد، تبصرة المتعلمين، القواعد، تذكرة الفقهاء، مختلف الشيعة، المنتهى. له اساتذة كثيرون، كان فى الفقه تلميذ خاله المحقق الحلى، و فى الفلسفة و المنطق تتلمذ على الخواجة نصير الدين الطوسى. و قد درس الفقه السنّي لدى علماء اهل السنة! ولد عام ٦٤٨ و توفى ٧٢٦ هـ.

١٦ ــ فخر المحققين: محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّى ابن العلاّمة. ولد عام ٦٨٢ و توفى فى ٧٧١. ذكره العلامة الحلى فى مقدمة كتابيه القواعد و تذكرة الفقهاء ذكراً جليلاً، بل تمنى فى آخر القواعد أن يكون الولد مكملاً لما لم يتمه والده العلامة. له كتاب اسماه «ايضاح الفوائد فى شرح مشكلات القواعد» يعنى الفقهاء بآرائه فى هذا الكتاب.

١٧ ــ محمد بن مكى الجزينى العاملى: المعروف بالشهيد الاول، تلميذ فخر المحققين، وهو من اعاظم فقهاء الشيعة، بل هو من طراز المحقق والعلامة. من أهل «جبل عامل» في جنوب لبنان، و هى من اقدم مراكز الشيعة و لازالت. ولد الشهيد الاول عام ٧٣٤ و استشهد عام ٧٨٦ بفتوى فقيه مالكى و تأييد فقيه آخر شافعى! هو من تلامذة

تلامذة العلامة ومنهم فخر المحققين. كتبه المعروفة في الفقه هي: اللمعة الدمشقية، التي ألفها في مدة قليلة في نفس السجن الذي اودى بحياته اي نقل منه الى المشنقة العثمانية، ومن الغريب أنه قد شرح هذا الكتاب بعد قرنين من الزمان فقيه كبير كتب له نفس مصير المؤلف الاول، اي أنه استشهد ايضاً و لقب بالشهيد الثاني. و الشرح هو «الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية» الذي كان ولايزال من الكتب الدراسية للطلاب. و سائر كتبه هي: الدروس، الذكرى، البيان، الألفية، القواعد و جميعها من نفائس الآثار الفقهية. وقد شرح هذه الكتب و علق عليها بعد مؤلفها جماعة من الفقهاء.

ان كتب هؤلاء الثلاثة: المحقق الحلي، و العلامة، و الشهيد الأول، من علماء القرنين السابع و الثامن اصبحت من متون الكتب الفقهية حيث شرحها و علق عليها كثير من الفقهاء بعدهم، ولانرى بين فقهاء الشيعة من عنى الفقهاء هكذا بآثارهم كهؤلاء، حتى اضيف رابع الى هؤلاء الثلاثة في القرن السابق وهو الشيخ مرتضى الانصاري التستري بكتابيه: الرسائل والمكاسب. يمضي اليوم على وفاته اكثر من مئة وثلاثة عشر عاماً.

اسرة الشهيد الاول كانت من بيوتات العلم و الفضل و الفقه في الشيعة، وقد تمتعت بهذا الشرف اجيالاً متعاقبةً فان للشهيد الاول ثلاثة ابناء كلهم من العلماء والفقهاء، بل كانت زوجته ام علي و ابنته ام الحسن ايضاً فقيهتين بل كان الشهيد (ره) يرجع بعض النساء في بعض المسائل الفقهية الى هاتين السيدتين يقول في «ريحانة الادب»: «لقب بعض الاكابر فاطمة بنت الشهيد بالشيخة او «ست المشايخ» اى «سيدة المشايخ».

١٨ ــ الفاضل المقداد السيوري: من أهل سيور من قرى الحلة، كان من التلاميذ المبرّزين للشهيد الاول. كتابه المعروف في الفقه و المطبوع هو «كنز العرفان في فقه القرآن» و هو من كتب آيات الاحكام، اي انه في تفسير الآيات القرآنية الكريمة التي يستنبط منها مسائل فقهية. و قد كتب في آيات الأحكام كتب كثيرة في الشيعة و السنة و كنز العرفان للفاضل المقداد من أجود ما كتب في هذا الموضوع، توفي الفاضل المقداد سنة ٨٢٦، فهو من القرن التاسع.

١٩ ــ جمال السالكين ابوالعباس أحمد بن الفهد الحلّي الأسدي: ولد عام ٧٥٧ وتوفي في ٨٤١، و هو من طبقة تلامذة الشهيد الاول و فخر المحققين، مشايخه في الحديث هم: الشيخ الفاضل المقداد و الشيخ علي بن الخازن الفقيه و الشيخ بهاء الدين علي بن عبدالكريم[١٠٣] و الظاهر أن هؤلاء هم شيوخه في الفقه أيضاً. له مؤلفات فقهية معتبرة من قبيل: المهذب البارع في شرح المختصر النافع للمحقق الحلي، و شرح ارشاد العلامة باسم «المقتصر» و شرح الفية

---

١٠٣ ــ الكنى والالقاب، ج ١، ص: ٣٨١.

الشهيد الاول. و اشتهرابن فهد بالاخلاق و السلوک اکثر من الفقه، و کتابه المعروف فی الدعاء «عدّة الداعی».

۲۰ ــ الشیخ علی بن هلال الجزائری: الزاهد المتق جامع المعقول و المنقول. شیخه فی الروایة ابن فهد الحلی و لا یبعد أن یکون شیخه فی الفقه ایضاً. قیل انه کان فی عصره شیخ الاسلام و مرجع الشیعة العام. و کان المحقق الکرکی من تلامذته و قد وصف شیخه هذا بالفقه و أنه کان شیخ الاسلام. و قد تتلمذ لدیه ابن أبی جمهور الاحسائی أیضاً. و لم یعرف تاریخ ولادته و وفاته بالضبط.

۲۱ ــ الشیخ علی بن عبدالعالی الکرکی،: المعروف بالمحقق الکرکی او المحقق الثانی. کان من فقهاء جبل عامل، و هو من اکابر فقهاء الشیعة. اکمل دراسته فی الشام و العراق ثم جاء الی ایران (علی عهد الشاه‌طهماسب) ففوض الیه منصب «شیخ الاسلام» لاول مرة فی ایران، ثم فوّض بعده الی تلمیذه الشیخ علی المنشارأبي زوجة الشیخ البهائی، ثم فوّض بعده الی الشیخ البهائی، و القرار الذی کتبه‌طهماسب باسم المحقق الکرکی و فوّض الیه فیه اختیارات تامة بل اعلن فیه أن المحقق هو فی الواقع صاحب الاختیار و انما الملک وکیل للمحقق و نائب عنه فی إدارة شؤون البلاد السیاسیة و الاجرائیة، قرار معروف مشهور. کتابه المعروف الذی یذکر فی الفقه کثیراً هو «جامع المقاصد فی شرح القواعد» شرح لقواعد العلامة الحلی، و له حواش و شروح علی المختصر النافع والشرائع للمحقق و کتب اخری للعلامة و کتب للشهید.

إنّ اتیان المحقق الثانی الی ایران و تأسیسه للحوزة فی اصفهان وتربیته لتلامذة مبرّزین فی الفقه مما اعطی لایران صفة مرکزیة للشیعة. و قد توفی المحقق فیما بین اعوام ۹۳۷ الی ۹٤۱ هـ .و هو من تلامذة علی بن هلال الجزائری و ابن فهد الحلی، و کان ابن فهد تلمیذ تلامذة الشهید الاول من قبیل الفاضل المقداد السیوری، وعلی هذا یکون بینه و بین الشهید الاول واسطة او واسطتان. و کان ابن المحقق: الشیخ عبدالعالی بن علی بن عبد العالی ایضاً من فقهاء الشیعة، و له شرح لارشاد العلامة و الفیة الشهید.

۲۲ ــ الشیخ زین الدین الجبعی العاملی: المعروف بالشهید الثانی. هو من اعاظم فقهاء الشیعة، کان رجلاً جامعاً و کانت له ید فی مختلف العلوم فی عصره، و هو من أهل «جبل عامل» جده السادس «صالح» کان من تلامذة العلامة الحلی (ره) و الظاهر أنه کان فی الأصل من أهل طوس خراسان و لذلک کان الشهید الثانی یوقع أحیاناً: «الطوسی الشامی». ولد سنة ۹۱۱ هـ و استشهدعام۹٦٦هـ .له اسفار کثیرة و اساتذة کثیرون، فقد سافر الی دمشق و بیت المقدس و مکة و مصر و العراق و ترکیا و قد استفاد من اسفاره، نری فی قائمة مشیخته اثني عشر شیخاً من العامة، و لذلک کان رجلاً جامعاً مطلعاً علی الفلسفة و العرفان و الطب و النجوم بالاضافة الی الفقه و الاصول. کان متقیاً زاهداً، کتب تلامذته

بشأنه: أنه كان يذهب فى الأمسيات يحتطب لأهله و لقوتهم و يجلس فى الصباح للدرس، و كان فى بعلبک يدرس مدة من الزمان على المذاهب الخمسة: الحنبلى والحنفى و الجعفرى و الشافعى و المالكى. و له مؤلفات كثيرة اشهرها شرحه على اللمعة الدمشقية للشهيد الاول باسم «الروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية» ثم «مسالک الأفهام الى شرح شرائع الاسلام» للمحقق الحلى (ره). و كان الشهيد الثانى من تلامذة المرحوم المحقق الكركى قبل مجيئه الى ايران، و هو لم يأت الى ايران. ابنه الشيخ حسن صاحب «معالم الدين» من معاريف المجتهدين فى الشيعة.

٢٣ ـ الشيخ احمد بن محمد الاردبيلى: المعروف بالمقدس الاردبيلى، ضرب به المثل فى الزهد و التقوى، و هو من محققى فقهاء الشيعة. سكن المحقق الاردبيلى فى النجف الاشرف، و كان معاصراً للشاه عباس الصفوى الكبير، و كلما أصر الشاه على مجيئه الى اصفهان لم يرض بذلک. و كان الشاه عباس يحب أن يراجعه الشيخ المقدس فى حاجة ليخدمه فيها، حتى اتفق ان فرّ رجل مقصّر من عقوبة الشاه الى النجف الاشرف و طلب من المقدس الاردبيلى أن يشفع له عندالشاه عباس، فكتب الشيخ الى الشاه يقول:

«ليعلم صاحب الملوكية العارية عباس: أن هذا الرجل و ان كان ظالماً سابقاً الا أنه يبدو الآن مظلوماً، فلو عفوت عن تقصيره عسى الله أن يغضي عن بعض تقصيراتک. عبد صاحب الولاية: أحمد الاردبيلى».

فكتب الشاه عباس جوابه يقول فيه:

«اعرض عليكم: ان عباساً قدّم ما امرتم به من الخدمة ممنوناً لكم، و الرجاء أن لا تنسوا هذا المحب من دعاء الخير ـ كلب الحضرة العلوية: عباس».

إنّ إباء المقدس الاردبيلى عن الذهاب الى اصفهان كان السبب فى احياء صورة النجف الاشرف بعنوان مركز علمى آخر للشيعة بعد اصفهان، كما أنّ امتناع الشهيد الثانى و ابنه الشيخ حسن صاحب «المعالم» و سبطه السيد محمد صاحب «المدارک» عن الرواح من الشام و جبل عامل الى اصفهان كان هوالسبب فى دوام تلک الحوزة هناک و عدم انقراضها، و قد بلغ امتناعهم عن الانتقال عن الشام و جبل عامل الى درجة أنّهم انصرفوا عن زيارة حضرة الامام الرضا عليه السلام مع شدة اشتياقهم اليها، مخافة أن يضطروا الى الاجابة فيما اذا دعوا من قريب!.

ولم اقف أنا لحدّ الآن على مشيخة وأساتذة المقدس الاردبيلى، إلا أنا نعلم أنه انما تلقى الفقه لدى تلامذة الشهيد الثانى، و أنّ ابن الشهيد حسن بن زين الدين صاحب «المعالم» و سبطه السيد محمداً صاحب «المدارک» كانا من تلامذة المقدس فى النجف الاشرف. وقد كتب الفاضل الشيخ على دوانى يقول: «ان المولى أحمد الاردبيلى، و المولى عبدالله الشوشترى، و

المولى عبدالله اليزدى، و الخواجة افضل الدين تركه، و الميرزا فخرالدين هماكى، و الشاه ابامحمد الشيرازى، و المولى الميرزاجان، و الميرزا فتح الشيرازى كانوا من تلامذة الخواجة جمال الدين محمود، و هو كان من تلامذة المحقق جلال الدين الدواني»[١٠٠] و الظاهر أن تلمذته لدى المحقق الدوانى كانت فى العلوم العقلية فقط و قد توفى المقدّس الاردبيلى فى النجف الاشرف عام ٩٩٣ هـ ، له كتابان معروفان فى الفقه احدهما «شرح الارشاد» و الثانى «زبدة البيان فى احكام القرآن» و له نظريات دقيقة يعنى بها الفقهاء».

٢٤ ــ الشيخ بهاء الدين محمد العاملى، المعروف بالشيخ البهائى: و هو أيضاً من أهل جبل عامل، اقبل فى صباه مع والده الشيخ حسين بن عبدالصمد ــ من تلامذة الشهيد الثانى ــ الى ايران. كان رجلاً جامعاً له مؤلفات متنوعة، سافر الى مناطق مختلفة و ادرک مختلف الشيوخ فى مختلف الفروع و الفنون، و كان ذا ذوق و فكر نابغ، كان أديباً و شاعراً و فيلسوفاً و رياضياً و مهندساً و فقيهاً و مفسّراً و له المام بالطب ايضاً. و هو اول من كتب رسالة عملية فقهية غير استدلالية و دورة كاملة من الفقه عرفت باسم «الجامع العباسى» نسبة الى الشاه عباس الصفوى.

و حيث لم يكن الشيخ البهائى متخصّصاً فى الفقه فلم يكن يُعد من الرتبة الاولى من الفقهاء الا أنه ربّى تلامذة كثيرين، منهم المولى صدر الدين الشيرازى و المولى محمد تقى المجلسى الاول و المحقق السبزوارى و الفاضل الجواد صاحب كتاب «آيات الأحكام». و كما قلنا سابقاً كان منصب «شيخ الاسلام» قد انتهى بعد المحقق الكركى الى الشيخ على المنشار أبي زوجة الشيخ البهائى ثم الى الشيخ البهائى. و كانت زوجة الشيخ البهائى بنت الشيخ على المنشار امرأة فاضلة فقهية. ولد الشيخ البهائى سنة ٩٥٣ و مات عام ١٠٣٠ او١٠٣١هـ و قد سافر الى آذربايجان و هرات و الشام و فلسطين و العراق و مصر.

٢٥ ــ المولى محمد باقر السبزوارى، المعروف بالمحقق السبزوارى: نسبة الى مدينة سبزوار الخراسانية، و تربّى فى مدرسة الحوزة العلمية باصفهان و احاط بالعلوم العقلية و النقلية فاصبح جامع المعقول و المنقول. يذكر فى الفقه كثيراً، له فى الفقه كتابان معروفان احدهما: «الذخيرة» و الآخر باسم «الكفاية» وله حواش على قسم الالهيات للشيخ الرئيس أبى على الحسين بن على بن سينا. مات عام ١٠٩٠ هـ كان من تلامذة الشيخ البهائي و المجلسى الاول.

٢٦ ــ السيد حسين الخونسارى، المعروف بالمحقق الخونسارى: و هو أيضاً ممن تربّى فى مدرسة الحوزة العلمية باصفهان و أحاط بالعلوم العقلية و النقلية فهو أيضاً جامع المعقول و

المنقولچ و هو زوج اخت المحقق السبزواری. کتابه المعروف فی الفقه یدعی «مشارق الشموس فی شرح کتاب الدروس» للشهید الاول. کان من معاصری المحقق السبزواری و المولی محمد محسن الفیض الکاشانی والمولی محمد باقر المجلسی. وقد سبق ذکرُ أن المحقق الخونساری قد توفی فی سنة ۱۰۹۸ هـ.

۲۷ ــ جمال المحققین: المعروف بالسید جمال الخونساری بن السید حسین الخونساری. و هو أیضاً جامع المعقول و المنقول، له حاشیة معروفة علی «شرح اللمعة» و حاشیة مختصرة علی قسم الطبیعیات من کتاب «الشفاء» للشیخ الرئیس أبی علی الحسین بن علی بن سینا طبعت فی هامش الطبعة الحجریة فی طهران.

و هو من شیوخ السید ابراهیم القزوینی و هو شیخ ابنه السید حسین القزوینی و هو شیخ السید مهدی بحرالعلوم.

۲۸ ــ الشیخ بهاء الدین الاصفهانی: المعروف بالفاضل الهندی، شرح کتاب «القواعد» للعلامة سماه «کشف اللثام عن قواعد الاسلام» و لهذا یدعی: کاشف اللثام، له فی الکتاب آراء و نظریات یعنی بها الفقهاء. مات الفاضل الهندی سنة ۱۱۳۷ فی فتنة الافغان. و کان جامع المعقول و المنقول.

۲۹ــ الشیخ محمد باقر بن محمد اکمل البهبهانی: المعروف بالوحید البهبهانی، کان من تلامذة السید صدر الدین الرضوی القمی شارح «الوافیة» و هو من تلامذة السید جمال الخونساری الآنف الذکر. کان یعیش بعد الصفویة، و قد سقطت حوزة اصفهان عن مرکزیتها بعد انقراض الصفویة، فهاجر بعض العلماء و الفقهاء منهم السید صدر الدین الرضوی القمی استاذ الوحید البهبهانی الی العتبات المقدسة فی العراق، فاستقر الوحید البهبهانی مع استاذه بکربلاء المقدسة و ربّی تلامذة عدیدین منهم السید مهدی بحر العلوم و الشیخ جعفر کاشف الغطاء و المیرزا ابوالقاسم القمی صاحب کتاب «القوانین» و الحاج المولی مهدی النراقی و السید علی صاحب الریاض و المیرزا مهدی الشهرستانی و السید محمد باقر الشفتی الاصفهانی المعروف بحجة الاسلام، و المیرزا مهدی الشهید المشهدی و السید جواد صاحب «مفتاح الکرامة» و السید محسن الاعرجی.

و فوق هذا انه جاهد جهاداً متواصلاً فی الدفاع عن الاجتهاد و مکافحة الاخباریة التی کانت قد راجت فی ذلک العهد، و انّ هزیمة الاخباریین و تربیة جماعة من المجتهدین البارزین کان السبب فی تلقیب هذا الشیخ بلقب «استاذ الکُلّ». کان من التقوی فی حد الکمال. و کان تلامذته یعترفون له باحترام فائق. و هو ینتسب الی المحدّث المجلسی الاول فهو من اسباطه (بوسائط). فانّ ابنة المجلسی الاول (آمنة بگم) کانت زوجة المولی صالح المازندرانی صاحب الحاشیة علی «معالم الدین» فی الاصول، و کانت فاضلة فقیهة تحل أحیاناً

مايشكل على زوجها الفاضل. و هى جدّة الوحيد البهبهانى.

٣٠ــ السيد محمد مهدى بحرالعلوم: التلميذ الأكبروالاكرم للشيخ الوحيد البهبهانى، و هو من كبار الفقهاء، له منظومة فى الفقه معروفة، و له آراء فى الفقه يعنى بها الفقهاء. يحترمه علماء المذهب حتى أن بعضهم عدّه تالى تلو المعصومين عليهم السلام لما كان له من المقامات المعنوية و الاخلاقية العالية، حتى أن الشيخ جعفراً كاشف الغطاء الكبير كان ــ كما يقال ــ يمسح نعال السيد بحنك عمامته! ولدبحر العلوم عام ١١٥٤ و مات سنة ١٢١٢ هـ .

٣١ــ الشيخ جعفر كاشف الغطاء: كان تلميذ الوحيد البهبهانى و تتلمذعليه السيد مهدى بحر العلوم. كان فقيهاً ماهراً له كتاب فى الفقه معروف يدعى «كشف الغطاء» هو عربى كان يعيش فى النجف الاشرف و قد ربّى تلامذة عديدين منهم الشيخ جواد صاحب «مفتاح الكرامة» و الشيخ محمد حسن صاحب «جواهر الكلام» كان له ثلاثة اولاد كلهم فقهاء. و كان كاشف الغطاء معاصراً للشاه فتح على القاجارى و قد اثنى عليه فى مقدمة كشف الغطاء. توفى فى عام ١٢٢٨ هـ له فى الفقه نظريات دقيقة و عميقة تذكرمقرونة بتعظيم مقامه العلمى.

٣٢ــ الشيخ محمدحسن: صاحب «جواهر الكلام فى شرح شرائع الاسلام» يمكن أن يدعى أنه دائرة معارف للفقه الشيعى، فليس اليوم فقيه يستغنى عنه، وقد طبع مراراً على الحجر وأخيراً طبع على الحروف بالقطع الوزيرى يقع فى ٤٠ مجلداً كل مجلد يشتمل على ٤٠٠ صفحة اى يشكل الكتاب عشرين الف صفحة كل سطر منه فيه معنى و بحث حول الفقه، مطالعة الكتاب تستغرق مدة من الزمان فكم صرف على تحضيره و تأليفه من الجهدوالمدة؟ انه صرف ثلاثين عاماً من عمره الشريف حتى اوجد هذا الاثر العظيم. إنّ هذا الكتاب مظهر عظيم من مظاهر الايمان والرغبة و الهمة و النبوغ والصبروالاستقامة على العمل و المثابرة. كان صاحب الجواهر من تلامذة كاشف الغطاء و هو شيخ استاذ السيد جواد العاملى صاحب «مفتاح الكرامة» و كانت له حوزة درس كبيرة و تربّى لديه تلامذة كثيرون، كان عربياً اصبح مرجعاً علماً للشيعة فى عصره، مات اوائل ملك الشاه ناصرالدين عام ١٢٦٦ هـ .

٣٣ ــ الشيخ مرتضى الانصارى: من أحفاد جابر بن عبدالله الانصارى من صحابة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. ولد فى دزفول و درس لدى والده حتى العشرين من عمره ثم سافر الى النجف الاشرف، فلما رأى علماء النجف نبوغه الخارق للعادة طلبوا من والده أن لايرجع به الى بلده، وقبل والده فتركه فى النجف الاشرف، و بقى الشيخ الانصارى فى النجف اربع سنين مستفيداً من بحوث العلماء الاعلام، ثم رجع الى بلده على أثر حوادث مؤلمة، و مكث فى دزفول عامين ثم رجع مرة اخرى الى النجف و حضر مجالس الدروس عامين ثم عاد الى ايران. و صمم على الاستفادة من محاضر علماء ايران و فى طريق مشهد الامام الرضا

عليه السلام التقى فى كاشان بالشيخ المولى أحمد النراقى صاحب كتاب «مستند الشيعة» و«معراج السعادة» وهو ابن الشيخ المولى مهدى النراقى الآنف الذكر، فعزم على الاقامة فى كاشان و حضر ابحاثه ثلاث سنين. ثم رحل الى مدينة مشهد الامام و توقف فيها خمسة اشهر. ثم سافر الى اصفهان و بروجرد، و كان هدفه لقاء الاساتذة والاستفادة منهم. و رجع مرة اخرى الى النجف الاشرف عام ١٢٥٢ و ١٢٥٣ واخذ يدرس هناك حتى اصبح مرجعاً عاماً للشيعة بعد الشيخ محمد حسن النجفى صاحب «الجواهر».

لقّب الشيخ الانصاري: بخاتم الفقهاء و المجتهدين، و هو يكاد أن يكون عديم المثيل فى الدقة و عمق النظر، ادخل اصول الفقه و الفقه الى مرحلة جديدة، له فى الفقه و الاصول آراء جديدة لاسابقة لها. حتى أن كتابيه «الرسائل» و«المكاسب» اصبحا كتابين دراسيين. والعلماء بعده من تلامذته و اتباعه، و قد علقوا على كتبه حواشى متعددة، و هو الوحيد بعد المحقق الحلى و العلامة الحلى و الشهيد الاول الذى علق العلماء بعده على كتبه و شرحوها كثيراً. و كان يضرب به المثل فى الزهد و التقوى و تنقل عنه امور، توفى فى سنة ١٢٨١ في النجف و دفن فيها.

٣٤ ــ السيد ميرزا محمد حسن الشيرازى: المعروف بالميرزا الشيرازى الكبير المجدد. درس فى اصفهان اوّلاً ثم رحل الى النجف الاشرف و حضر بحث صاحب الجواهر ثم دروس الشيخ مرتضى الانصارى و اصبح من تلامذته المبرّزين، و اصبح بعدُ مرجع الشيعة العام طوال ٢٣ عاماً. و هو الذى الغى بتحريم التبغ معاهدة التبغ الانجليزية الاستعمارية «رژى». و تربّى لديه تلامذة كثيرون كالشيخ الآخوند المولى محمد كاظم الخراسانى و السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى و الشيخ الحاج آقا رضا الهمدانى و الحاج ميرزا حسين السبزوارى و السيد محمد الفشاركى الاصفهانى و الميرزا محمد تقى الشيرازى و غيرهم. لم يخلف أثراً مكتوباً الا أنّ آراءه الفقهية تنقل شفوياً و يعنى بها الفقهاء. مات عام ١٣١٢ هـ.

٣٥ ــ الشيخ الآخوند المولى محمد كاظم الخراسانى: ولد فى مشهد الامام الرضا عليه السلام من عائلة فقيرة غير معروفة سنة ١٢٥٥، و هاجر الى طهران و له ٢٢ عاماً و اشتغل فيها مدة قليلة بالفلسفة ثم هاجر الى النجف الاشرف فادرك درس الشيخ الانصارى عامين و كان اكثر درسه لدى السيد الميرزا الشيرازى، و رحل السيد الشيرازى من النجف الى سامراء و اتخذها محلاً لاقامته عام ١٢٩١، فبقى الشيخ الآخوند فى النجف الاشرف و شكل حوزة خاصة لدرسه، و كان اكثر المدرسين توفيقاً و اطراداً، فكان يحضر مجلس درسه اكثر من الف طالب مئتان منهم قد بلغوا رتبة الاجتهاد. و كان اكثر الفقهاء فى هذا العصر الاخير من تلامذته كالسيد أبى الحسن الموسوى الاصفهانى و المرحوم الحاج آقا حسين البروجردى و المرحوم السيد حاج آقا حسينى القمى و المرحوم آقا ضياء الدين العراقى وغيرهم. و اكثر شهرة الآخوند فى الاصول، و كتابه فيه «كفاية الاصول» اصبح كتاباً دراسياً مهماً شرحه و علق عليه جماعة من

العلماء. و آراؤه فی الاصول تنقل فی الحوزات العلمیة و یعنی بها الفقهاء الاصولیون. و هوالذی افتی بضرورة التزام السلطة في ایران بالنظام الدستوری «المشروطة» مات عام ۱۳۲۹ ه و دفن فی النجف الاشرف.

۳۶ــ الشیخ الحاج میرزا حسین النائینی: کان من اکابر الفقهاء والاصولیین فی القرن الاخیر، درس لدی السید محمد الفشارکی و المیرزا الشیرازی الآنفی الذکر، و أصبح من اعلی المدرسین مقاماً و علماً و اکثر اشتهاره فی علم الاصول، عارض فی آرائه آراء استاذه الشیخ الآخوند الخراسانی و ادخل آراءً جدیدة فی الاصول، و اکثر فقهائنا المتأخرین من تلامذته. له کتاب نفیس فی مبانی الحکومة فی الاسلام و الدفاع عن النظام الدستوری القانونی اسماه «تنبیه الأمة فی وجوب حکم المشروطة» مات عام ۱۲۵۵ ه و دفن فی النجف الاشرف.

الخلاصة و النتائج

عرفنا هنا ستةً وثلاثین وجهاً من وجوه الفقهاء المعروفین من زمن الغیبة الصغری، ای من القرن الثالث حتی القرن الرابع عشر، و لهذه الوجوه شهرة تامة فی علمی الفقه و اصوله، ای انهم و آراءهم لازالت تذکر فی الفقه و کتبه ودروسه. ونصل مما ذکرناه الی امور:

أ ــ أن الفقه لازال حیّاً منذ القرن الثالث الهجری و حتی الیوم و لم تنقطع حیاته المستمرة، و أن الحوزات الفقهیة لازالت دائرة من دون توقف طوال هذه القرون الاحد عشر، و لم تنقطع فی هذه المدة علاقة الشیوخ و الاساتذة بالتلامذة و المتعلمین، فمثلاً لو بدأنا من استاذنا الکبیر المرحوم آیة الله البروجردی بتعداد المشایخ الی الوراء لاستطعنا أن نصل بهم الی عصر الائمة الاطهار علیهم السلام. و لانجد هکذا حیاة مستمرة لثقافة من الثقافات طوال احد عشر قرناً من الزمان، بل لایمکن أن نجد دواماً ثقافیاً بالمعنی الواقعی و بروح و حیاة واحدة بدون ای انقطاع تتوالی و تصل بالطبقات طوال هذه القرون المتمادیة الا فی الحضارة و الثقافة الاسلامیة، اجل نری فی سائر الحضارات و الثقافات سوابق اطول و لکنها تنقطع و تتوقف ثم تجد حیاتها مرة اخری.

و ذکرنا قبل هذا أنالم نبدأ بالفقه من القرن الثالث المقارن للغیبة الصغری بمعنی أن الفقه الشیعی بدأ من القرن الثالث، بل من حیث أن فقه الشیعة قبل هذا کان فی عصر حضور الائمة الأطهار علیهم السلام فلم یکن الفقه مستقلاً و کان فقهاء الشیعة منضوین تحت شعاع انوار الائمة علیهم السلام، و الا فانّ الفقه و الکتاب الفقهی فی الشیعة بدأمن عهد الصحابة، فقد کتب اول کتاب فی ذلک علی بن أبی رافع أخو عبیدالله بن أبی رافع صاحب بیت المال و کاتب أمیر المؤمنین علیه السلام.

ب ــ ان معارف الشيعة و منها فقههم لم ينظم ولم يدون بأيدى الشيعة الايرانيين فقط ــ كما زعم بعضهم ــ بل اسهم فيه الايرانيون و غيرهم، بل كان الغالب منهم قبل الصفوية فى القرن العاشر الهجرى من غير الايرانيين، و انما بدأ دورهم من اواسط عهد الصفويين.

ج ــ لم يكن مركز الفقه قبل الصفوية ايران، بل بدأ الفقه الشيعى نضجه فى بغداد ثم رحل الى النجف الاشرف ثم انتقل الى جبل عامل ثم عاد الى الحلة الفيحاء فى العراق ثم رجع الى حلب فى سورية ثم انتقل الى اصفهان على عهد الصفوية ثم رجع الى النجف الاشرف على عهد المقدس الاردبيلى و غيره و استمر حتى اليوم. و كانت مدينة «قم» من المدن الايرانية التى عدّت من مراكز الحوزات العلمية للشيعة منذ القرون الاولى على يد فقهاء قدماء من قبيل الشيخ على بن بابويه و الشيخ محمد بن قولويه، وعادت الى الحياة على عهد القاجار بيد الشيخ الميرزا ابى القاسم القمى صاحب كتاب «قوانين الاصول» ثم حددت حياتها على يد الشيخ عبدالكريم الحائرى اليزدى عام ١٣٤٠ هـ ولازالت هى احدى الحوزتين الكبيرتين للشيعة بل اكبر الحوزات.

وعلى هذا فقد كان مركز النشاط الفقهى بغداد حيناً و النجف الاشرف و جبل عامل و حلب و الحلة و اصفهان و قم أحياناً اخرى. و كانت قد تشكلت حوزات محلية قبل الصفوية و لاسيما بعدها فى مدن اخرى من قبيل مشهد وهمدان وشيرازو يزد و كاشان و تبريز و زنجان و قزوين و تون (فردوس) الا أنها لم تصبح مركزاً للفقهاء و لاحوزة من الدرجة الاولى الا اصفهان و قم و كاشان، و خير دليل على النشاط العلمى و الفقهى لهذه المدن وجود المدارس التاريخية فى جميع هذه البلدان المذكورة.

د ــ ان فقهاء جبل عامل كان لهم دورهم فى الخطوط العامةللدولة الصفوية الشيعية، فالصفويون-كما نعلم ــ كانوا صوفية، فلو لم يكن يعتدل خط الصفوية الصوفى الدروشى بسيرة فقهية عميقة من قبل فقهاء جبل عامل، ولولم تتأسس على ايديهم حوزة فقهية عميقة فى ايران، لكان خط الصفوية ينتهي الى ما انتهى اليه العلويون فى الشام او تركية. و كان لهذا العامل اثر كبير فى صيانة السيرة العامة للدولة و الأمة الايرانية من تلك التحريفات فى الصوفية، وتعديل نفس العرفان و التصوف الشيعى. و من هنا نقول انّ لفقهاء جبل عامل من قبيل المحقق الكركى و الشيخ البهائى و الآخرين بتأسيسهم الحوزةالفقهية فى اصفهان حقاً كبيراً على ذمة هذه الأمة.

هـ ــ إنّ التشيع فى جبل عامل مقدم من حيث الظهور و الزمان على التشيع فى ايران ــ كما قال شكيب ارسلان[١٠٤] و هذا دليل قاطع لردّ النظرية التى تقول بأن الشيعة هم الذين

---

١٠٤ ــ يراجع كتاب: «جبل عامل في التاريخ»

ابتدعوا التشيع. و يذهب جمع الى أن التشيع انما ظهر فى جبال بنى عاملة على اثر اقامة أبى ذر الغفارى مدة فى اراضى الشامات التى كانت يومئذٍ تشمل جبال عاملة او ما يقاربها. فكان الى جانب. مقاومته و نهيه لمنكرات معاوية و تكاثره فى اكتناز ثروات الأُمة و مع سائر الأُمويين يدعو الناس الى مشايعة على عليه السلام و متابعته وولايته ومحبته[١٠٥].

* * *

اما فقهاء أهل السنة، فينبغى أن اذكر قبل ذكرهم مقدمة:

كان الفقهاء العرب غير الشيعة يؤيّدون من قبل الامويين، اما على عهد العباسيين فقد كان الفقهاء غير العرب من غير الشيعة يلقون الدعم و التأييد.

يقول جرجى زيدان بشأن الخلفاء الأُمويين:

«قد علمت مما فصلناه فى الجزأين الماضيين من هذا الكتاب: ما كان من تعصب بنى امية للعرب و احتقارهم غير العرب من المسلمين و غيرهم، و أهل المدينة مع تحيزهم لاهل البيت و انكار الخلافة على بنى امية كان الامويون يسعون فى ارضائهم و اكرامهم، و خصوصاً أهل الورع من الخلفاء كعمر بن عبدالعزيز، فانه كان لايقطع أمراً مهمّا الا بعد مشورتهم. فلما افضى الامر الى بنى العباس اراد المنصور تصغير امر العرب و اعظام امر الفرس لانهم انصارهم و أهل دولتهم، كان من جملة مساعيه فى ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين، فبنى بناء سمّاه (القبلة الخضراء) حجاً للناس، و قطع الميرة عن المدينة، و فقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير، فاستفتاه اهلها فى أمر المنصور فافتى لهم بخلع بيعته فخلعوها و بايعوا محمدبن عبدالله من آل علىّ. و عظم امر محمد هذا، و حاربه المنصور و لم يتغلب عليه الا بعد العناء الشديد. فرجع أهل المدينة الى بيعة المنصور قهراً، و ظل مالك مع ذلك ينكر حق البيعة لبنى العباس، فعلم أمير المدينة يومئذٍ و هو جعفر بن سليمان ــ عم المنصور ــ بذلك فغضب و دعا بمالك و جرّده من ثيابه و ضربه بالسياط و خلع كتفه»[١٠٦].

و ينقل ابن النديم فى «الفهرست» فى ترجمة محمد بن شجاع المعروف بابن الثلجى، من الفقهاء؛ قصة ترينا سياسة الخلفاء العباسيين بشأن الايرانيين (غيرالشيعة): يقول: «قرأت بخط ابن الحجازى أن: قال محمدبن شجاع [الثلجى] قال لى اسحاق بن ابراهيم المصعبى ــ و كان لى [= الثلجى] صديقاً ــ: دعانى أميرالمؤمنين فقال لى: اخترلى من الفقهاء رجلاً قد كتب الحديث و تفقه به مع الرأى، و ليكن مديد القامة جميل الخلقة خراسانى الاصل

---

١٠٥ ــ يراجع كتاب: «جبل عامل في التاريخ».

١٠٦ ــ «تاريخ التمدن» لجرجي زيدان، ج ٣، ص: ٧٩، ط: دــ حسين مؤنس، نقلاً عن ابن خلكان، ج ١، ص: ٤٣٩.

من نشأة دولتنا ليحامي على ملكنا حتى اقلده القضاء. فقلت: لا أعرف رجلاً هذه صفته غير محمدبن شجاع، و أنا افاوضه ذلك. قال: فافعل، فاذا أجابك فصِر به الىّ. فدونك يا أبا عبدالله. فقلت: أيها الأمير! لست الى ذلك بمحتاج، و انما يصلح القضاء لاجل ثلاثة: لمن يكتسب مالاً، اوجاهاً، اوذكراً. فأما أنا فمالى وافر وانا غنى... و الذكر فقد سبق لى عندمن يقصدنامن أهل العلم و الفقه بما فيه كفاية... وتوفى سنة ٢٥٦ هـ »[١٠٧].

و بين فقهاء أهل السنة ــ كما نعلم ــ اربعة يعرفون بأنهم اصحاب مذاهب، و ان عامة أهل السنة يتبعون احد هؤلاء الاربعة؛ أباحنيفة، و محمدبن ادريس الشافعى، و مالك ابن أنس، و أحمد بن حنبل. و ان كان حصر المذاهب فى مذاهب هؤلاء؛ انما ظهر فى القرن السابع الهجرى، وأما قبل ذلك فكانوا على اكثرمن عشرة مذاهب.

و نحن نقسم بحثنابشأن فقهاء أهل السنة الى ثلاثة اقسام: قبل الائمة، و عصرالائمة، و فى غيبة الامام.

و أما قبل هؤلاء الائمة فكان دور التابعين الذين لم يدركوا رسول الله صلى الله عليه و آله و لكن ادركوا صحابته. فمن هؤلاء كان فى المدينة سبعة وهم:

١ــ ابوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشى المتوفى ٩٤ هـ.

٢ــ سعيد بن المسيب المخزومى القرشى ايضاً العابد الزاهد الذى قيل أنه احيا خمسين عاماً ليله الى الصباح وكان يصلى الصباح بوضوء العشاء الآخرة.و قيل انه كان يتشيع. وعدّه العلامة المرحوم السيد حسن الصدرفي «تأسيس الشيعة» [١٠٨]من الشيعة، مات عام ٩١ هـ.

٣ــ القاسم بن محمدبن ابى بكر، حفيد الخليفة أبى بكر وجدّ الامام الصادق عليه السلام لأُمّه، صرح السيد الصدر بتشيعه [١٠٩] و ام القاسم احدى بنات يزد جرد الملك الساسانى، فهومن قبل أبيه قرشي، ومن قبل امه ايرانى. مات بين المئة و المئة وعشرة.

٤ــ خارجة بن زيد بن ثابت الانصارى المتوفى فى حدود ٩٩ هـ و هوابن زيد بن ثابت الانصارى المعروف.

٥ــ سليمان بن يسار، هومولى، و الظاهر انه ايرانى، مات عام ٩٤ هـ.

٦ــ عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود المتوفى فى حدود عام ٩٨ هـ و هوابن اخى عبدالله بن مسعود الصحابى المعروف.

٧ــ عروة بن الزبير المتوفى فى حدود ٩٤ هـ و هوابن الزبير بن العوام الصحابى المعروف، عُلم مما سبق أن واحداً من هؤلاء السبعة يحتمل فيه أن يكون ايرانياً، و الآخر من

١٠٧ــ الفهرست. ط. بيروت، ص: ٢١٩.

١٠٨، ١٠٩ــ تأسيس الشيعة، ص: ٢٩٨.

طرف أُمه، و الآخرون عرب امّا مكيّون اومدنيون. و هناك فقهاء غير هؤلاء السبعة بعضهم ايرانيون، منهم «ربيعة الرأي» الفقيه المعروف، و هو استاذ مالك بن أنس امام المالكية، و هو الذى ابتدع العمل بالقياس.

وأما ائمة المذاهب الاربعة فهم:

١ــ ابوحنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى، او النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، المتوفى فى عام ١٥٠ هـ. هو ايرانى عدّ أعظم ائمة اهل السنة، و لايكرم عند أهل السنة بعد النبى و الخلفاء الراشدين و الحسنين عليهما السلام احد كما يكرم أبوحنيفة، يقلده اليوم من السنة اكثر من مئة مليون مسلم، و ان كان مقلدوه فى ايران قليلين.

٢ــ محمد بن ادريس الشافعى المتوفى فى سنة ٢٠٤ هـ و هو عربي قرشي، و من حيث التقليد و الاتباع لايقل عن أبى حنيفة لولم يكن اكثر منه فى ذلك.

٣ــ مالك بن انس المتوفى فى سنة ١٧٩هـ. و هو عربى قحطانى، يتبعه أهل المغرب.

٤ــ احمد بن حنبل الشيبانى، المتوفى فى عام ٢٤١ هـ و هو عربى ايضاً الا أن اسرته كانت قد سكنت فى «مرو» خراسان، قال ابن خلكان: خرجت امه من مرو و هى حامل به و وضعته فى بغداد. و على هذا فهو ايرانى من اصل عربى. و على هذا فليس من هؤلاء الائمة الاربعة ايرانى فى الاصل الا أبا حنيفة، و الآخرون عدنانى و قحطانى و شيبانى.

و هناك ائمة مذاهب انقرضوا و انقرض اتباعهم، من قبيل: محمدبن جرير الطبرى المتوفى فى عام ٣١٣ هـ و داود بن على الظاهرى الاصفهانى المتوفى ٢٧٠ هـ وهو مؤسس المذهب الظاهرى، الذى هو مذهب حرفى جامد على ظواهر الاخبار فقط، و كان ابن حزم الاندلسى ــ الاموى النزعة و الهوى و الذى لايخلو من عداوة بالنسبة الى أهل البيت الطاهر عليهم السلام يتبع فى الفقه داود الظاهرى. و كلاهما ايرانيان من حيث المنشأ اوحتى الاصل.

وهناك من أهل السنة فقهاء آخرون كبار: بعضهم ارباب مذاهب و بعضهم لا... بعضهم ايرانيون و بعضهم لا. ومن أجل أن نأتى بنماذج تبيّن مدى اسهام الايرانيين فى الفقه ــ السنّى ــ نذكر عدداً منهم:

١ــ محمدبن الحسن الشيبانى الدمشقى العراقى، تلميذ أبى حنيفة، المتوفى فى عام ١٨٩ هـ هاجر من العراق مع هارون الرشيد الى ايران فلما بلغ الرى مات ودفن بها.

٢ــ القاضى ابو يوسف، تلميذ أبى حنيفة. تقلد منصب قاضى القضاة للمهدى و الهادى و هارون الرشيد، وتوفى فى سنة ١٩٢ هـ كان من اولاد الانصار.

٣ــ زفر بن الهذيل، المتوفى فى سنة ١٥٨ هـ هو عربى عدنانى من اتباع ابى حنيفة.

٤ــ ليث بن سعد الاصفهانى، فقيه مصر، المتوفى فى سنة ١٧٥ هـ هو امام مذهب، و ان كان يتبع فى الفقه أبا حنيفة كما قيل.

٥ــ عبدالله بن المبارک المروزی، نسبة الی مرو خراسان، تلمیذ أبی حنیفة و مالک و الثوری. توفی فی سنة ١٨١ هـ.

٦ــ ابوعمر عبدالرحمن بن عمرو الاوزاعی الشامی، المتوفی فی عام ١٥٧ هـ تلمیذ الزهری و عطاء بن أبی رباح. کان امام أهل الشام فی مذهبهم. و لایعلم أهوعربی یمنی ام حلیف ام مولی؟

هؤلاء هم مشاهیر فقهاء أهل السنة. و أما الفقهاء غیر المعروفین فلایحصون کثرة. و فی المشاهیر و المعارف ایرانیون و غیر ایرانیین.

فطاووس بن کیسانِ ایرانی مولی معتق معاصر للفقهاء السبعة فی القرن الاول. و کذلک ربیعة الرأی الفقیه المعروف و شیخ مالک بن أنس و اول من اسس القیاس و الرأی، و الیه نسب فقیل: ربیعة الرأی. مات عام ١٣٦هـ. وعکرمة مولی ابن عباس البربری نال مقام الفقه و التفسیر. و سلیمان بن مهران الأعمش فقیه ایرانی من القرن الاول.

و فی القرون التالیة فقهاء ایرانیون نذکرمنهم: ابن السریج الشافعی و أبا سعید الاصطخري و أبا اسحاق المروزی فی القرن الرابع، و أبا حامد الاسفرائینی و أبا اسحاق الاسفرائینی و أبا اسحاق الشیرازی و امام الحرمین الجوینی و الامام محمد الغزالی و أبا المظفر الخوانی و کیا الهراسی فی القرن الخامس، و أبا اسحاق العراقی الموصلی فی القرن السادس، و أبا اسحاق الموصلی فی القرن السابع، و الامام الشاطبی الاندلسی فی القرن الثامن.

و أما فی القرون الاخیرة فکان فقهاء ایران من الشیعة، لتشیع اکثر الایرانیین.

و أما فی فنون الآداب:

و نعنی بها هنا: النحو و الصرف و اللغة و البلاغة والشعر و التاریخ فقد اسهم فی هذا القسم الایرانیون بخدمات کثیرة. إن خدمات الایرانیین للغة العربیة اکثرمن خدمة نفس العرب لها واکثر من خدمتهم للغتهم انفسهم! فقد اهتم الایرانیون لخدمة العربیة بدوافع دینیة مقدسة، فلم یکن الایرانیون ــ کسائر المسلمین ــ یحسبون اللغة العربیة لغة القومیة العربیة، بل لغة القرآن و اللغة الاسلامیة الأُمیة، و لهذا فقد طفقوا یتعلمونها و یضبطونها و یدونونها من دون ای عصبیة بل بکل جدونشاط!

ان علوم الادب العربی تبدأ من قوانین اللغة العربیة ای النحو، و قد اتفق بل اجمع المؤرخون المسلمون علی أن الامام أمیر المؤمنین علیاً علیه السلام هو الذی ابتکر علم النحو، و قد ذکر العلامة الجلیل المرحوم السید حسن الصدر فی کتابه النفیس «تأسیس الشیعة» دلائل

لذلک و شواهد لا ترد[110] فقد علّم علیه السلام اصول النحو لکاتبه أبي الاسود الدؤلی الشیعي، و أمره أن یفکر فیما أعطاه و ینحو نحوه، فعمل بما أمره سیده و زاد علیه أشیاء (و لذلک سمی العلم نحواً، لانه کان ینحو نحو امیرالمؤمنین علیه السلام) وعلم ماتعلمه و علمه لولدیه عطاء بن أبي الأسود و أبی الحرب بن أبی الاسود و یحیی بن یعمر و میمون الاقرن ویحیی بن النعمان وعنبسة الفیل. وقد قیل ان الاصمعی وابا عبیدة الادیبین کانا من تلامذة عطاءبن أبي الاسود.

ونری فی الطبقة التالیة لهؤلاء أسماء: أبي اسحاق الحضرمي وعیسی الثقفي وأبي عمرو ابن العلاء الشیعی القارئ المعروف الجلیل القدر، و هو لغوی عارف باللغة و الادب و لاسیما اشعار العرب. کان من ادبه أنه لاینشد شعراً فی شهر رمضان المبارک. و لما حج اعدم شعره لانه کان من الشعر الجاهلی فکرهه و هویذهب الی ربه. و کان الأصمعی و یونس بن حبیب النحوی و أبوعبیدة سعدان بن المبارک من تلامذته[111].

و نجد فی الطبقة التالیة لهذه الطبقة: الخلیل بن أحمد الفراهیدی العروضی الشیعي، صاحب الرأی و النظر فی اللغة و الادب بل یعد من النوابغ فی ذلک. و کان سیبو یه المعروف من تلامذة الخلیل، و الاخفش من تلامذة الخلیل و سیبو یه.

ثم انقسم النحو یون بعد هذا الی فرقتین: أهل الکوفة و أهل البصرة، فالکسائی المعروف و تلمیذه الفراء و تلمیذه ثعلب، وتلمیذه ابن الانباری من الکوفیین، و سیبو یه و تلمیذه الاخفش و تلمیذه المازنی و تلمیذه المبرد و تلمیذه الزجاج و تلمیذه الفارسی و تلمیذه ابن جنّي و تلمیذه الجرجانی کانوا من البصر یین.

و بعض هؤلاء ایرانیون، منهم:

١ــ یونس بن حبیب، المتوفی فی سنة ١٨٣ ﻫ یقول عنه ابن الندیم: اعجمی الاصل[112]. قیل انه لم یتزوج و اوقف نفسه لمعاطاة العلم، له کتاب فی «معانی القرآن الکریم».

٢ــ ابوعبیدة المعمر بن المثنّی، المتوفی ٢١٠ ﻫ هو ایضاً ایرانی کما قال ابن الندیم[113].

٣ــ سعدان بن المبارک الضر یر، جاء فی «ریحانة الادب» انه من أهل

---

١١٠ ــ تأسیس الشیعة، ص: ٤٠ ــ ٦١.

١١١ ــ ریحانة الأدب ط ٣، ج ٢، ص: ٢١٣.

١١٢ ــ الفهرست، ص: ٦٩.

١١٣ ــ الفهرست، ص: ٧٥.

طخارستان [114].

٤ــ ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بلقب «سيبويه» المتوفى فى حدود عام ١٨٠ هـ . هو من أهل فارس (شيراز) ولد فى البيضاء و درس بالبصرة و سافر الى بغداد، و اتفقت له قصّة مع الكسائى عرفت بالمسألة «الزنبورية». و عاد الى فارس و مات و له اربعون عاماً. ودفن في مسقط رأسه. عرف كتابه فى النحو المعروف باسم «الكتاب» أنه احسن الكتب فى فنّه وأنه من قبيل كتاب المنطق لارسطو والمجسطى لبطليموس فى الهيئة. طبع مراراً فى پاريس ولندن و برلين وكلكته ومصر. قال السيد بحرالعلوم وغيره: انّ العلماء كانوا عيالاً عليه فى النحو. استشهد فى كتابه هذا بثلاث مئة آية من القرآن للشواهد النحوية، ولذلك لم يرض المازنى أن يدرّسه لبعض أهل الذمة لئلا تمس يدالذمىّ آيات القرآن الكريم وان كان بذله له جزيلاً فى ذلك.

٥ــ سعيد بن سعدة، المعروف بالاخفش الاوسط، هو من أكابر النحويين، و له كتب عديدة فى النحو، و له زيادة بحر فى العروض على ما وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدى. و هو من أهل «خوارزم» ويقال هو «مجاشعى» و على هذا فهو ايرانى المنشأ عربى الاصل، او أنه مولى اوحليف. مات عام ٢١٥ او ٢٢١ هـ .

٦ــ على بن حمزة الكسائى القارئ، الذى سبق ذكره فى القرّاء. هو ايرانى جده فيروز، كان مع هارون الرشيد فى سفره الى مرو خراسان فمات بالرى فى حدود سنة ٢٠٠ هـ .

٧ــ الفرّاء النحوى القارئ الذى سبق ذكره فى القرّاء ايضاً.

٨ــ محمد بن قاسم الانبارى المعروف بابن الانبارى، نسبة الى الانبار، الذي سمى أنباراًلانه كان مخزن الحبوب على عهدالساسانيين. كان تلميذ ثعلب النحوى. مات ٣٢٧هـ .

٩ــ ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سرى بن سهل المعروف بالزجاج، كان تلميذ المبرّد و ثعلب النحويين. و كان يخرط الزجاج و البلوريعيش على ذلك فلقب بالزّجاج. قيل: كان يعطى كل يوم درهماً لشيخه المبرّد على حق التعليم. مات عام ٣١٠ هـ .

١٠ــ أبوعلى الفارسى، هو من أهل «فسا» من فارس، و كان معاصراً للديالمة البويهيين. ولد عام ٢٨٨ و مات سنة ٣٧٧. لقّبه بعضهم «خاتم النحويين» و نقل السيد الصدر فى «تأسيس الشيعة» [115] عن كتاب «المصباح» لسلامة بن عياض الشامى انه كان يقول: «فتح النحو بفارس و ختم بفارس» يعنى سيبويه و الفارسى. ولاشك فى أن هذا الكلام فيه مبالغة كثيرة.

١١٤ــ ريحانة الادب ج٨، ص: ١٨٩.

١١٥ــ تأسيس الشيعة، ص: ٥١.

١١ــ عبدالقاهر الجرجانى، اديب نحوى لغوى بلاغى معروف، و اكثر شهرته فى البلاغة، و يعدمن كبار النحويين. له كتب نفيسة فى البلاغة لازالت تحتفظ بقيمتها من قبيل: اسرار البلاغة و دلائل الاعجاز و اعجاز القرآن و غيرها. مات عام ٤٧١ او ٤٧٤ هـ.

و هناك غير هؤلاء الذين ذكرناهم جماعة آخرون من كبار النحويين ايرانيون؛ ففى القرن الثانى: خلف الاحمر، مولى اعجمى، و غيره.

و فى القرن الثالث: ابو حاتم السجستانى، و ابن السكيت الاهوازى الشيعى، و ابن قتيبة الدينورى، اصحاب الكتب النفيسة: ادب الكاتب، و المعارف، و عيون الاخبار، و غيرها. و ابوحنيفة الدينورى، النحوى الحكيم الرياضى و المؤرخ. و ابو بكر ابن الخياط السمرقندى، وغيرهم.

و فى القرن الرابع: الحسن بن عبدالله المرزبان السيرافى الشيرازى المجوسى الاصل. و يوسف بن الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافى، وابو بكر الخوارزمى الطبرستانى الاصل.

و فى القرن الخامس: ابن خالويه الهمدانى و ابومسلم الاصفهانى.

و من القرن السابع: نجم الائمة الاسترآبادى المعروف بالرّضى الشيعى.

و هناك جمع من علماء البلاغة ايرانيون، من قبيل: عبدالقاهر الجرجانى الآنف الذكر، و محمدبن عمران المرزبانى الخراسانى الشيعى المتوفى فى حدود ٣٧١ هـ الذى قيل عنه انه هو واضع علم البيان و ليس عبدالقاهر الجرجانى. و الزمخشرى الآنف الذكر، و الصاحب ابن عباد الطالقانى المتوفى فى ٣٨٥ هـ، و السكاكى الخوارزمى المتوفى فى ٧١٠، و التفتازانى النسائى او السرخسى المتوفى ٧٩١ هـ و السيد ميرشريف الجرجانى المتوفى فى سنة ٨١٦ هـ.

و فى اللغويين جمع منهم ايرانيون، من قبيل: الجوهرى النيسابورى صاحب «صحاح الفقه» المتوفى فى حدود النصف الثانى للقرن الرابع، و الراغب الاصفهانى المتوفى فى سنة ٥٦٥، و مجدالدين الفيروزآبادى صاحب «قاموس اللغة» المتوفى فى ٨١٦، و الميدانى النيسابورى صاحب «السامى فى الأسامى» و «مجمع الأمثال» المتوفى فى ٥١٨ هـ و غيرهم.

كما أن جمعاً من المؤرخين ايرانيون، من قبيل: ابي حنيفة الدينورى السابق الذكر، و ابن قتيبة الدينورى السابق الذكر، و الطبرى السابق الذكر، و البلاذرى المتوفى فى ٢٧٩ هـ و ابي الفرج الاصفهانى الاموى الاصل المتوفى فى ٣٥٦ و حمزة الاصفهانى المتوفى فى سنة ٣٥٠.

و المؤرخون المسلمون كثيرون، بل لعل اكثر الفنون تأليفاً فن التاريخ، قال جرجى زيدان:

«تقدم المسلمون فى التاريخ و كتبوا فيه اكثر من أى امة اخرى (ماعدا العصر الحديث) حتى ذكر «كشف الظنون» اسم الف و ثلاث مئة كتاب فى التاريخ الاسلامى. و هذاعدا ما كتب فيه من شروح لكتب التاريخ او تلخيص لها، او الكتب المفقودة التى لم

يأت بذكرها فى كشف الظنون... وقد ذكر المسعودى فى مقدمة كتابه «مروج الذهب» اسم عشرات من الكتب التاريخية التى كانت على عهده...»

وقد شاركت فى تدوين التاريخ الاسلامى امم مختلفة مسلمة من الايرانيين و العراقيين كالخطيب البغدادى وعبدالرحمن بن الجوزى وسبطه وشمس الدين ابي المظفر الجوزى و ابن خلكان الاربلى (وعلى بن عيسى الاربلى صاحب كشف الغمة) وهما ايرانيا الاصل من مواليد اربيل بالعراق. والد مشقيين كالصفدى و ابن عساكر، و المصريين كالقفطى و المقريزى، و التونسيين كابن خلدون، والاندلسيين كابن عبدالبر و ابن آبار و ابن بشكوال.

و أما انواع كتابة التاريخ: فمن السيرة و تواريخ الاشخاص، كالسيرة النبوية و تواريخ بعض الملوك الى تواريخ بعض المدن و بعض البلدان والدول كتاريخ مصر و تاريخ دمشق وتاريخ العلوم اى تاريخ أهل الفن الواحد، ككتب طبقات الحكماء وطبقات الاطباء وطبقات الحفاظ. و التواريخ العامة كتاريخ اليعقوبى و تاريخ الطبرى.

و فى الكتاب المسلمين الايرانيين من كتب فى الجغرافيا: كالمقدسى صاحب كتاب «أحسن التقاسيم» و الاصطخرى الفارسى الشيرازى صاحب كتاب «صور الاقاليم» و «مسالك الممالك» ويعتقد جرجى زيدان ــ تبعاً للسيوطى ــ أن أول مؤرخ للاسلام هو محمد بن إسحاق المطلبى الشيعي المولى من عين تمر بالعراق، والثانى عروة بن الزبير بن مصعب بن الزبير بن العوام بن عبدالمطلب الصحابى المعروف.

الا أن السيد الصدر أثبت أن اول تاريخ للاسلام هو ما كتبه عبيدالله بن أبى رافع القبطى المصرى مولى أمير المؤمنين و كاتبه و خازنه على بيت المال. و كتابه بشأن اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من صحابة الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم.

ولو كان محمد بن اسحاق (كاتب السيرة النبوية التي رواها ابن هشام فنسبت اليه خطأ) ايرانيا ــ كما هو معروف من كلمة «المولى» ولا سيما في «عين تمر». بالعراق التي كانت الى ماقبل الفتح الاسلامي تحت سيطرة الفرس ــ لوجب القول بأن من أوائل من تصدى لكتابة التاريخ ــ بعد ابن ابي رافع القبطي المصري ــ شخصين، احدهما عربي وهو «عروة» والآخر ايراني وهو «ابن اسحاق»، مع فارق أن كتاب ابن اسحاق موجود في متناول اليد و كتابا هما مفقودان.

و يذكر ابن النديم فى الفهرست اسماء جمع من المؤرخين الأوائل من الموالي، والمولى غير عربى، و لا أعلم بالقطع هل كان يطلق المولى على الايرانى فقط ام عليه و على غيره من غير العرب اوحتى على العرب المتحالفين؟ الا أنه يصرح فى بعضهم أنه ايرانى، منهم:

١ــ محمد بن عمر الواقدى، المؤرخ المعروف المتوفى فى ٢٠٧ هـ.

٢ــ ابوالقاسم حماد بن سابور الديلمى، المتوفى فى ١٥٦ هـ .
٣ــ ابو جناد بن واصل الكوفى.
٤ــ ابوالفضل محمد بن أحمد الكاتب.
٥ــ علان الشعوبى. ٦ــ الكلينى الرازى... و غيرهم.

و لاتجوز المبالغة او الغفلة أو الزعم بأن الادب العربى انما دوّن بأيدى الايرانيين ففى ارباب الادب العربى من سائر القوميات من له تفوق فيه من نفس العرب و الاندلسيين و المصريين و الشاميين والاكراد والاتراك و الرومان. و لقد اشرنا الى هذا سابقاً، ولانطوّل عليكم هنا اكثر من هذا.

و فى الكتب الادبية العربية اربعة كتب تعد من أركان الادب العربى هى: ادب الكاتب لابن قتيبة الدينورى، و الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، و النوادر لابى على القالى. ومؤلفو هذه الكتب عرب سوى واحد منهم هو ابن قتيبة. فأما المبرد فهو ازدى، و أما الجاحظ فهو كنانى، و أما القالى فهو من ديار بكر بن وائل.

و قد نقل أحمد أمين فى «ضحى الاسلام» عن كتاب «المزهر» للسيوطى أنه قال: برزفي القرن الثانى الهجرى ثلاثة رجال عدّوا ائمة الشعر و الادب و لغة العرب، لم يسبقهم سابق و لم يلحقهم لاحق، و كل ما للعرب من الشعر والادب واللغة فمن هؤلاء الثلاثة:

١ــ ابى زيد الانصارى الخزرجى المتوفى ٢١٥.
٢ــ الاصمعى الاديب اللغوى المعروف، المتوفى فى حدود ٢١٥ أيضاً.
٣ــ ابى عبيدة المعمربن المثنى، المتوفى فى حدود ٢١٠ هـ .

و ابوعبيدة ايرانى الاصل، وابوزيد خزرجى، واما الاصمعى فباهلى.

وأما فى علم الكلام:

علم الكلام علم اسلامى مئة بالمئة، و الغرض منه التحقيق فى اصول العقائد الاسلامية والدفاع عنها، سواء كانت العقيدة عقلية كالتوحيد وصفات الله، اونقلية كالامامة عند الشيعة، لما له من التأثير فى مصير الأمة. و لذلك فالكلام ينقسم الى قسمين: عقلى و نقلى.

و ان ظهور علم الكلام فى دين كالاسلام الذى طرح على البشرية مسائل كثيرة حول المبدأ و المعاد و الانسان و العالم، و فى مجتمع كالمجتمع الاسلامى فى القرون الاولى التى كان يسودها نشاط علمى قوى... كان طبيعياً و ضرورياً.

إنّ القرآن الكريم يستدل لبعض المسائل العقائدية، كالتوحيد و المعاد والنبوة، و يقيم عليها البراهين، و يطالب المخالفين بالحجج و البراهين، فيقول مثلاً: «قل هاتوابرهانكم ان

كنتم صادقين».

و اول من اخذ يطرح المسائل العقلية العقائدية فى الاسلام على طاولة التحليل كمسألة الحدوث و القدم و المتناهى و غيرالمتناهى و الجبر و الاختيار و البسيط و المركب و أمثالها هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. و لهذا السبب تقدمت شيعته على غيرهم من المسلمين فى المسائل العقلية الاسلامية.

و نحن نبدأ بحثنا حول خدمات الايرانيين للاسلام فى موضوع علم الكلام من الشيعة الايرانيين:

١ــ ان اوّل متكلم مسلم ألف كتاباً فى مسائل علم الكلام هو على بن اسماعيل بن ميثم التمار. و كان جده ميثم من أصحاب سر الامام أميرالمؤمنين عليه السلام و خطيب الشيعة و متكلمهم. و هو هجرى بحرانى، و حيث أن البحرين كانت تحت حكم الساسانيين فهو يعد لذلك ايرانياً. و حفيده على بن اسماعيل بن ميثم كان معاصراً لضرار بن عمرو وأبى الهذيل العلاف و عمرو بن عبيد من مشاهير المتكلمين فى القرن الثانى الهجرى، و له معهم كلام و مباحثات.

٢ــ هشام بن سالم الجوزجانى، كان من مشاهير اصحاب الامام الصادق عليه السلام. و فى اصحابه عليه السلام من لقبه بالمتكلم كما جاء ذلك فى كتاب الحجة من الكافى[١١٦] من قبيل: حمران بن اعين، و مؤمن الطاق، و قيس بن الماصر، و هشام بن الحكم، و غيرهم... و قد قيل فى قيس بن الماصر أنه تعلم الكلام من الامام زين العابدين عليه السلام[١١٧].

٣ــ الفضل بن أبى سهل النوبختى، من آل نوبخت. وقد ذكر ابن النديم بأن آل نوبخت معروفون بالتشيع، وفيهم فضلاء معروفون نبغوا بينهم طوال ثلاثة قرون، لامجال للكلام عنهم هنا. «ونوبخت هومنجم كان فى بلاط المنصور، ذهب يوماً بولده أبى سهل الى بلاط المنصور ليعرفه به، فسأله المنصورعن اسمه فقال: «خورشيد ماه، طيماذاه ما بازارد باد، خسرونه شاه» فقال المنصور: أهذا اسمك كله؟ قال: نعم، فضحك المنصوروقال: ماذا فعل ابوك! اختصر اسمك، فاما أن تختار «طيماذ» او انتخب لك كنية «أبوسهل» فرضى ابوسهل بهذه الكنية[١١٨] وعُرِفَ بها».

وفى اسرة «نوبخت» كثيرمن متكلمى الشيعة، من قبيل: الفضل بن أبى سهل بن

١١٦ــ اصول الكافي، ج ١، ص: ١٧١، ط: آخوندي.

١١٧ــ تأسيس الشيعة، ص: ٣٥٨.

١١٨ــ المصدر السابق، ص: ٣٦٣ بتصرف.

نوبخت الذى جعله هارون الرشيد على «بيت الحكمة» و هو من المترجمين على عهد هارون و المأمون. و كذلك اسحاق بن أبى سهل بن نوبخت و ابنه اسماعيل بن اسحاق ابن أبي سهل ابن نوبخت و ابنه الآخر على بن اسحاق و حفيده ابوسهل اسماعيل بن على بن اسحاق، الملقب عند الشيعة بشيخ المتكلمين، و الحسن بن موسى النوبختى ابن اخت أبى سهل اسماعيل ابن على و آخرون غيرهم ايرانيون [١١٩].

٤ــ الفضل بن شاذان النيسابورى، كان يعيش فى اواخر القرن الثانى و اوائل القرن الثالث، و قد سبق ذكره قبل هذا. كان من أصحاب الأئمة الرضا و الجواد و الهادى عليهم السلام، و له كتب كثيرة فى الكلام.

٥ــ محمد بن عبدالله بن مملك الجرجانى الاصفهانى، معاصر الجبائى، فى القرن الثالث.

٦ــ ابوجعفر بن قبة الرازى فى القرن الثالث الهجرى، كانت بينه و بين أبى القاسم الكلبى البلخى مباحثات و مناظرات كتابية فى مسائل الامامة.

٧ــ ابوالحسن السوسنگردى، معاصر ابن قبة الرازى. قيل انه كان من غلمان أبى سهل اسماعيل بن على النوبختى، و أنه حج خمسين حجة ماشياً على قدميه.

٨ــ ابوعلى ابن مسكويه الرازى الاصفهانى، من أعاظم المتكلمين و الحكماء و الاطبّاء المسلمين ــ له كتب مطبوعة منها «الفوز الاكبر» و «الفوز الاصغر» و له كتاب «طهارة الاعراق فى علم الاخلاق» من أهم الكتب الاخلاقية فى الاسلام. كان يعاصر أبا على الحسين بن على بن سينا الحكيم و الطبيب الاسلامى المعروف. مات عام ٤٣١ هـ.

إنّ متكلمى الشيعة الايرانيين و غيرهم كثيرون. و قد ذكرنا هؤلاء كنموذج من الشخصيات الفائقة من القرن الثانى الى القرن الرابع الهجرى. وأما فى القرون الأخيرة فان اركان علم الكلام تقوم على متكلمى الشيعة فقط.

و بعد ظهور الخواجة نصيرالدين الطوسى الحكيم و المتكلم والرياضي والسياسي المعروف، و تأليفه لكتابه «تجريد الاعتقاد» وجد علم الكلام فى الشيعة أهمية اكثر بحيث اصبح كتابه هذا محور الابحاث الكلامية فى الشيعة و السنة اكثر من اي كتاب آخر.

أما متكلمو السنة:

فكثير منهم و لعل اكثرهم ايرانيون. اقدمهم الحسن البصرى ثم تلميذه واصل بن

١١٩ــ راجع: تأسيس الشيعة، ص: ٣٦٢ــ ٣٧٥ بتصرف، وكتاب: «خاندان نوبختى» للاشتياني.

عطاء الغزّال و كلاهما من الموالى العجم بل الفرس، كان الحسن البصرى يعيش فى النصف الثانى من القرن الاول و النصف الاول من القرن الثانى للهجرة، مات عام ١١٠ هـ [١٢٠] و تلميذه و اصل الذى انفصل و استقل عنه و اتخذ طريقة جديدة اسسها فعرفت بالاعتزال و اتباعه بالمعتزلة، مات عام ١٨١ هـ [١٢١].

٣ــ ابو الهذيل العلاّف، من الموالى العجم، عدّمن مؤسسى المدرسة العقلية فى علم الكلام فى الاسلام، كان ماهراً خبيراً بكتب الفلسفة، و كان له كاتب مجوسى يدعى «ميلاس»، جمع يوماً عدداً من المجوسيين مع شيخه أبي الهذيل فى مجلس واحد، فتباحثوا فى التوحيد و الثنوية فافحمهم ابوالهذيل، و اسلم ميلاس. بل كتب شبلى النعمان يقول: اسلم على يد أبى الهذيل بضعة آلاف من المجوس [١٢٢] و كان يحاذر مناقشته كل من يعرفه، لقوّته فى الحجاج. له مناظرة معروفة مع صالح بن عبد القدوس الشكاك والزنديق المشهور، نقلها ابن النديم فى الفهرست [١٢٣] و المتكلم الوحيد الذى كان أبو الهذيل يهابه هو هشام بن الحكم المتكلم الشيعي المعروف من اصحاب الامام الصادق عليه السلام [١٢٤].

٤ــ ابراهيم بن سيار المعروف بالنظّام ، المتوفى ٢٢١هـ كان من أهل «بلخ» كما ذكر ذلك ابن خلكان فى ج ٣ من كتابه فى ذيل ترجمة محمد بن عبدالكريم الشهرستانى. له نظريات معروفة فى الكلام و شيء منها فى الفلسفة. كان قد لقى هشام بن الحكم و أفادمنه.

٥ــ عمرو بن عبيد بن رباب، كان ابوه من أسرى كابل، و كان هو من شرطة البصرة. ولد عام ٨٠ هـ و مات قبل عام ١٥٠ هـ .

كان يميل الى قول الخوارج، و يعرف بمناعة طبعه. كان صديقاً للمنصور الدوانيقى قبل خلافته، دخل عليه يوماً فى خلافته فاكرمه المنصور و طلب اليه أن يعظه، فقال له عمرو: «ان هذا الأمر الذى أصبح فى يدك لو بقى فى يدغيرك ممن كان قبلك لم يصل اليك، فاحذر ليلةً تمخض بيوم لا ليلة بعده! فلما أراد النهوض، قال: قد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم، قال: لاحاجة لى فيها، قال: والله تأخذها، قال: لا و الله لا آخذها. و كان المهدى ولد المنصور حاضراً فقال: يحلف أمير المؤمنين و تحلف أنت؟! فالتفت عمرو الى المنصور و قال: مَن هذا الفتى؟! قال: هو ولىّ العهد إبنى المهدىّ! فقال: أما والله لقد ألبسته لباساً ما هو

١٢٠ــ ريحانة الادب ج ١، ص: ٢٦٩.

١٢١ــ ابن خلكان في وفيات الاعيان، ج ٥، ص: ٦٠.

١٢٢ــ تاريخ علم الكلام، ص: ٢٩ــ عن الترجمة الفارسية.

١٢٣ــ الفهرست، ص: ٢٥٢.

١٢٤ــ تاريخ علم الكلام ــ شبلي النعمان، ص: ٣١ــ عن الترجمة الفارسية.

من لباس الأبرار، و سميته باسم ما استحقه، و مهدت له أمراً امتع مايكون به اشغل ما يكون عنه. ثم التفت عمرو الى المهدى فقال: نعم يا ابن اخى اذا حلف ابوك احنثه عمك، لانّ أباك اقوى على الكفارات من عمك. فقال له المنصور: هل من حاجة؟ قال: لا تبعث الىّ حتى آتيك! قال: اذاً لا تلقانى؟! قال: هى حاجتى! و مضى. فاتبعه المنصور طرفه و قال:

كلكم يمشى رويد كلكم يطلب صيد

غير عمرو بن عبيد [١٢٥].

و عمرو بن عبيد هذا هو الذى دخل عليه هشام بن الحكم و عمرو لايعرفه، فسأله مسائل فى الامامة حتى افحمه، فظنّ عمرو أنه هو هشام بن الحكم فسأله: أأنت هشام؟ قال: نعم، فلما عرفه احترمه واكرمه [١٢٦].

هؤلاء الذين ذكرناهم هم من الطبقة الاولى و الثانية من المتكلمين الايرانيين من أهل السنة. و قد قام بين الايرانيين فى القرون التالية متكلمون من السنة كثيرون، نأتى هنا بأسماء عدد منهم على ترتيب القرون و الطبقات:

ففى القرن الثالث: ابوالحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندى الكاشانى. و ابن المنجم نديم الموفق و المكتفى بالله، و كان من احفاد يزدجرد الساسانى. و ابوالقاسم الكعبى البلخى، و ابوعلى الجبائى الخوزستانى، و ابنه ابوهاشم الجبائى.

و فى القرن الرابع: ابو منصور الماتريدى السمرقندى، و ابن فورك الاصفهانى النيسابوري، وابواسحاق الاسفرائينى.

و فى القرن الخامس: ابواسحاق الشيرازى، و امام الحرمين الجوينى، و الامام محمد الغزالى.

و فى القرن السادس: فخرالدين الرازى، و ابوالفضل ابن العراقى، و محمد الشهرستانى، و غيرهم.

الفلسفة و الحكمة

اما الفلسفة؛ فقد بدأت لاول مرة من ترجمة كتب اليونانيين و الايرانيين والهنود و غيرهم، و قد بدأهذا من القرن الثانى الهجرى. و هنا كلام كثير فى مبدأ الترجمة و نقل علوم الآخرين الى لغة الاسلام من الطب و الرياضيات و الفلسفة و غيرها، فبعض يقول: بدأ هذا

---

١٢٥ ــ ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج ٣، ص: ١٣١.

١٢٦ ــ اصول الكافي، ج ١، ص: ١٧٠.

العمل لاول مرة على يد خالدبن يزيد بن معاوية.

قالوا: انّ خالدبن يزيد هو اول من «أمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة [الاسكندرية] مصر وقد تفصّح بالعربية، وأمرهم، بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى. وهذا اول نقل كان فى الاسلام»[١٢٧].

أما كتب الفلسفة فلاشك أنها بدأت فى زمن بنى العباس، كما هو الشأن بالنسبة الى كثير من العلوم والفنون الاخرى وكثير من الآداب والأخلاق.

ولم يترجم من ايران اى كتاب فلسفى وانما ترجم من الكتب الايرانية الى العربية ما كان في الأدب والتاريخ والنجوم والطبيعيات.

وابن النديم يذكر فى مواضع متعددة من الفهرست اسماء مختلف الكتب الايرانية المترجمة الى العربية، وليس فيها شيء من الفلسفة.

والكتاب الفلسفى الوحيد المعرب من اللغة الفهلوية هو قسم من منطق ارسطو، المنقول سابقاً من اليونانية الى الفهلوية. والمترجم هو عبدالله بن المقفّع.

ويقول ابن النديم فى الفن الاول من المقالة السابعة (مقالة الفلاسفة):

«.... وكانت الفلسفة ظاهرة في اليونانيين والروم قبل شريعة المسيح عليه السلام، فلما تنصّرت الروم منعوا منها وأحرقوا بعضها وخزنوا البعض، ومُنِعَ الناس من الكلام في شيء من الفلسفة، إذ كانت بضدّ الشرائع النبوية، ثم إن الروم ارتدّت عائدة الى مذاهب الفلاسفة، وكان السبب في ذلك، ان ليوليانس ملك الروم، وكان ينزل بأنطاكية، وهوالذي وزر له ثامسطيوس مفسر كتب ارسطاليس...»[١٢٨]

ثم يذكر ابن النديم قصة حرب سابور ذي الأكتاف مع امبراطور الروم، وان سابور أُسر وسُجن ثم فرّمن السجن وقتل الأمبراطور وأخرج الرومان من ايران، بل تدخل في شؤون الروم وجعل قسطنطين امبراطوراً لروما. وهنا ترجع الروم الى المسيحية وتمنع مدارسة الفلسفة. ثم يقول:

«وقد كانت الفرس نقلت فى القديم شيئاً من كتب المنطق والطب الى اللغة الفارسية، فنقل ذلك الى العربية عبدالله بن المقفّع وغيره...»[١٢٩].

وكما لما يترجم شيء من الفلسفة عن ايران كذلك لم يكن احدمن مترجمى المنطق والفلسفة عن السريانية واليونانية ايرانياً. ولكن بما أن ترجمة الكتب الفارسية الى العربية هى

---

١٢٧ ــ الفهرست، ص: ٣٣٨ ط مصر ــ الرحمانية.

١٢٨ ــ الفهرست، ص: ٣٣٧ ط مصر ــ الرحمانية.

١٢٩ ــ الفهرست، ص: ٣٣٧ ط مصر ــ الرحمانية.

احدى صور خدمة الايرانيين للحضارة و الثقافة الاسلامية لذلك نحن نذكرهنا أسماء المترجمين عن الفارسية الى العربية نقلاً عن ابن النديم فى الفهرست، ولولم يكن كلهم ايرانيين، وهم:

عبدالله بن المقفّع مترجم منطق ارسطو، و «خداينامه» الذى هو الأصل والمصدر الرئيسى «للشاهنامة» للفردوسى، و«كليلة ودمنة» من الكتب الهندية المترجمة الى الفهلوية على عهد انوشيروان[١٣٠].

و ابوسهل الفضل بن نوبخت المتولّى «لبيت الحكمة» على عهد هارون الرشيد والمأمون.[١٣١] والحسن بن موسى النوبختى. و أحمد بن يحيى البلاذرى المؤرخ المعروف. و موسى بن خالد. و يوسف بن خالد (كانا عند داود بن عبدالله بن حميد بن قحطبة) و على بن زياد التميمى. والحسن بن سهل. و جبلة بن سالم كاتب هشام بن عبدالملك. و اسحاق بن يزيد مترجم «اختيارنامه» و محمدبن جهم البرمكى. و هشام بن القاسم و موسى بن عيسى الكردى. و زادويه بن شاهويه الاصفهانى. و محمدبن بهرام بن مطيار الاصفهانى. و بهرام بن مردانشاه. و عمرو بن الفرخان[١٣٢] و سالم ــ اوسلم ــ متولى بيت الحكمة[١٣٣] و صالح بن عبدالرحمن كاتب الحجاج و مترجم الدواوين الفهلوية الى العربية[١٣٤] وعبدالله بن على مترجم بعض الكتب الهندية من الفارسية الى العربية[١٣٥].

و الآن لنتكلم عن الفلاسفة فى العهد الاسلامى من الايرانيين، فنقول:

إنّ اسهام الايرانيين فى الفلسفة الاسلامية اكثر من اى فرع علمى آخر.

و هنا نرى أن نذكر طبقات فلاسفة العهد الاسلامى من الصدر الاول حتى اليوم، كما ذكرنا طبقات فقهاء الشيعة باختصار، ولم نر كتاباً فى هذا الموضوع حتى اليوم.

و هذا العمل و ان كان ليس بالسهل اليسير الا أنى بالنظر الى علاقتى بالفلسفة و شغفى للوقوف على سير الفلسفة فى الاسلام، قد قمت باعمال فى هذا الموضوع و ان كنت اراها ناقصة لم تكمل بعد. ولايتيسّر التحقيق فى سير الفلسفة فى الإسلام من دون معرفة طبقات الفلاسفة من حيث التوالى الزمنى. و نحن نذكرهنا طبقات الفلاسفة باختصار حسب المشيخة و التلمذة، و المعاصرون لكل طبقة اما مساهمون فى التعليم لمن بعدهم اوغيرمساهمين و لكنهم

---

١٣٠ ــ الفهرست، ص: ١٧٢، ط مصر.

١٣١ ــ الفهرست، ص: ٣٨٢، ط مصر. وجاء في كتاب تأسيس الشيعة ص ٣٦٢ مايلي: «قلت وأبوسهل هذا هو الفضل بن أبي سهل بن نوبخت صاحب دارالحكمة للرشيد.»

١٣٢ ــ الفهرست، ص: ٣٤٢. ط مصر.

١٣٣ ــ الفهرست، ص: ١٧٤. ط مصر.

١٣٤ ــ الفهرست، ص: ٣٣٨. ط مصر.

١٣٥ ــ الفهرست، ص: ٤٢١. ط مصر.

تلامذة لمن قبلهم أو معاصرون فقط.

ونعنى بفلاسفة العهد الاسلامى: الفلاسفة الذين اشتغلوا بالفلسفة في جوّ اسلامى، وقد نجد افراداً منهم ــ ولا سيما فى العهود الاولى ــ ليسوا مسلمين بل يهودا ومسيحيين او ملحدين ــ فى نظر بعض العلماء على الاقل ــ ونحن بعد أن نذكر جميع الطبقات من الصدر الاول حتى يومنا هذا نستعرض بعض النتائج.

الطبقة الاولى:

تبدأ الفلسفة الاسلامية بأبى يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى المعروف بفيلسوف العرب، وهو عربى خالص، كان معاصراً للمأمون والمعتصم بالله العباسى، ومن معاصريه من المترجمين الرسميين الحسين بن اسحاق وعبدالمسيح بن ناعمة الحمصى. وقدجاء فى مقدمة كتاب «اثولوجيا» مانصه: «ترجمه عبدالمسيح وهذبه واصلحه ابو يوسف يعقوب الكندى» وقد شكك بعضهم فى أن يكون مترجماً مستقلاً بينما يروى عن تلميذه أبى معشر البلخى أن الكندى كان احد المترجمين الأربعة الرسميين.

أجل كان عهد الكندى عهد الترجمة والتعريب الا أن الكندى كان فيلسوفاً قديراً صاحب رأى. ينسب اليه زهاء مئتين وسبعين كتاباً ورسالة، وقد قام ابن النديم بفهرسة كتبه المختلفة فى المنطق والفلسفة والنجوم والحساب والهندسة والطب وحتى فى اصول العقائد الدينية. وقدعُثرأخيراًعلى بعض نسخ كتب الكندى وطبعت، وعلم من هذه الكتب أن الكندى اعظم مما كان فى الحسبان، فهومن نوابغ التاريخ ومن نجوم العهد الاسلامى الاول. بل عدّه بعض الاوروبيين واحداً من اثنى عشر رجلاً عقلياً عملاقاً كان لهم أثر كبير فى تاريخ العقل البشرى [١٣٦].

كان الكندى رجلاً صنيع نفسه، ولايرينا التاريخ فى طبقته اوفى الطبقة المتقدمة عليه فيلسوفاً صاحب نظر ورأى مسلماً وغيرمسلم غيره.[١٣٧]

كتبوا بشأنه أنه درس فى البصرة وفى بغداد، ونحن نعلم أن لم يكن يوجد فيلسوف انذاك فى أحد هذين البلدين ولهذا فهورأس سلسلة الفلاسفة فى العهد الاسلامى من دون أن ينتمى هو الى طبقة اوحلقة قبله.[١٣٨]

---

١٣٦ ــ انظر: هنري كوربن في (تاريخ فلسفهٔ اسلامي)، ص: ١٩٩، والدكتور السيد حسين نصر، في: (سه حكيم مسلمان)، ص: ١٦ وكتب، ص: ١١٦ يقول: «عدّه كاردانوس في عداد ارخيدس وارسطو واقليدس».

١٣٧ ــ تاريخ علوم در اسلام ــ فارسي.

١٣٨ ــ تاريخ فلسفهٔ اسلامي ــ فارسي.

كتب الدكتورتقي زاده في كتابه [١٣٩] والپروفيسور كور بن أيضاً في كتابه أن الكندى كان قد تنبّأ في رسالة له بأمد الامبراطورية العربية (الخلافة العباسية) مما طابق اوقرب مما حدث و تحقق. يقول كور بن:

«انّ هذا الفيلسوف تنبّأ في رسالة له بأمد الامبراطورية العربية عن طريق المحاسبات الرياضية الفلكية التي كان قد اقتبسها من العلوم اليونانية منها النجوم، و من تفاسير النصوص القرآنية... أنها تنتهي زهاء عام ٦٩٣ هـ» [١٤٠]

و لايصح ماكتبه بعضهم يقول:«ان تعرف المسلمين على الفلسفة اليونانية بدأ بترجمة آثار حكماء اليونان و الاسكندرية و تفاسيرهم و شروحهم، و بدراسات جماعة كالقويرى و يوحنابن حيلان و ابى يحيى المروزى (المرورودى السُرياني) و أبى بشرمتى بن يونس و أبى زكريا يحيى بن عدى.» [١٤١] اذ أن تعرف المسلمين على الفلسفة اليونانية بل حتى ظهور الفيلسوف صاحب الرأى و النظر بينهم كان قد تحقق قبل دور هؤلاء بكثير، بل ان الفلسفة الاسلامية بدأت من ظهورأبى يوسف يعقوب الكندى واستمرت عند تلامذته. وهؤلاء الذين ذكرهم هذا الكاتب ليسوا حتى من معاصرى الكندى بل بعضهم (كابراهيم القويرى و ابراهيم المروزى و يوحنا بن حيلان و ابن كرينب) من معاصرى طبقة تلامذة الشيخ الكندى، و آخرون منهم انماهم في الطبقة الثالثة بل الرابعة كما سند كر ذلك فيما يأتى و سنوضح هذا الموضوع اكثر و سنبيّن مدى تأثير هؤلاء في تقدم الفلسفة في الاسلام.

الكندى كان فيلسوفاً قديراً و في نفس الوقت مسلماً متصلباً طاهر العقيدة بل مدافعاً عنها و له كتب كثيرة في الدفاع عن الاسلام. و قد قال بعضهم أنه كان يتشيّع

كان في المسألة التي يتعارض فيها رأى الفلسفة ــ انذاك ــ مع الاسلام يأخذ جانب الاسلام، كما يظهر ذلك من رأيه الخاص بشأن مسألة الحدوث الزمني للعالم، و مسألة حشر الأجساد يوم المعاد. و كان يسعى جاهداً للجمع و التوفيق بين الاصول الفلسفية والمعارف الاسلامية، بل بدأهذابالكندى و استمر حتى اليوم. و الغريب مازعمه بعضهم من أنه كان يهودياً لكون اسمه واسم أبيه: يعقوب بن اسحاق، وكنيته: ابايوسف! والأبعد من ذلك ما في بعض الروايات المردودة الموضوعة من أنه حاول الرّد على القرآن!

و قد ظهر أخيراً بفضل التحقيق أن قيمة الكندى العلمية و الفلسفية هى اعظم بكثير مما كانت عليه في تصور الكثيرين عنه. و أنه كان مسلماً معتقداً مدافعاً عن الإسلام بل أنه

---

١٣٩ ــ بالفارسية (تاريخ فلسفة اسلامي) ص: ١٩٩.

١٤٠ ــ بالفارسية (تاريخ علوم عقلي در اسلام) للدكتور: ذبيح الله صفا، ص: ١٦١.

١٤١ ــ انظر كتاب «الكندي» للسيد محمد بحرالعلوم، وكتاب «فلاسفة الشيعة» للشيخ عبدالله نعمة.

كان شيعياً. و أنه كان يُحسد على موقعه العلمي و الاجتماعي المرموق، و أن هذه التهم و النسب انما هي من آثار ذلك الحسد.

و قد قلنا آنفاً أن الكندي كان الوحيد في طبقته، فلا نجد فيلسوفاً آخر معه مسلماً اوغير مسلم. مات الكندي عام ٢٥٨ تقريباً.

الطبقة الثانية:

تتشكل هذه الطبقة من فرقتين مختلفتين: فرقة تلامذة الكندي، و فرقة اخرى لا ترتبط بمدرسة الكندي. أما الفرقة الاولى:

١ــ ابوالعباس أحمد بن الطيب السرخسي، اكبر تلامذة الكندي. ولد عام ٢١٨ و قتل عام ٢٨٦ على يد القاسم بن عبيدالله وزير المعتضد بالله العباسي. و يذكر ابن أبي اصيبعة أنه ألّف اربعة وخمسين كتاباً و رسالة لا توجد اليوم نسخة منها، منها كتاب «المسالك والممالك» في الجغرافيا، ولعله هو أول جغرافي في الاسلام، وله كتاب آخر في الفرق بين النحو والمنطق، وكتاب آخر في ارتباط اصول واركان الفلسفة بعضها ببعض، وكتاب آخر في قوانين الجدل الديالكتيكي.

كتب هانري كوربن الألماني عنه يقول: «انه اخترع الفباء ذات صوت اكملها حمزة الاصفهاني» و يقول أيضاً «انه اعطى معلومات قيمة في موضوع الأسامي التي اطلقوها في العربية على الرواقيين بحيث لو لم يكن ما كتب لبقي الرواقيون في لتاريخ خلف ستار الابهام». ولم يحرم هذا الرجل من حظّ التكفير.

٢ــ ابو زيد أحمد بن سهل البلخي، كان اديباً و فيلسوفاً، ذكره ابن النديم في ضمن الادباء والكتاب وذكر كتبه الفلسفية في ضمن كتبه الأدبية[١٤٢] و يذكر عنه شيئاً في ضمن ترجمة محمد بن زكريا الرازي (في ضمن الأطباء) و أنه درس الفلسفة عند البلخي، من دون توضيح أن هذا البلخي هو نفس أبي زيد البلخي او هو شخص آخر. و يقول انه شاهد كتباً كثيرة بخط ابن البلخي في علوم كثيرة كلها كانت مسودات ناقصة لم تكمل بعد[١٤٣].

و عُدّ البلخي ــ بالاضافة الى مقامه في الفلسفة ــ من الدرجة الاولى من الادباء المسلمين، حتى عدّه بعضهم في رتبة الجاحظ بل فضّله عليه آخرون.

١٤٢ــ الفهرست، ص: ٢٠٤.

١٤٣ــ الفهرست، ص: ٢٣٠.

وقد عدّ ابن النديم له بالاضافة الى سايركتبه كتباً بعناوين: شرائع الاديان، ونظم القرآن، وقوارع القرآن، وغريب القرآن، وفضائل مكة. مات عام ٣٢٢ هـ.

ولم يأت في فهرست ابن النديم ولا في تاريخ الحكماء لابن القفطي ذكر عن تلمذة البلخي على الكندي، الا أن المتأخرين اتفقوا على هذا، والظاهر أنهم استندوا جميعاً الى ما في «معجم الادباء» لياقوت الحموي[١٤٤] ولكن اذا كان تاريخ وفاة البلخي عام ٣٢٢ كان ذلك من البعيد جداً؛ اذ أن الكندي مات في حدود عام ٢٥٨، وبين هذين التاريخين اربع وستون سنة، الا أن نفترض أن البلخي عمّر اكثر من مئة عام، بينما يصرح «معجم الادباء» أنه عاش ٨٧ أو ٨٨ فقط، فلو كانت وفاته سنة ٣٢٢ كان عمره يوم وفاة الكندي ١٣ او ١٤ عاماً، وهذا عمر لا يناسب التلمذة لدى الكندي. ولعله كان تلميذه بالواسطة.

ومن المحتمل أن يكون البلخي شيعياً أيضاً، ورمي بالكفر والالحاد أيضاً.

قيل: ان من تلاميذه أبا الحسن العامري الفيلسوف المعروف، وسنذكره. ونحن نستبعد ذلك.

٣ــ ابومعشر جعفر بن محمد البلخي، كان من أصحاب الحديث ويعادي الكندي وطريقته، فاحتال الكندي حتى استدرعطفه على الفلسفة والفلاسفة والنجوم والرياضيات بل جعله يميل الى تعلمها واستراح من أذاه، بل ذكر ابن النديم أن أبا معشر دخل في حلقة تلامذة الكندي[١٤٥] عاش ابومعشر اكثر من مئة عام ومات سنة ٢٧٢. وهو مؤرخ ومنجم اكثر من أن يكون فيلسوفاً.

ويذكر ابن النديم اسماء حسنويه ونفطويه وسلمويه وشخصاً آخر وأنهم من تلامذة الكندي، وليس بأيدينا عن هذا غيرما ذكره ابن النديم، الا أنا نعلم أن طبيباً باسم سلمويه بن بنان كان معاصراً للكندي وكان الطبيب الخاص للمعتصم بالله العباسي، وقد تكلم عنه ابن النديم وابن أبي اصيبعة بالتفصيل، وهو نصراني سُرياني[١٤٦] ولكن هل سلمويه هذا هو الذي عدّه ابن النديم من تلامذة الكندي، أو هو غيره؟ لانعلم ذلك.

ومن جملة تلامذة الكندي رجل يدعى «دبيس محمد بن يزيد» ذكره ابن النديم بالاجمال[١٤٧] ورجلاً آخر باسم «زرنب» ويذكر ابن أبي اصيبعة ضمن رسائل الكندي «رسالة الى زرنب تلميذه في اسرار النجوم».

١٤٤ــ معجم الأدباء ج ١، ص: ١٤٥ ط، مصر ١٩٢٣م.

١٤٥ــ الفهرست، ص: ١٧٩.

١٤٦ــ الفهرست، ص: ٤٢٦ وعيون الأنباء ج ٢، ص: ١٠٥ــ ١١٤.

١٤٧ــ الفهرست لابن النديم، ص: ٥٢٠.

و أما الفرقة الثانية اى من لم يتتلمذ على الكندى، فهم:

١ــ ابواسحاق ابراهيم القويرى، يذكره ابن النديم فى الفهرست بعد أبى العباس السرخسى ويقول فى القويرى: هو «ممن أخذ عنه المنطق، و كان مفسّراً» اى مفسّراً لكلمات الفلاسفة القدماء. و يحتمل فى كلمة «أخذ» أن يقرأ معلوماً او مجهولاً اى مبنياً للمفعول، و على احتمال قراءتها معلوماً اى مبنياً للفاعل يكون معناه أن يكون القويرى ممن أخذ المنطق عن الكندى. ولم نرمن استفاد هذا من كلام ابن النديم.

و يذكر ابن أبي اصيبعة فى عيون الأنباء ضمن ترجمة الفارابي قصّة عن لسان الفارابي عن كيفية ظهور الفلسفة فى اليونان ثم فى الاسكندرية، و جاء فيها اسم القويرى، و يقول فيها:

«الى أن كان الاسلام بعده بمدة طويلة، فانتقل التعليم من الاسكندرية الى أنطاكية و بقى بهازمناً طويلاً، الى أن بقى معلم واحد، فتعلم منه رجلان و خرجاو معهما الكتب، فكان أحدهما من أهل حرّان و الاخر من أهل مرو، فأما الذى من أهل مرو فتعلّم منه رجلان: احدهما ابراهيم المروزى و الآخر يوحنّا بن حيلان، و تعلّم من الحرّانى اسرائيل الاسقف و القويرى، وسارا الى بغداد، فانشغل اسرائيل بالدين وانشغل القويري فى التعليم..... . وتعلم ابو بشر متى من ابراهيم المروزى» [١٤٨].

و يظهر من كلام الفارابى آن التعليم و التعلم فى الحوزة العلمية المسيحية فى انطاكية كان محصوراً بحدود المنطق الى آخر الاشكال الوجودية. و قال الفارابى عن نفسه أنه قد تعلم المنطق عند يوحنا بن حيلان، و يقول: حينا انتقل التعليم الى المسلمين الغوا تحريم بقية المنطق الذى كانت تحرمه الكنيسة المسيحية.

و يقول المسعودى فى «التنبيه و الاشراف»:

«وقد ذكرنا فى كتاب (فنون المعارف، و ماجرى فى الدهور السوالف) الفلسفة و حدودها... ولأى سبب انتقل التعليم فى أيام عمر بن عبدالعزيز من الاسكندرية الى أنطاكية، ثم انتقاله الى حران فى أيام المتوكل، و انتهى ذلك فى أيام المعتضد الى القويرى و يوحنابن حيلان و كرنيب وأبي بشر متى بن يونس تلميذى ابراهيم المروزى... ثم الى أبي نصر الفارابى تلميذ يوحنابن حيلان» [١٤٩].

و كان القويرى شيخ أبى بشر متّى، كما قال ابن النديم.

٢ــ ابويحيى ابراهيم المروزى، الآنف الذكر، هوايضاً شيخ أبى بشرمتّى. و يقول ابن

---

١٤٨ ــ عيون الأنباء ج ٣، ص: ٢٢٥ ط. بيروت. دارالفكر.

١٤٩ ــ التنبيه والاشراف، ص: ١٠٤ ــ ١٠٦ ط مصر. ١٣٥٧ ــ الصاوي.

النديم بشأنه: انه رجل فاضل الاّ أنه كتب ما كتب فى المنطق بالسُريانية[١٥٠].

٣ــ يوحنّا بن حيلان، هو الذى ذكرناه فى ترجمة ابراهيم القويرى، وقلنا انه كان شيخ الفارابى فى المنطق. ولايدرى متى واين درس الفارابى المنطق على يوحنا هذا، فقيل ان الفارابى كان قدسافر اليه الى حرّان بالشام[١٥١] ويصرح ابن القفطى أن ذلك كان فى بغداد[١٥٢] بينما يظهر من كلام الفارابى المنقول فى «عيون الانباء» أن يوحنا لم يأت الى بغداد.

٤ــ ابوالعباس محمدبن محمد النيسابورى الايرانشهرى. وليس بأيدينا معلومات صحيحة عنه. ذكره ابوريحان البيرونى فى كتابه «الآثار الباقية» وناصرخسرو فى كتابه «زاد المسافرين». وقيل: إنّ الافكار الفلسفية لمحمدبن زكريا الرازى بشأن قدم المكان والهيولىٰ مأخوذة عنه. وقيل انه كان يدعى النبوة للعجم[١٥٣] ولايدرى هل هو من تلامذة واتباع الكندى او من مجموعة القويرى وابن حيلان والمروزى؟ او هو مستقل عن كل هؤلاء اوهو مرتبط بغير هؤلاء؟

والى هنا علم أنه الى حدود اوائل القرن الرابع كانت للفلسفة طريقتان طريقة بدأت بالكندى وكانت تشتمل على المنطق والفلسفة والطب والنجوم والموسيقى وغيرها، والطريقة الاخرى هى طريقة الحرّانيين التى لم تكن تتجاوز المنطق بدائياً.

الطبقة الثالثة:

وفى هذه الطبقة خمسة معروفون يذكرون:

١ــ ابوبكر محمدبن زكريا الرازى، الذى اشتهر بلقب «جالينوس العرب». واكثر تخصصه واشتهاره بالطب، بل انه فى فنّ الطّب يحسب الاوّل فى التاريخ، ويفضّله بعضهم حتى على ابن سينا. ولد عام ٢٥١ وملت عام ٣١٣. وقد قلنا سابقاً أن ابن النديم عدّه من تلامذة البلخى والمحتمل المفضّل أن ابن البلخى هذا هو ابوزيد البلخى تلميذ الكندى، وعلى هذا يكون الرازى تلميذ تلميذ الكندى، ولنا قرائن اخرى تؤيّد أن استاذ الرازى هو نفس أبى زيد البلخى[١٥٤].

١٥٠ــ الفهرست، ص: ٣٨٢ وتاريخ الحكماء للقفطي، ص: ٤٣٥.

١٥١ــ وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمته.

١٥٢ــ تاريخ الحكماء للقفطي، ص: ٢٧٧.

١٥٣ــ الدكتور مهدي المحقق في مقدمة ترجمته للسيرة الفلسفية للرازي.

١٥٤ــ المصدر السابق؛ ص: ٧.

ولد ابو زيد سنة ٢٤٣ او ٢٤٤ فهو اكبر من تلميذه الرازى المتولد ٢٥١ بسبع اوثماني سنين، و هذا ليس ببعيد ولاسيما مع الالتفات الى أن الرازى انما اشتغل بالدراسة فى سنّ عالية. و قد بقى ابوزيد حيّاً بعد تلميذه الرازى تسع سنين. و استاذه الآخر هو ابوالعباس الايرانشهرى الذى ذكرناه سابقاً، و ليست بأيدينا معلومات صحيحة عنه.

كان للرازى افكار فلسفية خاصة، ولم يكن مستسلماً لفلسفة ارسطو، كان فى تركيب الأجسام يقول بوجود «الأجزاء الذّرية» و له نظرة خاصة معروفة بشأن القدماء الخمسة تطرح فى كتب الفلسفة للبحث، و قد ردّها الفارابى و ابوالحسين الشهيد البلخى و على بن رضوان المصرى و ابن الهيثم البصرى.

و قدجاء فى فهرست كتب الرازى كتاب فى «النبوات» سماه بعضهم تهكّماً بنقض الأديان. و له كتاب آخر فى «حيل المتنبئين» سمّاه بعضهم تهكماً بمخاريق الأنبياء. و هذه الكتب لا توجد اليوم. و قد أتى المتكلمون الاسماعيليون كأبى حاتم الرازى و ناصرخسرو فى كتبهم بمواضيع تفيد أن الرازى كان منكراً للنبوات، و ان كان ابوحاتم لم يصرح باسم الرازى و انما عبّر عنه بكلمة «ملحد» و يقصد به الرازى.

و ليست تلك الكتب الآن بأيدينا حتى ننظر فيما قيل من هذا القبيل، ولكن بالنظر الى مجموعة من القرائن نستطيع أن نستنتج أن الرازى لم يكن منكراً للنبوة بل كان يحارب المتنبئين. انّ مباحثات الرازى مع أبى حاتم الاسماعيلى فى بيت احد اكابر الرّى بمحضر من أكابر البلد و على رؤوس الأشهاد يستحيل أن تكون فى انكار او ابطال النبوة ثم يعيش محترماً مكرماً. و أما ما ادّعاه بعضهم من أن أباريحان البيرونى نسب الى الرازى هذين الكتابين: «نقض الاديان» و«مخاريق الانبياء» [١٥٥]... فهو غير صحيح قطعاً، بل ان أباريحان يذكرهما هكذا: «فى النبوات» و الاخرى «فى حيل المتنبئين» ثم هو ياتى مع اسم كل واحد من هذين بكلمة «يُدعى» التى تفيد أن هذا الاسم اطلقه عليه غيرالمؤلف. و ابن أبى اصيبعة ينكر نسبة هكذا كتاب الى الرازى ويحتمل أن يكون بعض الاشرار قد صنع كتاب «مخاريق الانبياء» و نسبه الى الرازى بدافع من العداء، بل يصرّح أن هذا الاسم اطلقه عليه على بن رضوان المصرى و كان يعادى الرازى! و يظهر من كلام ابن أبى اصيبعة أن كتاب «المخاريق» غير كتاب «النبوات» و «حيل المتنبئين»، و أن لاغموض فى شأن هذين الكتابين.

اضف الى ذلك أن الرازى كان شديد التمسك بعقيدة التوحيد و المعاد و بقاء الروح و أصالتها فى الانسان، و له كتاب «فى أن للانسان خالقاً متقناً حكيماً» [١٥٦] و آخر «فى الردّ

---

١٥٥ ــ الدكتور المحقق في مقدمة ترجمة السيرة الفلسفية، ص: ٥٦

١٥٦ ــ عيون الانباء ج ٢، ص: ٣٥٢.

على سيسن الثنوى»[١٥٧] اى الردّ على المانوية، و كتاب «الى على بن شهيد البلخى فى تثبيت المعاد»[١٥٨] و يحكى ابن أبى اصيبعة أنه فى هذا الكتاب يرد على منكرى المعاد. و كتاب «فى أنّ النفس ليس بجسم»[١٥٩] و كيف يمكن أن يقبل و يعتقد شخص باصول المبدأ و المعاد و الروح و النفس ثم هو ينكر النبوات و الشرائع؟!

اضف الى ذلك أن له كتاباً «فى آثار الامام الفاضل المعصوم»[١٦٠] و الاحتمال القوى هو أن يكون الكتاب فى الامامة على طريقة الشيعة الامامية، وكتاباً باسم «النقض على الكيّال فى الامامة»[١٦١] وكتاباً بعنوان «كتاب الامام والمأموم المحقين»[١٦٢] وكل هذه الكتب تحكى أن فكرة الامامة كانت قد شغلت باله، و بدهى أن منكر الشرائع والنبوات لا تكون له حسّاسية فى الامامة.

ولا يبعد أن يكون الرازى كان يفكر تفكير الشيعة فى الامامة كما قال بعضهم[١٦٣] و كل من كان يفكر بهذه الفكرة من المفكرين كان يرمىٰ من قبل اعداء الشيعة بالكفر و الزندقة.

ثم ان الاستدلال الذي ينسب الى الرازى فى انكار النبوة من الضعف بدرجة أن يبعد جداً أن يكون ذلك من مفكر كالرازى، من قبيل: أن لوكان على الناس ان يهتدوا فلما ذا لم يكونوا كلهم أنبياء؟!

والذى يمكن أن يقال هنا هو أن الرازى كانت له اخطاء و انحرافات لا تصل قطعاً الى حدّ انكار الشرائع و النبوات، و انما نقل كلماته فى ذلك أعداؤه بالمعنى فصاغوها بصيغة الترديد أو الانكار. و نحن رأينا فى عصرنا هذا كتباً لاتخلومن الاخطاء و الانحرافات الا أنّ مخالفيها حملوها على وجوه لولم ير الشخص نفس تلك الكتب لما كان يصدق أن تكون هذه المقالات النقدية او الرسائل تردّ على ذلك الكتاب مثلاً، من حيث البعد بين الاصل و الرّد.

و كان للرازى نوعان من المخالفين: مخالفون ردّوا على بعض آرائه الفلسفية كالفارابى و الشهيد البلخى و ابن هيثم و آخرين. و مخالفون ردّوا على بعض افكاره الدينية. و هؤلاء

١٥٧ــ عيون الانباء ج ٢، ص: ٣٥٢.

١٥٨ــ عيون الانباء ج ٢، ص: ٣٥٩.

١٥٩ــ عيون الانباء ج ٢، ص: ٣٥٨.

١٦٠ــ عيون الانباء ج ٢، ص: ٣٥٩.

١٦١ــ عيون الانباء ج ٢، ص: ٣٥٨.

١٦٢ــ عيون الانباء ج ٢، ص: ٣٥٩.

١٦٣ــ فلاسفة الشيعة. لعبدالله نعمة.

هم الذين صوّروه بالالحاد و أثروا فى تصور غيرهم عنه، وهم الاسماعيلية الذين رماهم التاريخ بلقب «الملاحدة»، و ملاحدة عصرنا يؤيّدون اولئك الملاحدة الاسماعيليين القدماء فى نسبة الالحاد الى الرازى لالكى يسقطوه عن الاعتبار بل لكى يرفعوا من شأن انفسهم و يقولوا بأنهم لو الحدوا فقد وافقهم فى ذلك بعض فلاسفة المسلمين.

وهنا شئ ينبغي التأكيد عليه وهو أن الرازى مع تخصصه ونبوغه فى الطب كان ضعيفاً فى افكاره الفلسفية، و هنا نعطى الحق لابن سينا أن يقول بشأن الرازى فى معرض جوابه على اسئلة أبى ريحان البيرونى: «المتكلف الفضول المتكلم بمالا يعنيه».

٢ــ ابوالحسين شهيد بن الحسين البلخى، كان حكيماً شاعراً بالعربية و الفارسية، بل هو من أقدم الشعراء الفارسيين. و كأنّ ابن النديم لم يكن يعرف شهيد أالبلخى اذيذكره بعنوان «رجل يعرف بشهيد بن الحسين البلخى و يكنّى أباالحسن» [١٦٤] ثم يأتى بعبارة يفيد ظاهرها أن يكون شهيد تلميذ أبى زيد البلخى، وان لم نرمن استظهر هذا المعنى من كلام ابن النديم. و يقول ابن النديم ان لشهيد كتباً و له مع الرازى مناظرات.

و يرد شهيد نظرية الرازى فى مسألة «اللذة» التى تعرض فى كتب الفلسفة كالاسفار و غيرها، و كذلك نظريته المعروفة فى القدماء الخمسة. مات شهيدعام ٣٢٥ هـ.

٣ــ ابو أحمد حسين بن أبى الحسين اسحاق بن ابراهيم بن زيد الكاتب المعروف «بابن كرنيب». كان من افاضل المتكلمين المسلمين ومن الحكماء الطبيعيين (بمعنى العلم بحكمة الطبيعة، لاالقول باصالة الطبيعة) على خلاف أخيه ابي الحسين ابن كرنيب وابن اخيه ابى العلاء ابن أبى الحسين، اذ كانا من اصحاب الرياضيات لا الطبيعيات، و قد ذكرهما ابن النديم فى عداد الرياضيين ايضاً. كان ابو أحمد بن كرنيب متكلماً و فيلسوفاً و طبيباً، و كان يدرّس الكلام و الفلسفة و له تلامذة فى ذلك و يعدّ فى كليهما من البارزين، كما جاء ذلك فى كتاب «نامهٔ دانشوران». و يقول ابن النديم: «كان فى منتهى الفضل والمعرفة بالعلوم الطبيعية القديمة» [١٦٥] و عنه أخذ هذا المعنى و اللفظ ابن القفطى فى «تاريخ الحكماء» و ابن أبى اصيبعة فى «عيون الانباء». و رأينا أن المسعودى عده فى طبقة أبى بشر متّى و بعد القويرى و المروزى. ولايبعد أن يكون قد درس عندهم، و ان كان يقال إن أبا بشر متى قد درس عند ابن كرنيب. ولا يعلم تاريخ ولادته و وفاته ولا أساتيذه و مشايخه و تلاميذه بالضبط. و يحتمل أن يكون من الطبقة الثانية

و الكتاب الذى ينسب اليه، كتاب فى ردّ ثابت بن أبى قرة فى مسألة فلسفية معروفة

---

١٦٤ ــ الفهرست، ص: ٤٣٠.

١٦٥ ــ الفهرست، ص: ٣٨١.

هی «لزوم اوعدم لزوم تخلّل سکون بین حرکتین متضادتین» و هی تعرض حتی الآن فی کتب الفلسفة. وقدجاء فی «تاریخ الحکماء» لابن القفطی و«عیون الانباء» لابن أبی أصیبعة وتبعهما «نامهٔ دانشوران»: «حرکتین متساویتین» وهوغلط البتة، والصحیح هوما جاء فی «الفهرست»: «حرکتین متضادتین».

٤ــ ابوبشر متّی بن یونس (یونان) النصرانی البغدادی المنطق. یقول ابن الندیم فی الفهرست: انه یونانی من أهل «دیرقنی». وقدجاء فی «نامهٔ دانشوران» أن «دیرقنی» هی «دیرمرماری» و یطلق علیه ایضاً «اسکول مرماری» او «مدرسة مرماری» و هی قرب بغداد. و یقول ابن الندیم: ان زعامة المنطقیین انتهت فی عصره الیه. و یقول: ان أبا بشر درس عند ابراهیم القویری و أبی أحمد ابن کرنیب و آخرین هما (روفیل) و (بنیامین). وقد ذکرنا قبل هذا أنّ أبا بشر کان قد درس عند یحیی المروزی ایضاً. و یقول ابن أبی اصیبعة ضمن ترجمة الفارابی: «درس ابوبشر متّی الایساغوجی (المنطق) عند نصرانی (هوبنیامین السابق کما فی الفهرست) و القاطیغوریاس (المقولات) عند روبیل و القیاس عند أبی یحیی المروزی».

و کان ابوبشر مترجماً و فیلسوفاً، و الواقع أنه کان منطقیاً لافیلسوفاً حسب المصطلح الیوم. و لکن کانت کتبه فی المنطق و شروحه علی الکتب المنطقیة لارسطومدار التدریس و التعلیم [١٦٦].

کان حیاً حتی اعوام ٣٢٠ ــ ٣٣٠ کما عن ابن القفطی. و کتب ابن ابی اصیبعة أنه مات عام ٣٢٨. فما فی «نامهٔ دانشوران» من أنه مات عام ٣٠٨ غلط من الناسخ.

٥ــ ابونصر محمدبن محمدبن محمدبن طرخان الفارابی. هوغنی عن التعریف. وبحق هو «المعلم الثانی» و «فیلسوف المسلمین من غیر مدافع» [١٦٧] کان من المنطقة التورکیة، ولایعلم هل هوترکی ایرانی او ایرانی ترکی؟ فهو کان یتکلم باللغتین، و لکنه کان یعیش دائماً بالزیّ الترکی. کان رجلاً قنوعاً متحرّراً، و کان یعیش غالباً علی ضفاف الانهر و الجداول و الحدائق و البساتین، و کان تلامیذه یصلون الیه و یدرسون عنده هناک. اکمل نقائص افکار الکندي فی المنطق. و یقال انّه هوالذی اضاف کثیراً الی فن التحلیل و الأنحاء التحلیلیة و التعلیمیة المنطقیة التی لم تکن تترجم الی ذلک الیوم، و هوالذی عیّن الصناعات الخمس و موارد الافادة من کل صنعة منها. انه من الافراد الذین ادّت عظمتهم الی صنع

---

١٦٦ ــ راجع الفهرست، ص: ٣٨٢، والتنبیه والاشراف، ص: ١٠٥ وتاریخ الحکماء ص: ٣٢٣ وعیون الأنباء ج ٢، ص: ٢٢٧.

١٦٧ ــ تاریخ الحکماء لابن القفطي، ص: ٢٧٧.

شخصية خيالية حتى ادّعى له أنه كان يعرف سبعين لغة! وهولم يراستاذاً قديراً يذكر، نعم كان استاذه يوحنّا بن حيلان، فعنده درس المنطق. كتب المتأخرون عموماً يقولون: انه بدأ الدرس فى بغداد عند أبى بشر متّى ثم رحل الى حرّان فدرس عند يوحنّا بن حيلان المنطق [١٦٨] و الظاهر أن مصدر هذا هو كلام ابن خلّكان، فهو الذي صرّح بهذا من دون أن يذكر مصدراً لذلك. و يعلم من كلام ابن القفطى و ابن أبى اصيبعة أن الفارابى كان معاصراً لأبى بشر بل كانت شخصيته اكبر من أبى بشر، يقول ابن القفطى: «و كان ابونصر معاصراً لابى بشر متّى بن يونس الا أنه كان دونه فى السنّ و فوقه فى العلم» و كلام ابن أبى اصيبعة ايضاً قريب من هذا. اضف الى ذلك أن من المستبعد أن يكون الفارابى بعد ادراكه لحوزة أبى بشر متّى فى بغداد والاستفادة منه قد ذهب الى حرّان ليدرس عند يوحنابن حيلان المنطق. وأما نفس الفارابى فقد ذكر يوحنابن حيلان بعنوان: المعلم. ويدعى ابن القفطى أن الفارابى درس عند يوحنا فى بغداد.

ولد الفارابى عام ٢٥٧، اى بعد ستّ سنين بعد ميلاد الرازى و قبل عام من وفاة الكندى. و مات الفارابى عام ٣٢٩ و عاش اثنين و ثمانين عاماً.

كان الفارابى من المشائين الا أنه لم يخل بنفس الوقت عن ذوق فى الاشراق، كما يحكى عن ذوقه الاشراق هذا كتابه «فصوص الحكم». و كان رياضياً موسيقاراً. و له آراء و نظريات سياسية خاصة بشأن «المدينة الفاضلة» لافلاطون. و لقد أنسى من قبله من الفلاسفة وتلا فى الشهرة ارسطو و لقّب بالمعلم الثانى.

الطبقة الرابعة:

ولا نعرف من هذه الطبقة افراداً كثيرين، الا أنا نستفيد من المنقولات أن الفارابى و أبا بشر و ابن كرنيب كان لهم تلامذة لاريب، الا أنا لم نقف على معلومات صحيحة عنهم. و من هؤلاء:

١ــ يحيى بن عدى المنطق النصرانى، كان يعاصر ابن النديم وكان ابن النديم معجباً بكثرة اشتغاله بالعلوم. و قد كتب كل من ابن النديم و ابن القفطي وابن أبى اصيبعة بالاتفاق أن يحيى كان من تلامذة الفارابي و أبى بشر متّى. و قد ذكر ابن القفطى و غيره كتباً كثيرة له اكثرها فى المنطق و فيها مسائل من الفلسفة الاولى، مما لم يكن يشاهد قبل الفارابى ولاسيّما بين

---

١٦٨ ــ «تاريخ علوم عقلى در اسلام»، ص: ١٨٢ و «سه حكيم مسلمان»، ص: ١٩.

المسيحيين. وقد كتب ابن النديم وتبعاً له ابن القفطي وابن أبي اصيبعة: أنّ رئاسة المنطقيين في عهده انتهت اليه. مات سنة ٣٦٣ او ٣٦٤، وله ٨١ عاماً.

٢ــ اخوان الصفا وخلاّن الوفا، وهم جمعية سرية كانوا يحاولون اخفاءها وعدم الاجهار بها، ولكنهم اثبتوا أنهم فلاسفة متدينون ملتزمون، وكان هدفهم الجمع بين الدين والفلسفة في سبيل اصلاح المجتمع، وقدشكّلوا لذلك جمعية سرية كالحزب، كان لها شرائط وآداب خاصة يلتزم بها اعضاؤها. وقد صنّفوا إثنتين وخمسين رسالة تبيّن آيديولوجيتهم ونظرتهم الى الحياة والكون، وهي اثر اسلامي خالد ينبغي أن يعد بحق دائرة لمعارف عصرهم في مصرهم بغداد. ولا ريب أنهم كانوا متأثرين بمن قبلهم ولاسيما الفارابي ولاشك أنهم اثروا فيمن بعدهم. وهذا مما يحتاج الى بحث طويل خارج عن حدود بحثنا هنا.

والذي هو ظاهر لنا من اسمائهم هوما كشف عنها معاصرهم ابوحيان التوحيدي وهم: ابوسليمان محمد بن معشر البستي وابوالحسن علي بن هارون الزنجاني وابو أحمد المهرجاني العوفي وزيد بن رفاعة.

وقد زاد بعضهم اسماء افراد آخرين من قبيل: ابن مسكويه الرازي المتوفى ٤٢١ هـ وعيسى بن زرعة المتوفى ٣٩٨ المترجم والفيلسوف، وابوالوفاء البوزجاني الرياضي النابغة المعروف المتوفى ٣٨٧.. وبعض هؤلاء من اوائل القرن الخامس، بينما انكشف أمر اخوان الصفا في النصف الثاني من القرن الرابع بنشر رسائلهم، حيث أن ابا حيّان التوحيدي عرض على وزير صمصام الدولة بن عضد الدولة البهوبي عام ٣٧٣ عقائد وسيرة الاخوان، وقال له: انه عرض هذه الرسائل على استاذه ابي سليمان المنطقي السجستاني وهو أبدى رأيه بشأنهم. وعلى هذا يجب أن تكون هذه الرسائل قد نشرت في حدود النصف الثاني من القرن الرابع... وعلى هذا يجب أن نعدهم من الطبقة الرابعة اي من طبقة تلامذة الفارابي، وان لم يكن بأيدينا تاريخهم.

انّ اخوان الصفا الذين جمعوا بين العقل والدين والفلسفة والشريعة ورأوا كلاً منهما مكمّلاً للآخر، كانوا في سيرتهم في الفلسفة يميلون الى الطريقة الفيثاغورية لانهم كانوا يستندون كثيراً الى الاعداد، وفي الدين كانوا يميلون الى علي عليه السلام وشيعته.

الطبقة الخامسة:

١ــ ابوسليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، المعروف بأبي سليمان المنطقي كان تلميذ يحيى بن عدي المنطقي، وعلى نقل ابن القفطي كان يدرس عند أبي بشر أيضاً، والظاهر أن بدء دراسته كان عند أبي بشر ثم استمرفي الدراسة عند يحيى بن عدي.

ولأبي سليمان تلميذ يدعى أباحيان التوحيدى كان من الفضلاء و الادباء و الكتاب المعروفين فى الاسلام، و له كتب نفيسة بعناو ين: الامتاع و المؤانسة، و الصديق و الصداقة. و قد ذكر استاذه أبا سليمان فى كتبه كثيراً و نقل كثيراً من افاداته.

و ذكر ابا سليمان كل من ابن النديم وابن القفطى و ابن أبى اصيبعة مختصراً، ومؤكد ان ابن القفطي اكثر تفصيلا منهما، و اجمع بحث حول أبى سليمان هو بحث المرحوم محمد القزو ينى فى الجزء الثانى من «بيست مقاله»[١٦٩].

و كان بيت أبى سليمان موعد الحكماء و الفضلاء و كان هو رئيسهم، و كانت تطرح فى مجالسه ــ التى هى فى الواقع ندوات فلسفية ــ مسائل الفلسفة و العلوم و يستفيد منها الحاضرون المشتركون، و بتعبير أبى سليمان: كان يقتبس بعضهم من بعض او يتقابسون، و قد جمعها ابوحيان فى ١٠٦ مجالس سمّاها «المقابسات».

و لايعلم تاريخ ولادته و وفاته بالدقة، إلا أن من المسّلم أنه كان فى النصف الثانى من القرن الرابع، شخصيته ممتازة معروفة. ويحدس المرحوم القزو ينى أن تكون ولادته فى حدود عام ٣٠٧ و وفاته فى حدود عام ٣٨٠ و يحتمل أن يكون قد عاش الى ٣٩٠ هـ.

و الحكماء و الفضلاء الذين كانوا يشتركون فى محفل أبى سليمان كانوا غالباً من تلامذة يحيى بن عدى و تلامذته هو من قبيل ابى محمد العروضى، ابي بكر القومسى، و عيسى بن زرعة.

٢ــ ابوالحسن العامرى النيسابورى. و ليست لنا معلومات عن هذا أيضاً، و لم يذكره اى من ابن النديم و ابن القفطى و ابن أبى اصيبعة، و انما ذكره ياقوت فى معجم الادباء.

و قال بعض الكتاب: «للعامرى كتابان احدهما فى الاخلاق باسم «السعادة و الاسعاد» و الآخر فى الفلسفة باسم «الامد الى الابد» و له كتاب آخر فى الدفاع عن الاسلام و تفوقه على سايرالاديان باسم «الاعلام بمناقب الاسلام» و كما كان يميل الى الفلسفة اليونانية كان يميل الى الفلسفة السياسية الساسانية، و كان هو من تلاميذ أبى زيد البلخى»[١٧٠].

وادّعى بعضهم أنه قد تبودلت رسائل بين العامرى وابن سينا. ولكن نحن لا نحتمل ذلك، لأن ابن سينا كان عمره حين وفاة العامرى احد عشر عاماً.

قيل: ان العامرى كان تلميذ أبى زيد البلخى. وهذا أيضاً من المستبعد، فبعيد أن يكون العامرى تلميذ البلخى بلاواسطة، لأن البلخى مات عام ٣٢٢ ومات العامرى عام ٣٨١ وعلى

١٦٩ــ بالفارسية: بيست مقاله، ص: ١٢٨ــ١٦٦.

١٧٠ــ بالفارسية: سه حكيم مسلمان.

هذا تكون الفاصلة بين الاستاذ والتلميذ ٥٩ عاماً.

٣ــ ابوالخير حسن بن سوار، المعروف بابن الخمّار. حكيم طبيب مترجم من السريانية الى العربية، الا أنه طبيب اكثر من ان يكون فيلسوفاً او مترجماً. كان تلميذ يحيى ابن عدى المنطقى السابق الذكر، وقد ربّى تلامذة كثيرين. كان نصرانياً اسلم فى أواخر عمره كما فى كتاب «نامهٔ دانشوران».

عدّه معاصره ابن النديم من الاذكياء الفطنين جداً. و يدعى صاحب كتاب «نامهٔ دانشوران» أنه عمّر طويلاً ولكنه لم يصرح بتاريخ وفاته. ويدّعى المرحوم محمد القزوينى فى كتابه «بيست مقاله» فى المقالة بشأن «صوان الحكمة ــ ج ٢ ص ١٤١» أن وفاة أبى الخير كانت فى سنة ٤٠٨ هـ.

قيل: انّ أبا على ابن سينا الذى لم يكن يعتد بمعاصريه كان يذكر أبا الخير بالخير وأنه قال فيه: «لاينبغى ان يعد ابوالخير فى عداد الآخرين. رزقنا الله لقاءه»[١٧١].

٤ــ ابوعبدالله الناتلى. هو الذى درس لديه ابن سينا فى بادئ امره قسماً من المنطق و الرياضيات، و انما اشتهر من هذا الطريق و الافلاشخصية له مستقلة. و كان الناتلى طبيباً ايضاً. فقد عدّه ابن أبى اصيبعة فى ترجمة احوال أبى الفرج بن الطيب فى عداد الأطباء المعاصرين لأبى الفرج. وقد ادّعى بعضهم أن الناتلى كان تلميذ أبى الفرج بن الطيب، مستنداً الى مقال ابن أبى اصيبعة[١٧٢] و هذا خطأ. فانّ ابن أبى اصيبعة أتى بالناتلى فى عداد معاصرى أبى الفرج لا تلاميذه، بل ان ابن أبى اصيبعة يعد أبا الفرج من معاصرى ابن سينا الذى هو بدوره تلميذ الناتلى، فكيف بالناتلى يكون تلميذ أبى الفرج؟.

الطبقة السادسة:

و هذه الطبقة يجب أن نلقبها بطبقة النوابغ، فليست اى طبقة من طبقات الفلاسفة فيها افراد اكبر و اكثر من هذه الطبقة السادسة.

١ــ ابوعلى أحمد بن محمدبن يعقوب مسكويه الرازى. كان أصله من اهل الرّى، و كان يعيش مدة مع أبى ريحان البيرونى و ابن سينا و أبى الخير و ابى سهل المسيحى و أبى نصر العراقى فى بلاط خوارزمشاه. مات فى اصفهان عام ٤٢٠ ولايعلم تاريخ ولادته و يقال انه عمّر طويلاً[١٧٣].

---

١٧١ ــ بالفارسية: نامهٔ دانشوران ج ١، ص: ٨٤.

١٧٢ ــ بالفارسية: تاريخ علوم عقلى درتمدن اسلامى، ص: ٢٠٤.

١٧٣ ــ بالفارسية: نامهٔ دانشوران ج ١، ص: ٨٣.

و نقل عن أبي حيان التوحيدى أن ابن مسكويه تتلمذ مدة لدى أبي الخير[١٧٤] و قال بعضهم ان ابن مسكويه درس عند العامرى أيضاً[١٧٥] وهذا ينافى ما جاء في «معجم الادباء» أن أبا الحسن العامرى أقام فى الرى خمسين عاماً وكان بينه و بين ابن مسكويه سداً فلم يذهب اليه[١٧٦].

و من القصص المعروفة عن ابن مسكويه: أن ابن سينا حضر مجلس ابن مسكويه و طرح اليه جوزة و قال: عيّن مساحة هذه الجوزة. فوضع ابن مسكويه كتابه فى الاخلاق «طهارة الاعراق» بين يدى ابن سينا و قال: أنت الى اصلاح أخلاقك احوج منى الى تعيين مساحة هذه الجوزة!

و كان ابوعلى ابن سينا لايعظّم احداً من معاصريه الا قليلاً ولايعتد بهم، و قال فى ابن مسكويه: طرحت عليه مسألة و كلما حاولت أن اعلّمه بها لم يفهم.

و كان ابن مسكويه هو أو أبوه مجوسياً زرداشتياً اسلم، بل قال بعضهم انه تشيع. و المسلّم به أنه كانت له ميول شيعية. و من اشهر كتبه «تجارب الامم» فى التاريخ، و «الفوز الاصغر» فى الفلسفة، و«طهارة الاعراق» فى الاخلاق.

٢ــ ابوريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى. كان من شخصيات الدرجة الاولى فى الثقافة الاسلامية. بل ادّعى بعض المستشرقين أن لا نظير له فى الاسلام. كان متخصصاً فى الرياضيات و النجوم و الهيئة و الادوية و التاريخ و الاديان. ألّف و صنّف عدداً من الكتب التحقيقية النفيسة اعجب بها العالم و الى اليوم، من قبيل: تحقيق ماللهند، الآثار الباقية، القانون المسعودى، و غيرها. ولد عام ٣٦٢ و مات فى سنة ٤٤٢. كان يتكلم بالخوارزمية (و هى لغته الأم) و الفارسية و العربية و اليونانية والسُريانية. و لكنه كان يكتب بالعربية و يراها أصلح اللغات للعلوم، و كان له بالعربية ولع خاص، حتى أنه كان يقول: لويشتمونى بالعربية احب الى من أن يثنوا علىّ بغيرها من اللغات.

لم تعرف له مشيخة سوى شخص واحد باسم أبي نصر بن على بن عراق، و الظاهر أنه هو ابونصر العراق الذى كان ببلاط خوارزمشاه السلجوقى. و كذلك لم يعرف له تلامذة ايضاً.

عمّر وعاش طويلاً (قريب الثمانين) و اوقف عمره للعلم لالغيره، و انما كان يقف عن طلب العلم والاشتغال به فى العام يومين فحسب.

١٧٤ــ بالفارسية: بيست مقاله: للقزويني ج ٢، ص: ١٤٥.

١٧٥ــ بالفارسية: سه حكيم مسلمان، ص: ٢٧.

١٧٦ــ بالفارسية: فلاسفهٔ ايرانى، ص: ١٨٢.

و تلاقى ابوريحان مع ابن سينا فى خوارزم فى حدود عام ٤٠٠ هـ . و كان ابوريحان اكبر من ابن سينا بسنين، وسأل ابن سينا عن ثماني عشرة مسألة من الفلسفة بعضها كان اشكالاً على ارسطو، وأجاب عليها ابن سينا واخشن له فى الكلام[١٧٧] ولكن يدّعى أهل التحقيق أن هذه الاسئلة طرحها البيرونى بعد رجوع ابن سينا من خوارزم. ويشير ابوريحان البيرونى فى كتاب «الآثار الباقية» الى أسئلته من ابن سينا يقول «... الفتى الفاضل».

كان البيرونى قوى الاعتقاد بالاصول الاسلامية، يذكر عن الاسلام فى كتاباته كلها كأى مؤمن واقعى، و يذكر الآيات القرآنية بالمناسبة. و كان مفارقاً للشعوبية و افكارهم و قد ابدى استنكاره لهم فى بعض كتبه[١٧٨] و يحتمل قوياً أن يكون شيعياً فى مذهبه.

٣ــ ابوعلي الحسين بن عبدالله بن سينا، اعجوبة الدهر ونادرة العصر. نحتاج فى التعرف عليه و التعريف به الى كتاب ضخم. أملى بعض اخبار حياته الى الخامسة و الثلاثين من عمره على بعض تلاميذه بطلبه، فى گرگان، و اكمل هذه الامالى تلميذه الشهير ابو عبيد الجوزجانى الى آخر حياته. و باستطاعتنا أن نقف على حياته العادية و العلمية و السياسية من هذه الامالى. كانت حياته مضطربة مليئة بالحوادث و لم تطل كثيراً، و مع ذلك فانه خلّف آثاراً علمية عجيبة، و هذا أمر عجيب.

و من العجيب أيضاً أن ابن أبى اصيبعة و ابن القفطى قد نقلا نصّ هذا التقرير عن حياة الشيخ الرئيس و لم يختلفا فى ذلك، و لكنهما اختلفا فى آخر جملة تتعلق بمدة عمره، بحيث يكون عمره على نقل ابن أبى اصيبعة ٥٤ و على نقل ابن القفطى ٥٨. و احتمل صاحب كتاب «نامهٔ دانشوران» أن يكون عمر الشيخ قد بلغ الى ٦٣ عاماً حسب بعض القرائن.

و النقطة التى ينبغى الالتفات اليها هى أن شخصية ابن سينا غطّت على سائر حكماء الاسلام من قبله، و جعلتهم تحت شعاعها. و اصبحت كتبه مدار البحث و التحقيق و الشرح و كتابة الهوامش و الحواشى عليها، سواء فى الطب او الفلسفة.

و النقطة الاخرى هى أن بغداد كانت قبل ابن سينا مركز الطب و الفلسفة، و لم يذهب ابن سينا الى بغداد، بل كان ابوه من بلخ و امه من بخارى، وقضى النصف الاول من عمره فى تلك النواحي، ثم توجه بأسباب الى خراسان و جرجان و توقف فى بعض المدن حتى طرح فى العاقبة رحل اقامته فى اصفهان و همدان، والاكثر فى همدان. فكان صيته العلمى

---

١٧٧ ــ حققت القسم الفلسفي من هذه الاسئلة بالاضافة الى سائر الأسئلة التي يحتمل كونها من البيروني وطبعت ونشرت باسم (بررسيهائى در بارهٔ ابوريحان بيرونى) في منشورات كلية الالهيات ــ المؤلف.

١٧٨ ــ راجع: (بررسيهائى در بارهٔ ابوريحان بيروني) للمؤلف، و(نظر متفكران اسلامي در بارهٔ طبيعت) للدكتور السيد حسين نصر.

يجتذب اليه طلاّب العلم و الحكمة من كل حدب و صوب، ولقد ربّى تلامذة كثيرين. ان شخصية ابن سينا في حياته وذيوع كتبه بعده ــ وقد اصبحت محور الابحاث بين أهل الفضل ــ و تواجد العدد الاكثر من المتخصصين في دراسة تلك الكتب في ايران، سبب في انتقال مركز ثقل الفلسفة و الطب من بغداد الى ايران.

٤ــ ابوالفرج ابن الطيّب العراق البغدادي (ظاهراً) الطبيب الفيلسوف، الا أنه في الطب اقوى و اشهر منه في الفلسفة، بحيث يثني على طبابته معاصره ابن سينا و هو لا يعتد به في الحكمة و الفلسفة [١٧٩] بل ان ابن سينا لم يكن يعتد بأحد من معاصريه في الفلسفة بصورة عامة و مطلقة. و قد جاء في «تتمة صوان الحكمة» أن ابن سينا كان يقول بشأن كتب أبي الفرج الفلسفية: «ينبغي أن ترد تصانيفه على البائع و يرد ثمنها ايضاً» [١٨٠] و كتب يقول: «حينما جرّ البحث بين ابن سينا و ابي ريحان البيروني الى الخشونة في الكلام و المكاتبات، و بلغ ذلك الى أبي الفرج قال: كما تدين تدان» و أما ابن القفطي فانه بعد أن ينقل كلام ابن سينا في ابي الفرج البغدادي يقول: «أما أنا و كل منصف فلا نقول الا أن أبا الفرج احيا علوم السابقين و ابدى ماخفي منها».

كان ابوالفرج مسيحياً و من تلاميذ أبي الخير، و قد استفاد من دروسه جماعة.

يقول ابن القفطي: كان حياً الى عام ٤٢٠ و قيل انه توفي في سنة ٤٣٥ هـ.

٥ــ ابوالفرج ابن هندو. كان في الطب و الحكمة تلميذاً لأبي الخير، بل من افضل و اكبر تلامذته. و كان رجلاً اديباً شاعراً متكلماً.

٦ــ ابوعلي الحسن بن الحسن (اوالحسين) بن الهيثم البصري، الفيلسوف و الطبيب و الفيزياوي و الرياضي. له شهرة عالمية في الفيزياء و الرياضيات، و هو من العوامل المؤثرة في تقدم الرياضيات في العالم. ولد عام ٣٥٤ ومات عام ٤٣٠ [١٨١] وجاء في «تتمة صوان الحكمة»: «انه صنع هندسة للاستفادة من ماء النيل حين هبوط الماء فيه، و ذهب بذلك الى الحاكم بالله الفاطمي فلم يقع منه موقع القبول بل غضب عليه، ففرمنه الى دمشق» و جاء فيه ايضاً «كان متشرعاً عابداً يعظم الشريعة» ثم يذكر اقباله على الله و توجهه اليه حين موته. و قد قضى شطراً من عمره في المغرب [١٨٢].

و يقول المرحوم السيد حسن تقي زادة في كتابه: «له مؤلفات كثيرة كأنه اشتغل بها

---

١٧٩ ــ عيون الانباء، ج ٢، ص: ٢٣٥.

١٨٠ ــ تتمة صوان الحكمة، ص: ٢٤.

١٨١ ــ بالفارسية: تاريخ علوم در تمدن اسلامي، ص: ٢٩٣.

١٨٢ ــ بالفارسية: تاريخ علوم در تمدن اسلامي، ص: ٢٩٣.

طول عمره. و يقول سارتون: انّ ابن الهيثم اكبر علماء المسلمين فى الفيزياء بل هو من اكبر ارباب هذا الفن فى طول التاريخ. و قد اثر كتابه المعروف فى «علم المناظر» تأثيراً عظيماً فى تقدم العلوم فى الشرق و الغرب، و قد استفاد منه كل من الفيلسوف الكبير روجرز بيكن و كوبلر مؤسس القوانين الحديثة لعلم النجوم. و قد قام ابن الهيثم بتحقيقات دقيقة و عالية فى قوانين النور، و الظاهر أنه هو اول من قام بتجربة (الغرفة المظلمة) فى التجارب النورية. و هو الذى حلّ المعادلات ذات الاربع درجات، و حاول أن يعيّن عمق كرة الهواء» [١٨٣]

و مع هذه الطبقة من الفلاسفة ظهر أصحاب الرتبة الاولى من الرياضيّين الكبار من قبيل أبى الوفاء البوزجانى النيسابورى و عبدالرحمن الصوفى الرازى، و أبى سهل الكوهستانى الطبرستانى و غيرهم. و لكن ينبغى ترجمة هؤلاء فى فصل خاص.

الطبقة السابعة:

هذه الطبقة فرقتان: فرقة تلامذة ابن سينا، و اخرى ليست من تلامذته. أما الفرقة الاولى:

١ــ ابوعبدالله الفقيه المعصومى. قال الشيخ الرئيس بشأنه: هو لى مثل ارسطو لافلاطون. و قد كتب الشيخ «رسالة العشق» حسب طلب تلميذه هذا و باسمه. و هوالذى توسط فى اسئلة أبى ريحان و اجوبة ابن سينا، فلما كتب ابوريحان كلماته الخشنة الى الشيخ أبى الشيخ أن يكتب اليه جواباً و أحال ذلك على تلميذه هذا، فكتب اليه هذا يلومه يقول: «لوكنت اخترت فى خطابك مع الحكيم كلمات غيرهذه لكان اولى عقلاً و علماً» [١٨٤] و يدعى البيهقى أن الفقيه المعصومى كتب كتاباً فى «المفارقات و عدد العقول و الأفلاك و ترتيب المبدعات» اصبح مورد علاقة الحكماء و لكنه مفقود الآن. و لايعلم تاريخ ولادته و وفاته، و يحتمل أن تكون وفاته فى حدود ٤٥٠ [١٨٥].

٢ــ ابوالحسن بهمنيار بن مرزبان الآذربايجانى، كان مجوسياً فاسلم. و هو من اشهر

---

١٨٣ ــ نقلا عن كتاب: «تاريخ علوم در اسلام» للمرحوم تقي زاده. ونأسف أن لم يتم طبع هذا الكتاب بصورة مستقلة. وإنما طبع في كرّاسات مسلسلة بعنوان (مقالات وبررسيها) من العدد الثاني الى الثامن. والمقاطع الاتفة من العددين السابع و الثامن، ص: ١٦٤.

١٨٤ ــ تتمة صوان الحكمة ــ المترجمة، ص: ٦٠.

١٨٥ ــ مقدمة عبدالرحمن بدوي على تعليقات ابن سينا، ص:٨.

تلامذة ابن سينا، و من عوامل شهرته اسئلته الكثيرة من شيخه و اجوبة الشيخ له، و اكثر كتاب المباحثات للشيخ اجوبة على أسئلة بهمنيار. و العامل الآخر لشهرة بهمنيار كتابه المعروف «التحصيل» الذي يذكر كثيراً في كتب الفلسفة، نقل عنه صدر المتألهين في كتابه «الاسفار» مطالب متعددة في مواضع عديدة، و موضوعين عن كتابه الآخر «البهجة و السعادة». و قد طبع كتابه «التحصيل» أخيراً ضمن منشورات كلية الإلهيات و المعارف الاسلامية. بتحقيق و تعليق. مات بهمنيار عام ٤٥٨ هـ.

٣ــ ابوعبيد عبدالواحد الجوزجاني، تلميذ و ملازم الشيخ الرئيس طوال عشرين اوخمسة و عشرين عاماً و هو الذي أكمل مذاكرات حياة الشيخ.

و كان الشيخ لايهتم بحفظ آثاره، فكان يكتب رسائل مختصرة اومطوّلة حسب مختلف المناسبات و يعطيها الى من طلبها من دون أن يستنسخ منها، و لعل اكثر مابقي من آثار الشيخ يكون من اهتمام أبي عبيد بذلك. و هو الذي اكمل قسم الرياضيات من كتاب «النجاة» و كتاب «دانشنامهٔ علائی» [١٨٦] و لم نطلع من حياة أبي عبيد على اكثر من هذا.

٤ــ ابومنصور حسين بن طاهر بن زيلة الاصفهاني. جاء في «تتمة صوان الحكمة» أنه اختصر «الشفاء» للشيخ الرئيس، و شرح رسالة حي بن يقظان، و ألف كتاباً في الموسيقى، و كان ممن لامثيل له في عصره في الموسيقى. مات عام ٤٥٠ هـ اي بعد اثنين و عشرين عاماً من وفاة استاذه. و هو ممن سأل الشيخ اسئلة اجاب عليها الشيخ، وقيل: «ان اصل كتاب «المباحثات» هو مجموعة اسئلة بهمنيار و قليل من اسئلة ابن زيلة و قليل من آخرين» [١٨٧].

و كان لابن سينا تلامذة آخرون نكف عن ذكرهم.

و أما الآخرون من هذه الطبقة من غير تلامذة الشيخ:

١ــ علي بن رضوان المصري، كان طبيباً و حكيماً. و هو ممن اشترك في الرّد على نظرية محمد بن زكريا الرازي. و كان رجلاً كريماً ولكنه كان كريه المنظر. و له كتاب في اثبات نبوة خاتم الانبياء صلى الله عليه و آله و سلم بماجاء في التوراة و الانجيل و القواعد الفلسفية، على ما جاء في كتاب «نامهٔ دانشوران». مات عام ٤٥٣. ولانعرف شيئاً عن أساتذته و تلامذته.

٢ــ ابوالحسن مختار بن حسن بن عبدان بن سعدان بن بطلان البغدادي النصراني المعروف بابن بطلان. هو تلميذ أبي الفرج بن الطيب النصراني الآنف الذكر. و كان ابن

---

١٨٦ ــ رسالة السيد حسن الأحمدي علون آبادي للسنة الاولى لدورة الدكتوراه من كلية الالهيات في طهران.

١٨٧ ــ ارسطو عند العرب: لعبد الرحمن بدوي.

بطلان كاستاذه طبيباً و فيلسوفاً الا أنه طبيب اكثر من ان يكون فيلسوفاً. و كان ينافس و يعارض على بن رضوان الآنف الذكر و كان يعيّره بقبح منظره و يلقبّه تمساح الجن [188] و سافر الى مصر و التقى به وفارقه متألماً منه. و سافر الى حلب والقسطنطينية. وكان اعزب حتى مات سنة ٤٤٤.

٣ــ ابوالحسن الانبارى. لم نعرف شيئاً عن احواله، الا أنا نعلم انه ــ كما جاء فى «تتمة صوان الحكمة» [189] ــ كان فيلسوفاً رياضياً، و كان رياضياً أكثر من أن يكون فيلسوفاً، و أن الحكيم عمرالخيّام درس الرياضيات لديه.

الطبقة الثامنة:

هذه الطبقة هم من طبقة تلامذة تلامذة ابن سينا، اعم من أن يكونوا من تلامذة تلامذته او معاصرين لهم، و هم:

١ــ ابوالعباس فضل بن محمد اللوكرى المروى، كان فيلسوفاً وأديباً، و قدبعبّرعنه بالاديب أبى العباس اللوكرى، كان من تلامذة بهمنيار، له كتاب معروف باسم «بيان الحق بضمان الصدق» لم يطبع بعد و ان كانت نسخه متوفرة، و كان مورد عناية الفلاسفة بعده. و جاء ذكره فى قسم الالهيات من كتاب الاسفار. عرف بتربية طبقة من التلاميذ، و قال البيهقى فى «تتمة صوان الحكمة»: «انتشرت الفلسفة على يديه فى خراسان».

يقول الاستاذ محمود محمد الخضيرى من أساتذة الجامع الازهر فى مقال له طبع بمناسبة الذكرى الألفية لابن سينا فى بغداد فى «الكتاب الذهبى للمهرجان الالفى لابن سينا ص ٥٥»: «عمّر ابوالعباس طويلاً، ولم اجد تاريخ وفاته الا أنى أظن انه توفى فى اواخر القرن الخامس الهجرى».

والاستاذ عبدالرحمن البدوى فى مقدمة كتاب «التعلقيات لابن سينا ص ٨» ينقل عن بروكلمن انه ذكروفاة اللوكرى فى عام ٥١٧، اي اوائل القرن السادس الهجرى. و يقول الاستاذ البدوى: لا أدرى من أين اخذه بروكلمن.

٢ــ ابوالحسن سعيدبن هبة الله بن الحسين. يقول ابن أبى اصيبعة: كان ممتازاً في الطب و فاضلاً فى الحكمة. كان من تلامذة أبى الفضل كثيفات و عبدان الكاتب [190] و هما من

---

١٨٨ ــ عيون الانباء، ج ٢، ص: ٢٤٠.

١٨٩ ــ تتمة صوان الحكمة.

١٩٠ ــ عيون الأنباء، ج ٢، ص: ٢٥٩.

تلامذة أبي الفرج ابن الطيب السابق الذكر[191] و كان لايسمح للمسيحيين واليهود أن يدخلوا في زمرة تلامذته و يحضروا درسه، و كان ابو البركات اليهودي البغدادي صاحب الكتاب المعروف بـ «المعتبر» يحتال للاستفادة من درسه فيجلس عند عتبة الباب يصغي الى أبي الحسن سنة كاملة، فلما اطلع على ذلك ابوالحسن بعد عام ترحم عليه وسمح له بالحضور.

يقول ابن أبي اصيبعة: قرأ أبوالبركات كتاب «التلخيص النظامي» من تأليف نفس الشيخ عنده. ولا أدري هل هو في الطب أم الفلسفة. مات سعيد سنة ٤٩٥ هـ.

٣ــ حجة الحق ابوالفتح عمر بن ابراهيم الخيامي النيسابوري المعروف بالخيّام. الفيلسوف والرياضي الكبير ويحتمل أن يكون شاعراً أيضاً، وله شهرة عالمية، الا أن شهرته ــ مع الأسف ــ بالشعر المنسوب اليه لابالفلسفة و الرياضيات للتين هما فضله الواقعي. ان هذا الشعر المنسوب اليه الذي اكثره ليس منه على الاقل قد صوره بصورة مختلفة عن صورته الواقعية، صورة انسان مشكك فارغ يغتنم الفرص للشهوات ولايحس بأية مسؤولية. و انّ ترجمة الشاعر الانجليزي فيتر جرالد لرباعيات الخيام (و مع تغيير و تحريف كما يقول تقي زاده) بلغة فصيحة هي التي سبّبت هذه الشهرة الكاذبة.

اثرت عن الخيّام رسائل فلسفية توضّح لنا اسلوبه الفكري الفلسفي، إحداها رسالة بعنوان «الكون والتكليف» في جواب سؤال أبي نصر محمد بن عبدالرحيم النسوي قاضي نواحي فارس، كان قد سأله عن حكمة الخلقة و الغرض منها و فلسفة العبادات، و كان قد مدحه بأبيات من الشعر بالعربية لم يبق منها سوى هذه الابيات الاربعة:

ان كنت ترعين يا ريح الصبا ذمي ... فاقري السلام على العلامة الخيمي
بوسي لديه تراب الارض خاضعة ... خضوع من يجتدي جدوى من الحكم
فهو الحكيم الذي تسقى سحائبه ... ماء الحياة رفات الاعظم الرمم
عن حكمة الكون و التكليف يأت بما ... تغني براهينه عن أن يقال: لِمِ

و قد أجاب الخيام على هذا السؤال اجابة حكيم على مباني شيخه ابن سينا (او شيخ شيخه) و كل من يحيط علماً بالمباني الفلسفية لابن سينا يعرف مدى احاطة الخيام بها. و يذكره الخيام بعنوان «المعلم» و اجاب أيضاً على «سر التضاد في العالم» و «مسألة الشرور» كفيلسوف قطعي و يقول: «لقد حقّقت أنا و شيخي ابن سينا و قد اقتنعنا بوجهة النظر هذه تماماً، و قد يحمل هذا الآخرون على ضعف نفوسنا، الا أنها بنظرنا مقنعة تماماً».

و قد طبعت هذه الرسالة مع رسائل اخرى في روسيه، و طبعت قبل ذلك في مصر ضمن مجموعة باسم «جامع البدايع». و قد ادعى الناشر الروسي أن الناشر المصري أخطأ

---

١٩١ ــ عيون الانباء ج ٢، ص: ٢٣٦.

اذجعل رسالة «التضاد» رسالة مستقلة فى حين هى تكملة رسالة الكون و التكليف و جزء منها.

و ما يبديه الخيام فى هذه الرسالة بصورة جزمية هو مضمون ما نسب اليه من الأبيات التى تبدى التحير و التردد فى فلسفة الكون و التكليف. و لهذا فقد نفى بعض المحققين الايرانيين و الاوروبيين صحة نسبة هذه الابيات اليه، و قد رأى البعض بالاستناد الى بعض القرائن أن هناك شخصين معاصرين اومتقاربين، احدهما شاعر والآخر حكيم فيلسوف، كان الشاعر يلقب بالخيام، و كان الحكيم و الرياضى يلقب بالخيّامى. و راى البعض[١٩٢] أن الشاعر هو على الخيام و الحكيم الرياضى عمر الخيامى.

و لايصح ما ادّعاه البعض أن الخيامى هو اللفظ العربى للخيام النيسابورى[١٩٣] اذ يقول هو فى مقدمة رسالته الفارسية فى الوجود: «هكذا يقول ابوالفتح عمر ابراهيم الخيامى»[١٩٤]

و لعل من المسلّم به أنه كان يمازح و يزاحم المتعبدين القشريين بكلماته تلك، و هذا الأمر هو الذى احدث له هذه الضجة والزحمة، مع كمال ايمانه و اعتقاده بمباني الدين كما يظهر ذلك من جميع كتبه حتى نوروزنامة المنسوب اليه. شأنه فى ذلك شأن اكثر العلماء مثله.

كتب البيهقى بشأنه أنه كان يتلوتلو ابن سينا فى العلم الا أنه كان فى خلقه ضيق، و له ضنة فى التعليم و التصنيف... دخل يوماً الى حضرة شهاب الاسلام الوزير عبدالرزاق بن الفقيه و كان لديه امام القراء ابوالحسين الغزالى، فتباحثوا حول اختلاف القراء فى آية، فلما حضر الامام (الخيام) قال شهاب الاسلام: على الخبير سقطنا... فبين الخيام وجوه اختلاف القراء و ذكر لكل وجه علة و سبباً. فقال الامام ابوالفخر: كثر الله مثلك فى العلماء[١٩٥].

لايعلم تاريخ ولادته، و قيل ان تاريخ وفاته عام ٥١٧ او ٥٢٦، و المقطوع أنه عاش طويلاً يقرب من تسعين عاماً[١٩٦] و لكنه بعيد أن يكون قد ادرك دروس ابن سينا، فلوكان يعبر الخيام عن ابن سينا بالمعلم فانما هو بلحاظ أنه من تلامذة مدرسته لانفسه، و الظاهر أنه كان قد درس على تلامذة الشيخ.

٤ــ ابوحامد محمدبن محمد بن محمدبن أحمد، الغزالى الطوسى. و ان كان عدّه فى

---

١٩٢ ــ راجع البحث التحقيقي للسيد محمد محيط الطباطبائي في مجلة (گوهر) السنة الاولى. العدد: ٦.

١٩٣ ــ علي اصغر الحلبي في كتابه: فلاسفة ايراني، ص: ٤٠٨.

١٩٤ ــ مجموعة رسائل الخيام الطبعة الروسية.

١٩٥ ــ ترجمة تتمة صوان الحكمة، ص: ٧١ــ ٧٢.

١٩٦ ــ «مقالات و بررسيها» بالفارسية. العددان: الخامس والسادس، ص ٢٤٢.

عداد الفلاسفة ــ بالمعنى المصطلح ــ ليس صحيحاً. فهو لا يعد نفسه فيلسوفاً بل يخالف الفلسفة و الفلاسفة و لاسيما ابن سينا، ولم يدرس الفلسفة على شيخ بل تفرغ لمطالعة الفلسفة ثلاث سنين ثم كتب كتابه الشهير «مقاصد الفلاسفة» و بعده كتابه الآخر «تهافت الفلاسفة» الذى هو من الكتب المهمة فى العهد الاسلامى.

كان الذين يضادون الفلسفة كثيرين فى العالم الاسلامى الا أنه ما كان احدهم من القدرة العلمية بمكانة الغزالى، ولو لم يظهر بعده بقليل علماء فلاسفة كالسهروردى و الخواجة نصير الدين الطوسى لكان الغزالى يلف الفلسفة بستار الاهمال و النسيان و الضياع [١٩٧].

و لكن بما أن نظريـاته السلبية و الموجبة احياناً كان لها دور كبير فى تطور الفلسفة لذلك ذكرناه فى عداد الفلاسفة.

اشهر كتاب له كتاب «احياء علوم الدين» و هو من جملة الكتب المعدودة التى اثرت فى المسلمين.

ولد الغزالى عام ٤٥٠ وتوفى فى ٥٠٥ هـ و له تاريخ معروف.

و ينبغى أن يذكر فى هذه الطبقة محمد الشهرستانى وابوحاتم مظفر الاسفرازى و ميمون بن نجيب الواسطى. الا أن الاول متكلم اكثر من أن يكون فيلسوفاً والثاني و الثالث رياضيان اكثر من أن يكونا فيلسوفين.

الطبقة التاسعة:

١ــ شرف الدين محمد الايلاقى، تلميذ أبى العباس اللوكرى و عمر الخيام. كان فيلسوفاً طبيباً، قيل انه قتل فى حرب قطوان فى سنة ٥٣٦، [١٩٨] وقد عده بعضهم تلميذ بهمنيار و بالنظر الى تاريخ وفاتهما يتضح فساد هذه النظرية. و هو استاذ القاضى زين الدين عمر بن سهلان الساوجى صاحب كتاب «البصائر النصيرية». مات الايلاقى عام ٥٣٦ هـ.

٢ــ ابوالبركات هبة الله بن على (او يعلى) ملكا البغدادى. كان يهودياً فاسلم، و

---

١٩٧ ــ للاطلاع على فكر وتاريخ الغزالي راجع كتاب (غزالى نامه) للاستاذ جلال همائي وكتاب (فرار از مدرسه) للدكتور عبدالحسين زرين كوب استاذ جامعة طهران.

١٩٨ ــ كراسة الاستاذ أحمدي نقلا عن النص العربي لصوان الحكمة. والترجمة الفارسية ناقصة هنا، وهي ناقصة بصورة عامه، بل هي تلخيص وليست ترجمة كاملة.

اختلفوا فی سبب اسلامه، و قد ذکرنا تتلمذه علی هبة الله بن سعید، کتابه المعروف «المعتبر» و حقاً انه من الکتب المعتبرة فی الفلسفة. کان ابوالبرکات فیلسوفاً صاحب نظر، و کان أمثال صدر المتألهین یعتنون بکتابه. کان مخالفاً فی فلسفته مع مدرسة ابن سینا. تصل سلسلة أساتیذه الی الفارابی مباشرة، اذ هو تلمیذ سعید بن هبة الله و هو تلمیذ أبی الفضل کثیفات و عبدان الکاتب و هما تلمیذا أبی الفرج ابن الطیب و هو تلمیذ أبی الخیر حسن بن سوار وهو تلمیذ یحیی بن عدی المنطق و هو تلمیذ أبی نصر الفارابی. اکثر آحاد سلسلة أساتیذه غیر مسلمین. قیل: قیل للحکیم عمرالخیام: ان أبا البرکات البغدادی یرد ابن سینا قال: انه لایفهم مایقول ابن سینا فضلاً عن أن یرده.[۱۹۹].

کان شیخ والد عبداللطیف البغدادی ــ صاحب الاشاعة الشهیرة بشأن احراق المسلمین الفاتحین لمکتبة الاسکندریة ــ وابن الفضلان وابن الدهان المنجم ومهذب الدین النقاش وقد عمی فی آخر عمره فکان یملی علی تلامذته هؤلاء[۲۰۰].

۳ــ محمد بن أبی طاهر الطبسی المروزی تلمیذ اللوکری. کانت امه من أهل خوارزم و ابوه من حکام بعض اقسام مرو. ما ت فی سرخس بعد مرض الفالج عام ۵۳۹ هـ[۲۰۱].

٤ــ افضل الدین الغیلانی عمر بن غیلان، کان من تلامذة اللوکری، لیس بایدینا ترجمة صحیحة. الا أن من المعلوم أنه کان من تلامذة اللوکری و هو شیخ صدرالدین السرخسی، و فقاً لما نقله محمود محمد الخضیری. و قد ذکره الامام فخر الدین الرازی المتوفی فی ٦٠٦ فی کتاب (المحصل) و ترحم علیه[۲۰۲]. قیل ان افکاره کانت تخالف افکار ابن سینا. کتب رسالة فی حدوث العالم و کان عام ۵۲۳ مشتغلاً بالتحصیل فی المدرسة النظامیة فی مرو.

۵ــ ابوبکر محمد بن یحیی بن الصائغ الاندلسی المعروف بابن باجة، کان من اعاظم الفلاسفة. الف کتباً کثیرة فی الفلسفة. وقد طبعت اخیراً رسالة فی «النفس» بسعی الدکتور محمد صغیر حسن معصومی استاذ جامعة داکا (فی پاکستان الشرقیة). مات عام ۵۳۳. کان شیخ ابن رشد الفیلسوف الاندلسی المعروف[۲۰۳].

٦ــ ابوالحکم المغربی الاندلسی، کان شاعراً حکیماً طبیباً، الا أنه کان شاعراً اکثر

۱۹۹ــ بالفارسیة: «تاریخ علوم عقلی در اسلام» نقلا عن النص العربی من تتمة صوان الحکمة، ص: ۱۱۰ــ ۱۱۱.

۲۰۰ــ عیون الانباء ج ۲، ص: ۲۹۸ــ ۲۹۹.

۲۰۱ــ کراسة الاستاذ الأحمدي نقلا عن النص العربي من تتمة صوان الحکمة.

۲۰۲ــ المهرجان الالفي لذکری ابن سینا، ص: ۵٦.

۲۰۳ــ عیون الأنباء، ج ۲، ص: ۱۰۲.

من الفلسفة و الطب، و كان هازلاً اكثر من الجد، كان عربياً باهلياً انتقل من المغرب الى الشرق فعاش فى حدود مصر و الشام و مات عام ٥٤٩ هـ . كان شيخ ابن الصلاح و هو شيخ استاذ شهاب الدين السهروردى.

الطبقة العاشرة:

١ــ صدرالدين ابو على محمد بن على بن الحارثان السرخسى، كان تلميذ افضل الدين الغيلانى و استاذ فريد الدين داماد، و شيخ استاذ الخواجة نصيرالدين الطوسى. ليس لدينا كثير اطلاع عنه، ذكره مختصراً فى تتمة صوان الحكمة. وقد نقل محمود محمد الخضيرى عن صاحب «خريدة القصر» أنه كان قد الف كتباً كثيرة فى الفلسفة و المساحة و الحساب، و كان مقيماً مدة فى بغداد و لاقاه ابومنصور الجواليقى المتوفى ٥٣٩ و رجع من بغداد الى سرخس. وتوفى فى عام ٥٤٥ و لعله كان شاباً [٢٠٤].

٢ــ ابوبكر محمد بن عبدالملك بن طفيل الاندلسى، من حكماء الاندلس المعروفين كان تلميذ ابن الصائغ حسب الظاهر، اكثر شهرته بكتابه المعروف «حى بن يقظان» الذى اقتبسه من رسالة (حى بن يقظان) لابن سينا الا أن كتاب ابن طفيل اكمل و اشمل. ترجم هذا الكتاب المرحوم بديع الزمان فروزان فر وطبعه و نشره (بنگاه ترجمه و نشر كتاب) عمّر طويلاً و مات عام ٥٨١ هـ .

٣ــ القاضى ابوالوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الاندلسى، كان فيلسوفاً و طبيباً وفقيهاً، وله كتب متعددة فى جميع هذه الفروع المختلفة. كتابه المعروف هو شرحٌ كتبه على كتاب «مابعد الطبيعة» لارسطو، و هو مطبوع. و كتابه الفقهى المعروف هو «بداية المجتهد» مطبوع أيضاً. وقد طبعت مجموعة رسائله الفلسفية فى بمبى. يعترف له الاورپيون بمقام فى الفلسفة فى حد ابن سينا، بينما لاقيمة لآرائه بين الفلاسفة المسلمين. احد كتبه المعروفة هو «تهافت التهافت» ردّ فيه على تهافت الفلاسفة للغزالى، و هو كتاب لاقيمة له. يتعصب لارسطو كثيراً و هو لذلك يخالف ابن سينا الذى لايتعصب لارسطو كثيراً بل يدلى بآرائه امام آراء ابن سينا. و قد عمل الفيلسوف الفرنسى المعروف ارنست رونان ــ الذى كان يعارض المرحوم السيد جمال الدين الاسدآبادى اعمالاً كثيرة بصدد التعريف بابن رشد. مات

٢٠٤ــ الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لذكرى ابن سينا، ص: ٥٧.

ابن رشد عام ٥٩٥ هـ .

٤ــ مجد الدين الجيلي، ليست بايدينا عنه معلومات كثيرة، الا أنا نعلم أنه كان يدرس فى مراغة، و أن من جملة الذين درسوا عنده هو الامام فخرالدين الرازى [٢٠٥] و كذلك درس لديه الشيخ شهاب الدين السهروردى فى مراغة اول امره [٢٠٦] كان حكيماً متكلماً و فقيهاً اصولياً. يصفه ياقوت الحموى فى «معجم الادباء» ضمن ترجمة الشيخ السهروردى بالفقيه والاصولى المتكلم [٢٠٧].

٥ــ القاضى زين الدين عمر بن سهلان الساوجى المعروف بابن سهلان . ولد فى ساوة، وكان يعيش فى نيسابور عن طريق استنساخ الكتب للناس، عبّر عنه «صوان الحكمة» أنه «نظّم الحكمة و الشريعة فى عقد واحد». كان تلميذ شرف الدين الايلاقى الآنف الذكر [٢٠٨] قيل انه كتب شرحاً على رسالة «الطير» لابن سينا [٢٠٩]. كتابه المعروف «البصائر النصيرية» الذى طبع قسم المنطق منه فى مصر و هو من أحسن كتب المنطق. احترقت جميع كتبه ماعدا كتابه «البصائر» فى حريق كما جاء فى «تتمه صوان الحكمة». ان ابن سهلان من اولئك النفر الذين يتمتعون بذكرٍ نابضٍ فى الفلسفة الاسلامية، فقد ذكر آراءه فيها [٢١٠] ولا يعلم تاريخ وفاته.

٦ــ ابوالفتوح نجم الدين احمد بن محمد السرى المعروف بابن الصلاح، قيل: ان اصله من همذان (المدينة الايرانية) و قيل: بل هو عراقى من أهل سميساط (فى حدود حلوان قرب الفرات) هاجر الى بغداد و درس لدى أبى الحكم المغربى السابق الذكر، وتوفى فى سنة ٥٤٨ اى قبل عام من وفاة شيخه [٢١١] ولا يعرف له تاريخ ولادة. و يمكن ان يعد من الطبقة التاسعة. كان شيخه ابوالحكم المغربى يعترف بفضله عليه. قيل انه شرح الشفا لابن سينا و الفوز الاصغر لابن مسكويه [٢١٢].

٧ــ محمد بن عبدالسلام الانصارى الماردى (الماردينى) كان يعد وحيد زمانه فى علوم الحكمة بل علامة أوحدياً [٢١٣] ولد فى فلسطين اوالقدس منه بالذات و آباؤه كانوا يعيشون بها و

---

٢٠٥ ــ عيون الانباء ج ٣، ص: ٣٤.

٢٠٦، ٢٠٧ ــ معجم الادباء ج ٧، ص: ٢٦٩.

٢٠٨ ــ رسالة الاستاذ أحمدي نقلا عن النص العربي لتتمة صوان الحكمة، ص: ١٢٧.

٢٠٩ ــ تاريخ علوم عقلى در اسلام. بالفارسية، ص ٢٢٩.

٢١٠ ــ راجع: الاسفار ــ مبحث الجواهر والاعراض.

٢١١ ــ نامهٔ دانشوران، ج ١، ص: ٢٥١ ــ ٢٦٠.

٢١٢ ــ ريحانة الادب ج ٨، ص: ٦٨.

٢١٣ ــ عيون الأنباء ج ٢، ص: ٣٢٨.

الظاهر أن جده الاعلى كان من الانصار. كان شيخه فى الفلسفة ابن الصلاح الآنف الذكر، شرح القصيدة العينية المعروفة لابن سينا [٢١٤] و درس لديه الشيخ شهاب الدين السهروردى شيئاً من الفلسفة [٢١٥] كان متعبداً متشرعا للغاية. مات بروح دينية بل روحانية خاصة عن عمر يناهز الثمانين عاماً سنة ٥٩٤ [٢١٦].

الطبقة الحادية عشرة:

١ــ فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى المعروف بالامام فخرالدين الرازى، كان فقيهاً متكلماً فيلسوفاً مفسراً خطيباً طبيباً و كان ذا ذهنية و قادة، قليل النظير فى تبحره فى مختلف الفنون و العلوم. اسلوب تفكيره كلامى اكثر منه فلسفي مع علمه بالفلسفة و تاليفه الكتب القيمة فيها، بل له حملات على الفلاسفة و تشكيك حتى فى مسلّمات المسائل الفلسفية. كان حسن السليقة فى تنظيم و تبويب و تقرير المسائل. افاد منه المولى صدرالدين الشيرازى كثيراً. أهم كتبه الفلسفية «المباحث المشرقية». و اكثر شهرته بكتابه «مفاتيح الغيب» فى تفسير القرآن الكريم الذى فتح له مقاماً لائقاً بين كتب التفسير. لانعرف له شيخاً فى الفلسفة سوى الشيخ مجدالدين الجيلى الآنف الذكر، و لعله اطلع على اكثر مسائل الفلسفة مطالعة لادراسة. له تلامذة كثيرون. ابرزهم شمس الدين الخسروشاهى و قطب الدين المصرى و زين الدين الكشى و شمس الدين الخوئى و شهاب الدين النيسابورى.

ولد الفخر الرازى فى سنة ٥٣٤ و مات عام ٦٠٦ هـ [٢١٧].

٢ــ الشيخ شهاب الدين يحيى بن حبش بن ميرك السهروردى الزنجانى المعروف بشيخ الاشراق، لاريب انه كان من اعاجيب زمانه. له ذهنية وقادة مبتكرة، ان الاتجاه الى الاشراق فى الفلسفة كان موجوداً قبله حتى لدى الفارابى و ابن سينا الا أن هذا الرجل العظيم هو الذى أسسّ مدرسة الاشراق و أبان طرقها فى كثير من المسائل و وضّح الفرق بينها و بين مدرسة المشائين. انّ جميع المسائل الفلسفية ــ تقريباً ــ التى تعرف اليوم بعنوان أنها من نظريات الاشراقيين فى قبال المشائين التى يظن البعض أنها من مسائل الخلاف بين افلاطون و ارسطو، انها من نتائج أفكار السهروردى نفسه، جاء يقابل بها افكار المشائين ولاسيما

٢١٤ــ عيون الانباء ج ٢، ص: ٣٢٧.

٢١٥ــ تاريخ الحكماء لابن القفطي، ص: ٢٩٠.

٢١٦ــ عيون الانباء ج ٢، ص: ٣٢٨.

٢١٧ــ عيون الانباء ج ٣، ص: ٣٤ــ ٤٥ و تاريخ الحكماء لابن القفطي، ص: ٢٩١ــ ٢٩٣.

المسلمين منهم. تتلمذ لدى مجدالدين الجيلي في (مراغة) وظهيرالدين القاري (في اصفهان ــ ظاهراً) وفخرالدين الماردیني (في العراق) ولازمه مدة. وكان الماردیني يقول: لم أرمثله في الذهن والذكاء وحدّة النظر وأخاف عليه من ذلک [٢١٨]. وقيل انه درس (البصائر النصيرية) لابن سهلان لدى ظهيرالدين القاري.

إنّ السهروردي كان نابغاً في سائر العلوم أيضاً ومنها في الفقه، رحل الى حلب والشام وشارک في دروس الفقه في المدرسة الحلاوية بحلب لدى الشيخ افتخار الدين، فبان تفوقه واصبح مقرّباً لدى شيخه، وقربه صيته من الملک الظاهر بن صلاح الدين الايوبي، وكان يناظر لديه الفقهاء والمتكلمين فيغلب عليهم، فحسده ناس وسعوا فيه الى صلاح الدين فأمر ابنه بقتله، فقتله عام ٥٨٦ او ٥٨٧ وله ستة وثلاثون [٢١٩] اوثمانية وثلاثون عاماً [٢٢٠].

قالوا انه كان معاصراً بل تربا لفخرالدين الرازي بل مشتركاً معه في كثير من دروسه، ولما أعطى الفخر الرازي بعد موته نسخة من كتابه (التلويحات) قبّله واسبل دمعه لذكرى أيام مشاركته إيّاه في دروسه [٢٢١].

لم يكن السهروردي يمانع او يتحفظ من مناظرة الفقهاء والمتكلمين بل كان حتى في اسرار الحكمة لايعمل بما اوصى به ابن سينا في آخر (الاشارات) من التحفظ وعدم اظهارها للجميع، ولعل ذلک لشبابه. ومن هنا كان الواعون يظنون أنه سيلاقي حتفه. ولما بلغ نعيه الى شيخه فخرالدين الماردیني قال: وقع ما كنت أخافه عليه. ولهذا كان يقال فيه: ان علم شهاب الدين اكثر من عقله!.

٣ــ افضل الدين المرقي الكاشاني المعروف بلقب (بابا افضل). له شخصية بارزة ولكنه ليس بايدينا تاريخ واضح عنه، له كتب كثيرة بالفارسية والعربية طبع لها فهرس [٢٢٢] قيل انه كان خال الخواجة نصيرالدين الطوسي، ولكنه بعيد جداً.

جاء في (دائرة المعارف) الفارسية ــ من منشورات فرانكلين ــ «بابا افضل، شهرته افضل الدين، محمدبن حسين الكاشاني، الشاعر والعارف الايراني. قيل انه ولد في حدود ٥٨٢ او ٥٩٢ في قرية (مرق) من قرىٰ كاشان وتوفي بعد عام ٦٥٤ او ٦٦٤ هـ وقيل في اوائل القرن السابع. كان من اصحاب نصيرالدين المقربين» وجاء في (لغت نامه) وهكذا في

---

٢١٨ ــ معجم الادباء ج٧، ص: ٢٦٩.

٢١٩ ــ وفيات الاعيان، ج٥، ص: ٣١٦.

٢٢٠ ــ عيون الانباء، ج٣، ص: ٢٧٤.

٢٢١ ــ بالفارسية: سه حكيم مسلمان، ص: ٧٦.

٢٢٢ ــ بالفارسية: «فهرست مصنفات أفضل الدين الكاشاني» للدكتور يحيى مهدوي ومجتبى مينوي.

(غزالی نامه)[223] أن وفاته كانت عام ٧٠٧ هـ وقيل بل كانت عام ٦٠٦ وقيل بل كانت فی سنة ٦٦٧ هـ.

وقد نقل الاستاذ محمود الخضيری فی مقال له فی كتاب (دعوة التقريب) بعنوان «افضل الدين الكاشانی فيلسوف مغمور» عن نسخة مخطوطة من كتاب «مختصر فی ذكر الحكماء اليونانيين و الملّيين» من مكتبة اسكوريال اسپانا: أن وفاة بابا افضل كانت فی سنة ٦١٠ هـ[224].

وقد استدل فی كتاب (فلاسفهٔ ايرانی) بترحم الخواجه فی (شرح اشارات) الشيخ الرئيس ابن سينا عليه بقوله «رحمه الله» حيث أن تاليف (شرح الاشارات) كان فيما بين اعوام ٦٢٤ الى ٦٤٤هـ.[225] علی أن وفاة افضل الدين كانت قبل ٦٦٧ هـ ومع الاستفادة لذلک جاء فی مقال الخضيری ومقدمة الاستاذ المرحوم النفيسي.

وقد نقل الاستاذ محمد المدرسی الزنجانی فی كتابه عن حياة الخواجة نصيرالدين الطوسی[226] عن كتاب الخواجة فی السير والسلوک الی الله أنه كتب يقول: «ان أبی كان يرغبنی فی تحصيل فنون العلم و الاستماع الی كلام أرباب المذاهب و المقالات، حتی اتفق أن مرّ بديارنا رجل من تلامذة افضل الدين الكاشانی رحمه الله تعالی يقال له كمال الدين محمد الحاسب، و كان له تقدم فی انواع الحكمة و لاسيما الرياضيات، و كان له سابق صداقة و معرفةمع والدی، فأشار علیّ والدی بالاستفادة منه و التردد لديه والحضور بخدمته،فاشتغلت انا لديه بتعلم فنون الرياضيات».

ويتضح من هذا المقال أن الخواجة نصيرالدين كان تلميذ تلميذ افضل الدين وأنه لم يكن افضل الدين من اصحاب الخواجة نصيرالدين كما جاء فی دائرة المعارف الفارسية، بل كان فی طبقة أساتذة اساتذة الخواجة. وعلی هذا فلو حسبنا أن وفاة افضل الدين كانت فی سنة ٦٠٦ او ٦١٠ هـ او قريباً منها كان اقرب احتمالاً مماجاء فی (لغت نامه) او (غزالی نامه) و أن ميلاده لم يكن فی اواخر القرن السادس كما جاء فی مقدمة الاستاذ سعيد النفيسي لرباعيات بابا أفضل، وفی (تاريخ أدبيات ايران) للدكتور ذبيح الله صفا، بل كان فی اواسط هذا القرن.

وقد نقلوا عن الخواجة نصيرالدين بيتين فی مدح أفضل الدين بالفارسية معناهما: لو

---

٢٢٣ ــ بالفارسية: غزالی نامه، ص: ١٠٦ ط ٢.

٢٢٤ ــ دعوة التقريب، ص: ١٨٥.

٢٢٥ ــ قال في روضات الجنات: «إن شرح الاشارات تم عام ٦٤٠ هـ».

٢٢٦ ــ بالفارسية: سرگذشت وعقائد فلسفی خواجه نصيرالدين طوسی.

عرض الفلک الاعلی فضل الفضلاء و فضل افضل الدین، لترک الملائکة تسبیحهم ونادوا: ان أفضل الدین هوالافضل!

الطبقة الثانية عشرة:

١ــ فريد الدين داماد النيسابوری. ليس بايدينا تاريخ واضح عن هذا الرجل، الا أنا نعلم أنه كان من شيوخ الخواجة نصيرالدين الطوسی، و أن الخواجة درس الاشارات على هذا الرجل[٢٢٧] و كان فريد الدين من تلامذة صدرالدين السرخسی الآنف الذكر. و الخواجة يتصل من طريق فريد الدين فی سلسلة أساتذته بابن سينا، هكذا: الخواجة لدی فريدالدين لدی صدرالدين لدی افضل الدين الغيلانی لدی أبی العباس اللوكری لدی بهمنيار لدی شيخه ابن سينا. و لايعلم عام وفاته.

٢ــ شمس الدين عبدالحميد بن عيسی خسروشاهی المعروف بلقبه: لشمس الدين الخسروشاهی، يذكره ابن أبی اصيبعة بعنوان: امام العلماء سيد الحكماء قدوة الأنام شرف الاسلام[٢٢٨] كان بارزاً فی الطب و الفلسفة و العلوم الشرعية وكان من ابرز تلامذة فخرالدين الرازی. لخص (كتاب الشفاء) الا أن شهرته فی محيط الفلسفة انما هی بعدة اجوبة فلسفية سألها منه الخواجة نصيرالدين الطوسی و وردت فی كتب الفلسفة[٢٢٩].

٣ــ قطب الدين ابراهيم بن علی بن محمد السلمی المعروف بقطب الدين المصری. كان هذا أيضاً من بارزی تلامذة فخرالدين الرازی، يقول ابن أبی اصيبعة: ان اصله كان من بلاد المغرب و انتقل الی مصر و أقام مدة بهاثم سافر الی ايران فدرس لدی فخرالدين الرازی، كان يفضل شيخه فخرالدين علی ابن سينا فی الفلسفة و أبا سهل المسيحی علی ابن سينا فی الطب. قتل فی نيسابور فی حملة المغول[٢٣٠] و كان هذا من شيوخ الخواجة ايضاً[٢٣١] و علی هذا يكون الخواجة تلميذ تلميذ فخرالدين الرازی.

---

٢٢٧ ــ روضات الجنات، ص: ٥٨٢.

٢٢٨ ــ عيون الانباء ج٣، ص: ٢٨٣.

٢٢٩ ــ كما في الأسفار: ج٤ ط حجرية، ص: ٩٥، وفي تعليقة صدرالمتألهين على الشفاء، ص: ١٧٠، ولم يرها كافية فألف رسالة مستقلة في جواب هذه الأسئلة طبعت في هامش كتابيه (المبدأ والمعاد) و (شرح الهداية).

٢٣٠ ــ عيون الانباء، ج٣، ص: ٤٥ ــ ٤٦.

٢٣١ ــ ريحانة الأدب، ج٢، ص: ١٧٧.

٤ــ كمال الدين يونس (او ــ ابن يونس) الموصلي المعروف بابن منعة، عبرعنه معاصره ابن أبي اصيبعة بقوله: قدوة العلماء و سيد الحكماء [٢٣٢].

كان مشتغلاً في مدرسة الموصل بتدريس علوم الفلسفة و له فيها تلامذة، و قد درس لديه الخواجة أيضاً كما جاء في (ريحانة الادب)[٢٣٣] فقد قال فيه: «كان من اكابر الحكماء من علماء العامة. كان وحيد عصره في النحو و الصرف و الفقه والحديث و التفسير و الطب و التاريخ و الموسيقى و الهندسة و الحكمة والهيئة، اشتهر شهرة فائقة في فترة قصيرة و اصبح مرجعاً لاستفادة الفضلاء، فقد كانوا يحضرون حوزة درسه من البلدان البعيدة... مات عام ٦٣٩» هـ .

الطبقة الثالثة عشرة:

١ــ الخواجة نصيرالدين محمد بن الحسن الطوسي، لقبوه: استاذ البشر، ولاحاجة الى التعريف به، ان تثمين اعماله الفلسفية و دوره في تحول الفلسفة بحاجة الى كتاب خاص. يعد في الرياضيات من القلة المعدودين في تاريخ العالم، شكك في أساس الهيئة البطليموسية و اعد الافكار للهيئة الجديدة، فقد ادعى تقي زاده أن ايرادات الخواجة في كتابه (التذكرة) على أساس هيئة بطليموس اعدّ لاقتراحات كوبرنيك في الهيئة الجديدة للعالم [٢٣٤].

كان للخواجة حياة صاخبة كابن سينا، و قد ابدى شكواه من حياته في آخر اشاراته بصورة مؤلمة، و مع ذلك فقد ألّف كثرة من الآثار و ربّى عدداً كبيراً من التلامذة. ولد عام ٥٩٧ و مات عام ٦٧٢ هـ .

٢ــ اثيرالدين مفضل بن عمر الابهري، كتابه المعروف (الهداية) في الطبيعيات و الالهيات فقد فتح لنفسه مجالاً لائقاً، و قد شرحه القاضي حسين الميبدي و صدرالمتألهين الشيرازي، و هذا الشرح الأخير اثر كثيراً في التعريف بالكتاب و مؤلفه.

قال العلامة الحلي في كتابه (الجوهر النضيد) ص ٧٨ في باب العكوس في عكس

---

٢٣٢ ــ عيون الانباء: ج ٢، ص: ٣٣٧.

٢٣٣ ــ ريحانة الادب: ج ٢، ص: ١٧٧.

٢٣٤ ــ بالفارسية: «مقالات و بررسيها» العددان: ٨و٩، ص: ١٦٢ ــ من منشورات كلية المعارف الاسلامية بطهران.

السالبة الجزئية التي يتفق المنطقيون على أن لاعكس لها، يقول العلامة: باستثناء القضية المشروطة الخاصة و العرفية الخاصة، ثم يقول: هذا مما وقف عليه اثيرالدين مفضل بن عمر الابهرى.

٣ــ نجم الدين على بن عمر الكاتبي القزويني المعروف بلقب: دبيران، كان من اكابر الحكماء والمنطقيين و الرياضيين. كتابه المعروف (حكمة العين) الذى كُتبت له شروح عديدة. و كتابه المعروف فى المنطق: (الشمسية) كتبه باسم الخواجة شمس الدين صاحب الديوان الجويني، و شرحه قطب الدين الرازى، و اصبح الكتاب مع شرحه من الكتب الدراسية المتداولة بين طلاب العلوم الدينية الى هذه الاواخر. كان الكاتبي القزويني من اساتذة العلامة الحلى و قطب الدين الشيرازى، و مصاحباً معاصراً للخواجة نصيرالدين الطوسى فى بناء رصد مراغة، مات ٦٧٥ هـ.

الطبقة الرابعة عشرة:

تتشكل هذه الطبقة من تلامذة الخواجة نصيرالدين الطوسى:

١ــ الحسن بن يوسف بن المطهر الحلى المعروف بالعلاّمة الحلى. ان العلامة الحلى و ان كانت شهرته فى الفقه الا أنه رجل جامع و له فى المنطق و الفلسفة مهارة كاملة و مؤلفات قيمة. ذكرناه فى طبقات الفقهاء وأنه من نوابغ رجال الاسلام. كان عربياً من تلامذة الخواجة و الكاتبي. ولد عام ٦٤٨ وتوفى فى سنة ٧١١ هـ.

٢ــ كمال الدين ميثم بن ميثم البحرانى المعروف بابن ميثم البحرانى، كان اديباً فقيهاً فيلسوفاً. درس الفلسفة لدى الخواجة نصيرالدين، قيل: ان الخواجة أيضاً درس لديه الفقه.[٢٣٥] شرح نهج البلاغة وقد عُدّ شرحه أحسن الشروح من حيث المباحث الفلسفية، طبع فى خمسة مجلدات. توفى فى ٦٧٨ او ٦٧٩ او ٦٩٩ كما حقق ذلك صاحب الذريعة[٢٣٦].

٣ــ قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازى المعروف بقطب الدين الشيرازى. كان فى المنطق تلميذ الكاتبي القزويني و فى الحكمة و الطب تلميذ الخواجة نصيرالدين الطوسى. شرح كتاب (القانون) لابن سينا و (حكمة الاشراق) للسهروردى. و كتب بالفارسية كتاباً فى انواع الحكمة طبع باسم (درة التاج) و كل كتبه الثلاثة قيمة ثمينة،

٢٣٥ــ روضات الجنات: ط حجر، ص: ٥٨٢.

٢٣٦ــ ريحانة الادب، ج٨، ص: ٢٤٣.

الا أن اكثر شهرته فى الفلسفة بشرحه لحكمة الاشراق. كان مساعداً للخواجة فى بناء رصد مراغة، توفى فى عام ٧١٠ او ٧١٦ [٢٣٧].

٤ــ الحسن بن محمد بن شرف شاه العلوى الحسينى الاسترآبادى المعروف بابن شرفشاه. ادرک محضر الخواجة فى مراغة و درس لديه و لازمه، و بعد وفاة الخواجة رحل الى الموصل و اشتغل بتدريس الحكمة (فى المدرسة النورية) علق على (تجريد الاعتقاد) للخواجة و شرح (قواعد العقائد) له وتوفى فى سنة ٧١٥ او ٧١٧ او ٧١٨ [٢٣٨].

الطبقة الخامسة عشرة:

١ــ قطب الدين محمد بن محمد بن أبى جعفر الرازى المعروف بقطب الدين الرازى، من مشاهير علماء الاسلام، كان حكيما منطقياً و فقيها، درس لدى العلامة الحلى وأجازه للحديث، لاقاه الشهيد الاول و استجازه لرواية الحديث و وجده بحراًلاينضب. شرح (الشمسية) للكاتبى القزوينى و اصبح شرحه كتاباً عوّل عليه طلاب العلوم الدينية حتى هذه الاواخر. كتب كتاباً آخر أسماه (المحاكمات) قضى فيه بين شارحين كبيرين لكتاب الاشارات: فخرالدين الرازى و نصيرالدين الطوسى. و شرح كتاب (مطالع الانوار) للقاضى سراج الدين الارموى فى المنطق، كان يدرّس أحياناً فى الحوزات العلمية الدينية، و قد طبع اخيراً بعنوان شرح المطالع. اشتهر الرازى بكتبه هذه الثلاثة وان كان له كتب اخرى. توفى فى سنة ٧٦٦ هـ [٢٣٩].

٢ــ شمس الدين محمد بن مبارک شاه المروى المعروف بلقب: ميرک البخارائى. شرح كتاب (حكمة العين) للكاتبى القزوينى، يذكر فى كتب الفلسفة بعنوان: شارح الحكمة. و قد علق السيد ميرشريف الجرجانى على شرح حكمة العين. و لايعلم تاريخ وفاته.

٣ــ القاضى عضدالدين عبدالرحمن الايجى الشيرازى، كان حكيما متكلماً اصولياً، له نظريات تدرس فى علم الاصول و بعض المسائل الفلسفية و الكلامية. كتابه المعروف (المواقف) الذى يعد فى كتب علم الكلام ولكنا نعلم أن الكلام قرب كثيراً من الفلسفة بعد دور الخواجة نصيرالدين الطوسى و تأليفه كتابه (تجريد الاعتقاد) اذ أنه فى كتابه هذا أخذ

٢٣٧ــ ريحانة الادب، ج ٤، ص: ٤٧١.

٢٣٨ــ ريحانة الادب، ج ٨، ص: ٥٣ــ ٥٤.

٢٣٩ــ ريحانة الادب، ج ٤، ص: ٤٦٥ــ ٤٦٧.

يوجه الاهداف الكلامية وجهة فلسفية و أن كثيراً من مسائل الفلسفة بالمعنى الاخص و الالهيات اخذت تعرض فى كتب الكلام، ولكتاب المواقف موضع يليق به بهذا الصدد. شرح هذا الكتاب السيد مير شريف الجرجانى و طبع مع اصله مراراً عديدة، و كان يدرس فى الحوزات العلمية. وقد ربى القاضى العضد تلامذة كالتفتازانى و شمس الدين الكرمانى و سيف الدين الابهرى ولد عام ٧٠٠ او ٧٠١ و مات عام ٧٥٦ أو ٧٦٠.

الطبقة السادسة عشرة:

١ــ سعدالدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازانى المعروف بالمولى سعد التفتازانى، اكثر شهرته بالكلام و علوم البلاغة، الا أنه كان رجلا جامعاً لم يخل من الاطلاع على العلوم العقلية و الفلسفية. الف رسالة موجزة فى المنطق باسم (تهذيب المنطق) لازال يدرس فى الحوزات العلمية. الف التفتازانى كتباً كثيرة. و يدعى بعضهم أن التفتازانى اعاد للمعارف الاسلامية بحسن بيانه حياة جديدة بعد و يلات حروب المغول. و لم نكن نقصد بطبقات الفلاسفة اولى النظر فى الفلسفة فقط بل كل من حمل هذا الفن من المعارف الانسانية و توسط فى انتقاله من قبله الى من بعده، ولا أقل من ثبوت هذا الشأن للتفتازانى. ولد عام ٧١٢ او ٧٢٢ هـ فى قرية قرب بلدة نسأ وتوفى فى ٧٩١ او ٧٩٢ او ٧٩٣ فى سرخس. وقيل: بل فى سمرقند و دفن فى سرخس [٢٤٠].

٢ــ السيد على بن محمد بن على الجرجانى المعروف بالسيد الشريف الجرجانى او سيد مير شريف. ودُعى بحق: المحقق الشريف، فهو معروف بدقة نظره و تحقيقه. اشتهر بالادب و الكلام، الا أنه كان جامعاً، كانت له حوزة تدريس للفلسفة وقد ربى فيها تلامذة كثيرين، وله فى حفظ و نقل العلوم العقلية الى الاجيال المتعاقبة دور مؤثر، له مؤلفات و آثار كثيرة الا أن اكثرها شروح و تعاليق قيمة. و يقول القاضى نورالله: ان علماء الاسلام بعده عيال عليه و متطفلون. تعاليقه: تعليقة على شرح حكمة العين فى الفلسفة، و اخرى على شرح المطالع فى المنطق، و اخرى على الشمسية فى المنطق أيضاً، و اخرى على المطول للتفتازانى فى الفصاحة و البلاغة، و له شرح على كتاب مفتاح العلوم للسكاكى فى نفس الفن، و تعليقة على الكشاف للزمخشرى و هو تفسير يعنى بالجوانب البلاغية للقرآن، و شرح لكتاب المواقف للعضد فى الكلام. و من كتبه المعروفة: التعريفات، يعرف باسم: تعريفات الجرجانى، و منها كتابه:

٢٤٠ــ ريحانة الادب، ج ١، ص: ٣٤٠.

الكبرى، فى المنطق بالفارسية كتبه للمبتدئين، والآخر: صرف مير، بالفارسية فى فن الصرف، كان ولايزال كتاباً دراسياً للطلاب المبتدئين.

كان من تلامذة قطب الدين الرازى السابق الذكر، و هو من أهل جرجان (گرگان) و نقل صاحب روضات الجنات عن مجالس المؤمنين: أنه لما قدم الشاه شجاع بن مظفر الى جرجان والتقى بالسيد نقله معه الى شيراز و فوّض اليه التدريس فى مدرسة (دار الشفاء) التى كان قد أسّسها هو بشيراز. و لما دخلها الأمير تيمور اخذه معه الى سمرقند و هناك التقى بالتفتازانى و له معه مناظرات، و لما مات الأمير تيمور رجع الميرالشريف الى شيراز فكان بها حتى مات.

اشتغل السيد الشريف منذ العشرين من عمره بالتدريس والتحقيق، و لاسيما فى الفلسفة و الحكمة، و كانت له حوزة من الفضلاء حوله. قيل: ان الحافظ الشيرازى كان ممن يحضر درسه. فكان السيد الشريف اذا تناشد طلابه الشعر قال لهم: اشتغلوا بالحكمة و الفلسفة عوضاً عن هذه الأباطيل، الا أنه اذا رأى الحافظ قال له: ماذا ألهمت جديداً؟ انشدنى من غزلك. فكان طلابه يعترضون عليه: ما هذا السر؟ تنهانا عن تناشد الشعر وانت تبدى الرغبة للاستماع الى شعر الحافظ! فكان يقول: ان شعر الحافظ أحاديث قدسية و دقائق قرآنية و الهامات ربانية![٢٤١].

ولد السيد مير الشريف فى جرجان عام ٧٤٠ وتوفى فى شيراز عام ٨١٦[٢٤٢].

الطبقة السابعة عشرة:

هذه الطبقة اكثرها من تلامذة المحقق الشريف وناشري افكاره.

١ــ محى الدين گوشكنارى، كان هذا الرجل من تلامذة السيدميرالشريف و استاذ جلال الدين الدوانى، و لامعرفة لنا بميلاده و وفاته.

٢ــ الخواجه حسن شاه المعروف بالبقال، كان هذا الرجل أيضاً من تلامذة السيد ميرالشريف و اساتذة الدوانى، و قد نقل الفاضل المعاصر الشيخ على الدوانى فى كتابه فى حياة جلال الدين الدوانى عن كتاب (حبيب السير): أن الخواجة حسن شاه و محى الدين گوشكنارى قاما بالتدريس فى شيراز على عهد الميرزا محمد بايسنقر.

---

٢٤١ ــ انظر مقدمة الاغبوي لديوان حافظ نقلا عن الدكتور محمد معين في كتابه حافظ شيرين سخن).

٢٤٢ ــ روضات الجنات، ص: ٤٧٦.

٣ــ سعد الدين اسعد الدوانى ابو المحقق جلال الدين الدوانى. هو أيضاً من تلامذة السيد ميرالشريف.

٤ــ قوام الدين الكربالى شيخ السيد صدر الدين الدشتكى و جلال الدين الدوانى، هو أيضاً من تلامذة السيد ميرالشريف الجرجانى.

و لانعرف فى هذه الطبقة احداً سوى هؤلاء الذين ذكرناهم، و فى هذا العهد الذى كانت حملة المغول قد بدت آثارها من القتل و النهب فى جميع المجالات، و زادت فى العلة مجازر الأمير تيمور الگوركانى، لاندرى هل كان قد بقيت فى غير شيراز حوزة للدراسة ام لا؟

الطبقة الثامنة عشرة:

١ــ سيد الحكماء محمدبن ابراهيم الحسينى الدشتكى الشيرازى المعروف بالسيد صدرالدين الدشتكى و السيد السند. كان من اعاظم الحكماء و من اولي النظر منهم، و كانت آراؤه و نظر ياته و معاصره الشهير جلال الدين الدوانى حتى عهد السيد ميرداماد موضع دراسة و ملاحظة بين الفضلاء و الطلاب، بل لازال بعض آرائه و افكاره موضع النظربين الفلاسفة المسلمين و بعضها مقبولة حتى بعد افكار المولى صدرا. ولد سنة ٨٢٨ وتوفى فى ٩٠٣ هـ كان قد درس العلوم العقلية لدى قوام الدين الكربالى تلميذالسيدالشريف و رجل آخر يد عوه السيد الفاضل الفارسى.

٢ــ العلامة جلال الدين محمد بن أسعد الدين الدوانى الصديق المعروف بالعلامة الدوانى و المحقق الدوانى. كان صاحب نظر فى المنطق و الفلسفة و الر ياضيات، و له آراء و افكار لازالت تدرس فى كتب الفلسفة. و هو من تلامذة قوام الدين الكربالى و محيى الدين گوشكنارى وحسن شاه المعروف بالبقال و والده اسعدالدين الدوانى (و كلهم من تلامذة السيد الشريف).

و قد زعم صاحب روضات الجنات [٢٤٣] و كذلك ريحانة الادب [٢٤٤] أن الدوانى هذا من تلامذة السيد ميرالشريف نفسه بصورة مباشرة، و قد اوضح خطأهم الفاضل المعاصر الشيخ الدوانى فى كتابه النفيس [٢٤٥] و اثبت أن العلامة الدوانى لم يدرک حياة السيد ميرالشريف

٢٤٣ــ روضات الجنات: ص: ٤٧٦ ط.ق.

٢٤٤ــ ريحانة الادب، ج٣، ص: ٢١٤.

٢٤٥ــ بالفارسية: شرح زندگاني جلال الدين دواني.

بل كان تلميذ تلامذته.

كان العلامة الدوانى ممن احدث ضجة علمية فى حياته و بعد موته، و له مشاجرات كثيرة شفوية و كتابية معروفة مع السيد صدرالدين دشتكى، و كانت كتبه بعده محطّ انظار الفضلاء و نقض بعضهم و ردّ بعضهم الآخر و دفاع آخرين. فمثلاً نقل صدر المتألهين فى المجلد الثالث من كتابه (الاسفار ص ١٤ ــ ١٦ ط ق) نظرية للعلامة الدوانى فى ثلاث صفحات ثم ردّها و قال: «و اعلم أنا انما تعرضنا لكلام هذا العلامة التحرير فى هذا الموضع بالجرح والتوهين لما اكبّ عليه اكثر الناظرين وتلقوه بالقبول والاستحسان، زعما منه ومنهم ان فيه اثباتاً للتوحيد الخاص الذى ادركه العرفاء الشامخون فضلاً عن توحيد الواجب الذى اعتقده المسلمون». [٢٤٦]

و من هنا يعلم مدى نفوذ افكار الدوانى فيمن تأخر عنه.

و كانت مدينة شيراز على عهده مركزاً للعلوم الفلسفية على اثرصيته و شهرته بها، و كان طلاب الفلسفة يتجهون الى شيراز من خراسان و آذربايجان و كرمان و حتى بغداد و الروم و سائر المناطق التركية [٢٤٧] ولد عام ٨٣٠ هـ وتوفى فى ٩٠٣ او ٩٠٨.

٣ــ على بن محمد السمرقندى القوشجى، المعروف بالمولى على القوشجى، صاحب الشرح المعروف على كتاب (تجريد الاعتقاد) لنصيرالدين الطوسى.

كان متكلماً و رياضياً، قيل: ان زيج الغ بيك الذى بدأه القاضى زادة الرومى (شيخ القوشجى) و غياث الدين جمشيد الكاشانى الرياضى النابغة، ولم يوفقا لا تمامه، اتمه القوشجى بأمر الغ بيگ بن شاهرخ بن امير تيمور الذى كان هو رياضياً ماهراً واستاذاً للقوشجى.

سافر الى تبريز و ديار العثمانيين و اقام عندهم وتوفى لديهم عام ٨٧٩ هـ [٢٤٨].

و شرحه على تجريد الاعتقاد للخواجة نصيرالدين الطوسى من الكتب التى كانت ولا تزال محطّ انظار الفضلاء و لهم عليه تعاليق كثيرة قيمة، و لشرح القوشجى دور فعال فى تاريخ الفلسفة الالهية.

---

٢٤٦ ــ الاسفار: ج ٣، ص: ١٤ ــ ١٦ ط. ق.

٢٤٧ ــ يراجع بالفارسية: «شرح زندگانى جلال الدين دوانى» للشيخ علي الدواني.

٢٤٨ ــ ريحانة الادب: ج ٤، ص: ٤٩٥ ــ ٤٩٦.

الطبقة التاسعة عشرة:

و هم تلامذة السيد صدر الدين دشتكى و العلامة الدوانى:

١ــ غياث الدين منصورالدشتكى ابن السيد صدرالدين دشتكى، كان من اعاظم الحكماء.

قيل: فرغ من علوم زمانه فى العشرين من عمره. كانت له رئاسة الوزارة على عهد الشاه طهماسب، ثم استقال و رجع الى شيراز و أسس فيها مدرسة عرفت باسم (المدرسة المنصورية) لا تزال قائمة حتى اليوم. تابع عمل والده فى ردّ نظريات العلامة الدوانى و كان أحياناً يحضر المناظرات الشفوية بين والده والدوانى. له عدة كتب فلسفية من قبيل: اثبات الواجب، شرح هياكل النور للسهروردى، حواشى على شرح الاشارات للخواجة، و حواشى على الشفاء لابى على ابن سينا، المحاكمات بين والده والدوانى فى حواشيها على تجريد الاعتقاد.

ذكره صدر المتألهين فى الهيات الاسفار بعنوان: «سرابية المقدس المنصور المؤيد من عالم ملكوت السماء غياث اعاظم السادات و العلماء»[٢٤٩] توفى غياث الدين دشتكى عام ٩٤٠ او ٩٤٨ هـ.

٢ــ محمود النيريزى، التلميذ الآخر للسيد صدرالدين دشتكى. قالوا: شرح عدة كتب لجلال الدين الدواني و دافع فيها عن آراء استاذه صدرالدين حاملاً على جلال الدين[٢٥٠].

٣ــ القاضى كمال الدين الميبدى اليزدى. شهرته بشرحه (الهداية) لأثيرالدين الابهرى، المعروف بشرح الهداية للميبدى، و له شرح للديوان المنسوب الى أمير المؤمنين عليه السلام له به شهرة ايضاً، و له كتاب آخر فى الفلسفة بالفارسية باسم (جام گيتى نما)[٢٥١].

٤ــ جمال الدين محمود الشيرازى، هو الذى اشغل كرسىّ درس جلال الدين بعد وفاته، و فداليه طلاب العلم من الاطراف و الاكناف، منهم المولى أحمد الاردبيلى المعروف بالمقدس الاردبيلى، و المولى عبدالله الشوشترى، و المولى عبدالله اليزدى صاحب الحواشى

٢٤٩ــ الاسفار: ج ٣، ص: ١٨ ط. ق.

٢٥٠ــ بالفارسية: شرح زندگاني جلال الدين دواني، ص: ١٢٦.

٢٥١ــ بالفارسية: شرح زندگاني جلال الدين دواني، ص: ١٠٨.

المعروفة على (تهذيب المنطق) و المولى ميرزاجان الشيرازى المعروف بالفاضل الغنوى [٢٥٢].

٥ــ المولى حسين الالهى الاردبيلى بن الخواجة شرف الدين عبدالحق الاردبيلى. كان من تلامذة العلامة الدوانى و الأمير غياث الدين، و كان شيعياً، و عاصر الشاه اسماعيل الصفوى وكتب بعض رسائله باسمه واهدى بعضها اليه. سافر لكسب الفيض والفضيلة الى مختلف البلاد منها شيراز وهرات، و له كتب و آثار مختلفة فى المنطق و الكلام و الفسلفة و الهندسة و الهيئة على عادة عصره بصورة حواش و هوامش و تعاليق واضافات، من قبيل: حواش على شرح المواقف و شرح المطالع و شرح الشمسية و شرح الهداية للميبدى و هوامش على حواشى استاذه العلامة الدوانى على شرح التجريد، و تعاليق على حاشية السيد الصدر على ذلك الكتاب، و شرح الچغمينى، و شرح تذكرة الخواجة فى الهيئة، و تحرير الاقليدس فى الهندسة، و (بيست باب در اصطرلاب): (عشرون باباً فى علم الاسطرلاب). و لانعلم تاريخ وفاته [٢٥٣].

الطبقة العشرون:

١ــ المولى عبدالله اليزدى صاحب الحاشية المعروفة على منطق التهذيب، المعروفة بحاشية المولى عبدالله الكتاب الدراسى لطلاب المنطق فى الحوزات العلمية. و قد ادّعى بعضهم أنه كان جاهلاً بالأمور الشرعية، و على العكس من ذلك نقول: انه كان فقيها من أهل المعقول و لاسيما المنطق. تتلمذ فى شيراز لدى جمال الدين محمود السابق الذكر و الأمير غياث الدين دشتكى، و فى آخر عمره ذهب الى العراق و جاور العتبات المقدسة حتى توفى فيها فى عام ٩٨١ هـ [٢٥٤].

٢ــ المولى حبيب الله الباغ نوى الشيرازى المعروف بالمولى ميرزا جان و الفاضل الباغ نوى. من تلامذة جمال الدين محمود، كتب عدة تعليقات وهوامش على عدة شروح و حواشٍ للعلامة الدواني. توفى فى عام ٩٤٤ هـ. جاء ذكره فى الطبيعيات من شرح المنظومة للسبزوارى بعنوان الفاضل الباغ نوى.

٣ــ شمس الدين محمد الخفرى الشيرازى، تلميذ الأمير غياث الدين منصور، و الظاهر أنه ادرك دروس العلامة الدوانى و السيد صدرالدين دشتكى. له حواش على شرح التجريد

---

٢٥٢ ــ بالفارسية: شرح زندگاني جلال الدين دواني، ص: ١١٠.

٢٥٣ ــ روضات الجنات، ص: ١٨٥ ــ ١٨٦.

٢٥٤ ــ روضات الجنات: ص: ٣٥٨.

و شرح حكمة العين و رسالة بعنوان: اثبات الواجب. كان دقيق النظر، و قد نقل صدر المتألهين عنه فى المجلد الاول من الاسفار عدة مطالب و بحث حولها. و يمكن أن يعد من الطبقة التاسعة عشرة فهو من شباب تلك الطبقة و كبار طبقة العشرين. مات عام ٩٥٧ او ٩٣٥ هـ.

٤ــ الخواجة افضل الدين تركة. من تلامذة جمال الدين محمود[٢٥٥] قال صاحب روضات الجنات: الفاضل الحكيم الخواجة افضل الدين محمد حبيب الله المعروف بـ (تركة) كان شيخ الشيخ أبى القاسم الحكيم الكازرونى الامامى المعروف بـ (نصر البيان) و قال نصر البيان فى كتابه (سلم السمٰوات) فى تاريخ الحكماء بشأن استاذه (تركه): ان شهرة هذا الاستاذ و بزوغه كان مابين سنين ٩٧٠ ــ ٩٩٠ فى خراسان و العراق.

٥ــ الحكيم داود بن عمر الانطاكى المصرى، رأينا ذكره فى (نامهٔ دانشوران). كان من أجلاء الأطباء الفضلاء والحكماء فى أواخر المئة العاشرة واوائل الحادية عشرة. وجاء فيما املاه من احواله أنه ولد اعمى فى أنطاكية وكان حتى السابعة من عمره مفلوجاً، ومع ذلك حفظ القرآن وتعلم المقدمات وكان يسأل الله عزوجل الشفاء والتوفيق، حتى عالجه رجل من العجم اسمه محمد شريف فشفى، وعلّمهُ الانطاكى المنطق والرياضيات و الفلسفة لما رآه فيه من ذكاء وفطنة واستعداد، و يرغب الانطاكى في أن يتعلم منه الفارسية فيقول له محمد شريف: الأولى ان تتعلم اليونانية وليس فى هذه الديار أحد يعرف اليونانية مثلى!.

وسافر داود الى القاهرة فرآهم غير آبهين بالعلوم العقلية. فذهب الى الحج وجاور مكة وتوفى فى سنة ٩٠٨هـ. له مؤلفات منها رسالة فى العشق العرفانى ذكرت في (نامهٔ دانشوران)[٢٥٦] وتذكر له قصص عن حفظه و مهارته فى المتون الفلسفية والطبية كالقانون و الشفاء والاشارات والنجاة والتعليقات والمحاكمات والمطارحات والحكمة الشرقية و رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء.

الطبقة الحادية و العشرون:

١ــ المير محمد باقر داماد. اشهر من أن يعرّف.

لا اعرف حوزة علمية تذكر بعد حملة المغول غير حوزة فارس (شيراز) لعلل ليست بينة حتى الآن. نعم كان بعض العلماء فى هرات وسمرقند و اماكن اخرى، و لكن حوزة يمكن أن تسمّى حوزة كانت فى شيراز فقط

---

٢٥٥ ــ بالفارسية: شرح زندگانى جلال الدين دوانى، ص: ١١٠.

٢٥٦ ــ بالفارسية: نامهٔ دانشوران، ج ٩، ص: ٨٩ــ ٢٠٤.

و حوزة شيراز كانت ــ مع الاسف ــ جدلية، فقد كانت الجهود فيها فى طول قرنين و نصف قرن تصرف للمجادلات، يكتب احدهم كتاباً او رسالة فيشرحها الآخر و يعلق عليها الثالث و يكتب عليها الرابع هوامش، و حواشى على الحواشى، و هوامش على الهوامش... و مع ذلك كان دور شيراز دوراً تحصيرياً.

و على عهد الشاه عباس الكبير ظهر شيوخ كالسيد ميرداماد و الشيخ البهائى والمير فندرسكى، فاصبحت اصفهان مركزاً للعلوم العقلية الاسلامية حتى أن السيد صدر الدين يهاجر من وطنه شيراز الى اصفهان لكسب الزيادة فى العلم.

كما أن الحوزة الفقهية كذلك تأيدت بهجرة جماعة من علماء جبل عامل لى اصفهان من قبيل المحقق الكركى وغيره.

و من خصائص الحوزة الفلسفية فى اصفهان أن لم يكن فيها اى شئ من الابحاث والجدليات غير المفيدة، فقد اصطبغت الفلسفة بسبب السيد ميرداماد بلون آخر لامجال هنا للبحث فيه.

السيد ميرداماد ان لم يكن من الطراز الاول من حكماء الاسلام فلا أقل من أن يعد على رأس الطراز الثانى منهم. كان بالاضافة الى الفلسفة فقيها رياضياً و أديباً رجالياً جامعاً، يلقب أحياناً بالمعلم الثالث، او كان يلقب نفسه بذلك.

شكّل حوزة دراسية مباركة جليلة. و سنعرّف فى الطبقة الثانية والعشرين بعض تلامذته. و لانعرف بالضبط شيوخ و أساتذة السيد ميرداماد فى الفلسفة، نعرف منهم: الشيخ عبدالعالى العاملي الكركى، السيد نورالدين العاملى، تاج الدين حسين الصاعد الطوسى، فخرالدين السماكى الاسترآبادى، و هذا الاخير هو استاذة فى المعقول و الآخرين فى الفقه.

قال السيد على البهبهانى فى مقال بعنوان «فلسفة و ترجمة و نقد آثار السيد مير داماد»: «كتب اسكندر بيك: أن فخرالدين محمداً الحسينى الاسترآبادى معاصر الشاه طهماسب (٩١٨ ــ ٩٨٤) كان من كبار بلدة سماك من مقاطعة استرآباد، و يستفاد من فحوى كلام هذا الرجل أن السيد ميرداماد كان قد ادرك مجالس دروس السيد فخرالدين الحسينى، الا أنه من حيث العمر لم يكن بذلك المستوى(؟) وكان السيد فخرالدين يلقب بالمحقق الفخرى فى مقابل المحقق الخفرى[٢٥٧].

و المحدث القمى فى كتابه «الكنى و الالقاب» يذكر السيد فخرالدين بعنوان احد

---

٢٥٧ ــ العددان الثالث والرابع من (مقالات و بررسيها) من منشورات كلية الالهيات والمعارف الاسلامية، ص: ٢٧. والمحقق الخفرى هوشمس الدين محمدبن احمد الفاضل الحكيم الخفرى نسبة الى «خفر» من بلاد شيراز. (الكنى والالقاب ج ٢، ص ١٩٥ ــ ١٩٦)، للصحح.

شيوخ السيد ميرداماد. و كذلك صاحب «ريحانة الادب» و لكنه ذكر شخصاً آخر أيضاً بنفس هذا الاسم (فخرالدين الحسيني الاسترآبادى) فى نفس هذا العصر، و له هوامش على قسم الجواهر و الاعراض و الالهيات من شرح التجريد للقوشجى[٢٥٨].

و له ــ كما ذكر الشيخ على الدوانى ــ هوامش على حاشية الدوانى على تهذيب المنطق[٢٥٩] و يبدو للنظر أن المسمّى بهذا الاسم ليس الا واحداً، ولكن صاحب الذريعة يصرح أنهما شخصان[٢٦٠] أحدهما: فخرالدين محمد بن الحسن السماكى، و الآخر فخرالدين محمد بن الحسين.

و ليست لدينا معلومات اكثر من هذا عن شيوخ و أساتذة السيد ميرداماد فى الفلسفة، و لانعلم عند من درس فخرالدين السماكى (المحقق الفخرى)؟ و من هم تلامذته الآخرون؟ و متى كانت وفاته؟

٢ــ الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبدالصمد العاملى. كان من مهاجرى جبل عاملة. كان نابغة فى الجمع بين العلوم و الفنون المختلفة، و لانعرف من شيوخه و اساتذته فى العلوم العقلية (المنطق و الفلسفة) أحداً سوى المولى عبدالله اليزدى السابق الذكر. و تتصل حلقة سلسلة أساتذته في المعقول بالخواجة نصيرالدين الطوسى ثم بابن سينا. الشيخ البهائى كان حكيما فيلسوفاً اديباً فقيهاً مفسراً رياضياً مهندساً و شاعراً. و ليست لدينا معلومات عن تلامذته و حوزة درسه فى الفلسفة، يقال ان صدرالمتألهين كان يحضر درس الشيخ البهائى و لما رأى الشيخ نبوغه المتفوق بعثه الى درس السيد ميرداماد. و ليس بأيدينا اى اثرمن الشيخ فى الفلسفة الارسالة فى وحدة الوجود قيل طبعت أخيراً فى مصر[٢٦١] توفى الشيخ فى سنة ١٠٣٠ هـ.

٣ــ ميرابوالقاسم فندرسكى. منسوب الى فندرسك من توابع استرآباد. كان حكيماً و رياضياً عارفاً. له تلامذة كثيرون و حوزة عامرة و مع ذلك ليست بأيدينا معلومات كثيرة عن حياته. كان معاصراً للشيخ البهائى و ميرداماد. سافر الى الهند و اطلع على آراء حكمائها. له رسالة فى الصناعات باسم (رسالة صناعيّة) و رسالة اخرى فى (الحركة) على مذاق المشائين[٢٦٢]. توفى فى ١٠٥٠ هـ.

---

٢٥٨ ــ ريحانة الادب، ج ٤، ص: ٣٠٤.

٢٥٩ ــ بالفارسية: شرح حال جلال الدين دواني، ص: ١٦٥.

٢٦٠ ــ الذريعة، ج ١، ص: ٩٩.

٢٦١ ــ الدكتور محسن جهانگيري ــ في المنشورات الفلسفية من كلية الآداب رقم ١ ص: ٧٢.

٢٦٢ ــ طبعت مختارات من هاتين الرسالتين بعناية السيد جلال الاشتياني في مجموعة بعنوان (منتخباتى از آثار حكماي الهى ايران).

الطبقة الثانية والعشرون:

هذه الطبقة من تلامذة الشيخ البهائي و ميرداماد و ميرفندرسكي.

١ــ رفيع الدين محمدبن حيدرالحسيني الطباطبائي النائيني المعروف بالميرزا رفيعا. كان من تلامذة الشيخ البهائي و ميرفندرسكي. و هو من السادات الطباطبائيين في نائين و زوارة و اردستان. ومن احفاده المرحوم الميرزاجلوه الفيلسوف المعروف في عهد القاجار و المتوفى في ١٣١٤ هـ. له رسالة في أقسام المشكك اقبل عليها المتأخرون، و له هوامش على شرح الاشارات للخواجة و شرح حكمة العين للشريف الجرجاني، و رسالة اخرى في حلّ شبهة الاستلزام المطروحة في كتب الفلسفة، و رسالة ثالثة باسم «ثمرة شجرة الهية» في اصول العقائد مع مقدمات فلسفية، نشرها أخيراً عبدالله النورانى من الفضلاء المعاصرين. ولد ميرزا رفيعا عام ٩٩٩ وتوفي في ١٠٨٣ عن عمر يناهز ال ٨٥ عاماً.

٢ــ محمد بن ابراهيم القوامي الشيرازي المعروف بالمولى صدرا وصدرالمتألهين، الحكيم الالهي و الفيلسوف الرباني الذي ادخل الحكمة الالهية الى مرحلة جديدة. ان مايسمى بالعلم الاعلى والعلم الكلي والفلسفة الاولى والحكمة الالهية هو القسم الحقيق من الفلسفة و الفلسفة الحقيقية، اذ كل الاقسام الرياضية والطبيعية تعد من العلوم، والمولى صدرا في هذا القسم من الفلسفة قد بزّ كلّ أقرانه في هذا الفن، وغطى عليهم، فقد غيّر الاصول والاسس الاولى من هذا الفن و بناه على اصول اخرى ثابتة قويمة.

ان فلسفة المولى صدرا من جهة تشبه ملتقى اربعة طرق: هي الحكمة المشائية الارسطوئية و السينائية، و الحكمة الاشراقية السهروردية، و العرفان النظري لمحيي الدين ابن العربي، والمفاهيم الكلامية... التقت احداها بالاخرى و تلاقت كاربعة انهر اوجدت نهراً عظيماً. ومن جهة اخرى هي بمنزلة صورة مفاضة على عناصر اربعة مختلفة مرّت بسلسلة من الافعال و ردودها، فوهبت هذه الصورة ماهية و واقعية جديدة لتلك العناصر المتطورة، ماهيّة متفاوتة مع ماهية كل واحدة من تلك المواد الاولى.

ان فلسفة المولى صدرا طفرة ظهرت بعد سلسلة من الحركات المتداومة و المتدرجة في المعارف العقلية الاسلامية.

ان فلسفة المولى صدرا من النوع الذي يقال فيه «سهل ممتنع» فعباراته ادبية مصنوعة، في ظاهرها بسيطة ساذجة، ولكن المستعد لدراستها عليه أن يدرس كتابه حتى يفهم أنه لايفهم كي يعود ليدرسها مرة اخرى.

ربّ اناس متصدون لتدريس فلسفة المولى صدرا في حين أنهم لم ينفذوا الى اعماق

فلسفته، و لهذا فان تحليل افكار المولى صدرا ليس من عمل كل احد.

كان المولى صدراتلميذ الشيخ البهائى و ميرداماد. ويـذكر الشيخ البهائى فى شرحه لاصول الكافى بعنوان: شيخى فى العلوم النقلية، و يذكر السيد ميرداماد بعنوان شيخى فى العلوم العقلية، كتبه أشهر من أن نعرّفها لكم هنا. توفى فى سنة ١٠٥٠ هـ فى البصرة فى طريقه الى الحج للسفرة السابعة.

٣ــ شمس الدين الگيلانى المعروف بالمولى شمسا. كان من تلامذة السيد ميرداماد. له مراسلة مع زميله فى الدراسة المولى صدرا سأله عن عدة مشاكل فلسفية من قبيل الموضوع فى الحركة الكمية والوجود الذهنى، وأجابه المولى صدرا برسالة مطبوعة فى هامش رسالته فى المبدأ و المعاد.

٤ــ سلطان العلماء الآملى المازندرانى المعروف بخليفة السلطان، كان من تلامذة الشيخ البهائى و ميرداماد، زوجه الشاه عباس الثانى ابنته و فوض اليه الوزارة و استوزره الشاه صفى ايضاً. و كان محققاً يبدو مدى تحقيقه فى حواشيه على المعالم و شرح اللمعة، و كتاباته خالية عن الحشو و الزوائد، و له هوامش على حاشية الخفرى على شرح التجريد للقوشجى. توفى فى سنة ١٠٦٤ عن عمر يناهز ال ٦٤ عاماً.

٥ــ السيد أحمد العاملي ابن خال و صهر السيد ميرداماد و تلميذه، و الظاهر أنه هو صاحب الهوامش المطبوعة على قسم الالهيّات من الشفاء لابن سينا، فى الطبعة الحجرية، و جاء فيها بامور يبدو أنها من السيد ميرداماد، و قد يصرح بذلك.

٦ــ شمس الدين الاشكورى صاحب الكتاب المعروف باسم (محبوب القلوب) كان من تلامذة المولى صدرا كما فى تاريخ الفلاسفة.

٧ــ السيد أمير فضل الله الاسترآبادى، من تلامذة مير داماد [٢٦٣] و المقدس الاردبيلى كما جاء فى (روضات الجنات) ضمن ترجمة المقدس الاردبيلى نقلاً عن (رياض العلماء) [٢٦٤] قيل سئل المقدس الاردبيلى قبيل وفاته: الى من نرجع بعدك؟ قال: فى الشرعيات الى الأمير علاّم، و فى العقليات الى الأمير فضل الله.

الطبقة الثالثة والعشرون:

١ــ المولى محسن الفيض الكاشانى، الحكيم و العارف و المحدث المشهور. تلميذو صهر المولى صدرا، منه تعلم الحكمة، له رسائل فى الحكمة و الفلسفة طبعت أخيراً [٢٦٥]. و ما وصل

٢٦٣ــ بالفارسية: «مقالات و بررسيها»، العددان الثالث والرابع، ص: ٢٨.

٢٦٤ــ روضات الجنات، ص: ٢٣.

٢٦٥ــ طبعت بعناية السيد جلال الاشتياني.

الينا منها انما هو تلخيصات من مقالات السيد الاستاذ. توفى فى سنة ١٠٩١ هـ. وقد ذكرناه فى المحدثين والمفسرين أيضاً.

٢ــ المولى عبدالرزاق اللاهيجى صاحب (شوارق الالهام) و كتاب (گوهر مراد) و هو أيضاً من اصهار المولى صدرا. هوأقل تأثراً باستاذه صدرا من الفيض، فقد اصطبغت رسائله بآراء الحكماء قبل المولى صدرا من قبيل العلامة الدوانى و غياث الدين دشتكى. مات عام ١٠٧١ هـ او ١٠٧٢ (و دفن فى قم المقدسة).

٣ــ المولى رجب على التبريزى الاصفهانى صاحب (روضات الجنات) عن صاحب (رياض العلماء) أنه كان محترماً لدى الشاه عباس الكبير و اصحاب المقامات الحكومية. له تلامذة من قبيل المولى محمد التنكابنى و الحكيم محمد حسين القمى و القاضى سعيد القمى. كان من تلامذة مير فندرسكى. توفى فى عام ١٠٨٠ هـ [٢٦٦].

٤ــ المولى محمد باقر المعروف بالمحقق السبزواري، كان حكيماً و من اعاظم الفقهاء، تلميذ الشيخ البهائى [٢٦٧] و ميرفندرسكى [٢٦٨] له هوامش متينة على إلهيّات الشفاء لابن سينا، قال صاحب (روضات الجنات): ان المحقق الخونسارى (آقا حسين) و المولى محمد التنكابنى المعروف به (سراب) قد استفادا من دروسه كثيراً، و لكن الظاهر أن المحقق الخونسارى كان تلميذه فى المنقول لا المعقول. توفى فى عام ١٠٩٠ هـ [٢٦٩].

٥ــ آقا حسين الخونسارى المعروف بالمحقق الخونسارى تلميذ المحقق السبزوارى فى المنقول وصهره على اخته، و تلميذ مير فندرسكى فى المعقول [٢٧٠].

له هوامش معروفة على إلهيّات الشفاء، موجودة، و شرح لاشارات الخواجة، و هوامش على شرح التجريد للقوشجى، والمحاكمات. توفى فى سنة ١٠٩٨ هـ.

كتب صاحب (روضات الجنات) فى ترجمة المولى زمان بن المولى كلب على التبريزى، يقول: «له كتاب اسمه: فرائد لفوائد فى احوال المدارس و المساجد» ألفه أيام اقامته بمدرسة الشيخ لطف الله فى شرقي ساحة (الشاه) [٢٧١] و ذكر فيه اسماء جماعة من طلاب هذه المدرسة المباركة: من قبيل آقا حسين الخونسارى، و المولى شمسا الجيلانى، و المولى حسن

٢٦٦ــ مقدمة الشواهد الربوبية، ص: ٩١.

٢٦٧ــ روضات الجنات، ص: ١١٦.

٢٦٨ــ ريحانة الادب، ج ٥، ص: ٣٤٢.

٢٦٩ــ روضات الجنات ص ١١٧.

٢٧٠ــ ريحانة الادب ج ٥ ص ٢٤١.

٢٧١ــ حسب التسمية القديمة، والآن تسمى: ساحة الامام الخميني دام ظله.

اللنبانى الجيلانى (هو أيضاً كان من الحكماء و العرفاء و له شرح للمثنوى المولوى الرومى التبريزى. و هو من هذه الطبقة) و قال: ان المولى حسن اللنبانى كان عديم النظير فى الفضل والتقوى. و منهم زبدة المحققين واسوة السالكين المولى رجب على التبريزى و تلميذه مير قوام الدين الطهراني (الرازى) صاحب كتاب «عين الحكمة»[٢٧٢] ثم اضاف صاحب الروضات يقول: و منهم الفاضل المحقق الحكيم البارع المولى ابوالقاسم بن محمد ربيع الگلپايگانى، صاحب التعليقات اللطيفة على كتب المعقول و المنقول... الذى كان ظاهراً من تلامذة المجلسى الاول[٢٧٣].

المولى حسن اللنبانى الآنف الذكر هو ابوالمولى حسين اللنبانى تلميذ المجلسى. و على هذا يكون هذان أيضاً (اللنبانى و الگلپايگانى) من هذه الطبقة.

اهتم أخيراً أُستاذ كلية الالهيات و المعارف الاسلامية فى مشهد السيد جلال الدين الاشتيانى بتعريف هؤلاء و آثارهم بعنوان «منتخباتى از آثار حكماى الهى ايران ــ از عصر ميرداماد و ميرفندرسكى تا عصر حاضر».

الطبقة الرابعة و العشرون:

١ــ محمدبن سعيد بن محمد مفيد القمى المعروف بالقاضى سعيد والملقب بالحكيم الصغير. كان من تلامذة المولى محسن الفيض و المولى عبدالرزاق اللاهيجى و المولى رجب على التبريزى. تتلمذه لدى المولى رجب على كان فى اصفهان، و كان كاستاذه محترماً لدى الشاه عباس الصفوى كما نقل صاحب الروضات، و تتلمذه لدى المولى عبدالرزاق اللاهيجى كان فى قم المقدسة، و يحتمل أن يكون قد درس لدى الفيض فى قم أيضاً. ولم يعلم صاحب الروضات و صاحب ريحانة الادب، تاريخ وفاته، ولكن نقل فى هامش الروضات عن الذريعة أن ولادته كانت سنة ١٠٤٩ هـ و وفاته عام ١١٠٣ هـ.

٢ــ المولى محمد التنكابنى (سراب) تلميذ المولى رجب على التبريزى[٢٧٤] والمحقق السبزوارى[٢٧٥].

---

٢٧٢ ــ روضات الجنات ص ٢٨٧.

٢٧٣ ــ روضات الجنات ص ٢٨٧.

٢٧٤ ــ روضات الجنات ص ٣١٢.

٢٧٥ ــ روضات الجنات ص ٦١٩.

٣ــ جمال الدين الخونساری المعروف بالسيدآقاجمال الخونساری ابن السيد حسين الخونساری السابق الذكر، تتلمذه كان لدى والده و خاله المحقق السبزواری، له هوامش مختصرة على طبيعيات الشفاء مطبوعة مع الطبعة الحجرية، و هوامش على شرح الاشارات. كان محققاً جامعاً بين العلوم الشرعية و العقلية. توفي فى ١١٢١ هـ.

٤ــ قوام الدين محمد الرازی المعروف بقوام الدين الحكيم. قال الاستاذ همائی فى مقدمة لشرح المشاعر للمولى جعفر اللنگرودی: ان قوام الدين كان تلميذ المولى رجب على التبريزی و استاذ الشيخ عناية الله الگيلانی. و قد طبع السيد جلال الدين الاشتيانی فى المجلد الثانی من مختاراته من آثار حكماء ايران، آثاراً من هذا الرجل و كتب شيئاً من ترجمته.

٥ــ محمد رفيع پيرزاده. تلميذ المولى رجب على التبريزی، و هو من تلامذة تلامذة ميرفندرسكی. طبع بعض آثاره فى المجلد الثانی من مختارات آثار حكماء ايران[٢٧٦]

الطبقة الخامسة والعشرون:

١ــ المولى محمد صادق الاردستانی، لانعلم عنه سوى أنه كان رجلاً حكيماً و زاهداً مرتاضاً، غضب عليه بعض معاصريه و كفره و أبعده حتى توفى فى ١١٣٤ هـ[٢٧٧].

قال السيد اشتيانی والأخ همائی أنه قد بقى من المولى صادق رسالة باسم (حكمت صادقية) فى النفس و قواها المادية و المعنوية[٢٧٨].

من معاصريه: الشيخ عناية الله الگيلانی من تلامذة ميرقوام الحكيم مدرس الفلسفة المشائية، والآخر مير سيد حسين الطالقانی مدرّس كتب الشيخ شهاب الدين السهروردی شيخ الاشراق و شرح فصوص الحكم لمحيى الدين ابن العربی[٢٧٩].

الطبقة السادسة والعشرون:

١ــ المولى اسماعيل الخاجوئی. كان من مشاهير حكماء القرون الأخيرة. مازندرانی

٢٧٦ــ منتخبات آثار حكمای ايران بعد از ميرداماد و ميرفندرسكی ج ٢ ص ٤٤٩ــ ٤٥١.

٢٧٧ــ ريحانة الادب ج ١ ص ١٠٤.

٢٧٨ــ مقدمة همائی على شرح مشاعر المولى جعفر اللنگرودی.

٢٧٩ــ مقدمة همائی على شرح مشاعر اللنگرودی.

الأصل. عظّمه صاحب روضات الجنات و وصفه بالعلم و الجمع للعلوم الشرعية و العقلية و كذلك التقوى و المعنوية و المتانة و الوقار، و يقول: ان نادرشاه الذى لم يكن يتواضع لاحد كان يخضع أمام هذا الرجل. كان معاصراً لفتنة الافغان، و قد طغت على بعض كتاباته. و يقول صاحب الروضات: لم نعرف شيوخه و اساتذته. هوالذى تصدى للفلسفة بعد فتنة الافغان، و تربى فى حوزة درسه تلامذة بارزون من قبيل آقا محمد البيد آبادى و المولى مهدى النراقى والميرزا ابي القاسم المدرس الاصفهانى والمولى محراب الحكيم. توفى فى ١٠٧٣ هـ[٢٨٠].

٢ــ الميرزا محمدتقى الماسى: ذكر صاحب الروضات بعنوان:انه حفيد أوسبط المجلسى، بل كان والده سبط المجلسى الاول و قد دفن فى بقعة المرحوم المجلسى باصفهان [٢٨١]. و يصرح أنه كان استاذ آقا محمد البيدآبادى [٢٨٢].

و يذكر همائى فى مقدمة شرح المشاعر رجلين آخرين من معاصرى المولى اسماعيل الخاجوئى احدهما: المولى حمزة الگيلانى المتوفى فى سنة ١١٣٤ هـ تلميذ المولى محمد صادق الاردستانى و الآخر المولى عبدالله الحكيم من اساتذة آقا محمد البيدآبادى [٢٨٣].

الطبقة السابعة والعشرون:

١ــ آقا محمد البيدآبادى الگيلانى الاصفهانى. كان من اعاظم حكماء القرون الاخيرة، و محيى فلسفة المولى صدرا.

منذ عهد صدر المتألهين حيث كانت امواج افكار القدماء من قبيل ابن سينا و شيخ الاشراق السهروردى هى الغالبة، و لاسيما فى ماشاع من الفلسفة من قبل مير فندرسكى ثم المولى رجب على التبريزى، لم تكن تطرح افكار صدرا الابين الفضلاء من تلامذته و المنتهين اليه. و يقول المولى صدرا نفسه إنه كان يعيش كأحد الطلاب العاديين ولم تكن له شهرة او حرمة خاصة [٢٨٤] بينما كان معاصره المولى رجب على التبريزى فى مرحلة من الحرمة و الكرامة

---

٢٨٠ ــ روضات الجنات ص ٣١ ــ ٣٢.

٢٨١ ــ روضات الجنات ص ١٢٢.

٢٨٢ ــ روضات الجنات ص ٦٢٤.

٢٨٣ ــ مقدمة همائى على شرح المشاعر ص ١٥.

٢٨٤ ــ المبدأ والمعاد ط حجر ص ٢٧٨.

حتى أن الشاه و وزراءه كانوا يسرعون الى زيارته و لقائه.

فلم تعرف افكاره و لم تعلُ الا تدريجياً، و الظاهر أن العين التى ظهر منها معين صدرا للجميع هو المرحوم آقا محمد البيدآبادى.

كان ــ كما فى الروضات ــ رجلاً زاهداً متقياً حليماً مؤثراً على نفسه متقشفاً، وذكره الشيخ آغا بزرگ الطهرانى فى كتبه و قال: عارف سالك الى الله، اخلاقى مهذّب. طبعت عنه رسالتان فى السير والسلوك بالفارسية فى مجلة «وحيد» بعناية السيد المدرّسى الطباطبائى من أفاضل الحوزة العلمية بقم المقدسة. ان الروح العرفانية و الأخلاقية للبيدآبادى سببت له الاعراض عن أصحاب المال و الرجال، كانوا يقبلون عليه و هو يعرض عنهم.

وقد تربّى على يده تلامذة كثيرون سنذكرهم.

توفى فى سنة ١١٩٧ هـ[٢٨٥].

٢ــ المولى مهدى النراقى الكاشانى. كان من اعاظم فقهاء و حكماء الاسلام، هو و ابنه المولى أحمد النراقى يعدان من كبار علماء الاسلام الجامعين بين المعقول و الشريعة. تتلمذ لديه المرحوم السيد محمد باقر شفتى الاصفهانى و الحاج محمد ابراهيم الكلباسى[٢٨٦] و كان هو من تلامذة المولى اسماعيل الخاجوئى[٢٨٧].

٣ــ ميرزا ابوالقاسم الحسينى الخاتون آبادى المعروف بالمدرّس، من مشاهير مدرّسى الفلسفة فى اصفهان. و هو من اسرة مير محمد حسين الخاتون آبادى و سبط المجلسى[٢٨٨] كان من تلامذة المولى اسماعيل الخاجوئى[٢٨٩] توفى فى عام ١٢٠٣ هـ.

٤ــ المولى محراب الگيلانى، الحكيم و العارف المعروف. عدّه صاحب الروضات فى تلامذة الخاجوئى[٢٩٠] و اضاف صاحب الريحانة أنه تتلمذ على البيدآبادى أيضاً[٢٩١].

وقد نقل المرحوم الحاج الشيخ آقا بزرگ الطهرانى فى كتابه (نقباء البشر ص ١١١٤) أن المرحوم الميرزا عبدالرزاق خان البغايرى صاحب كتاب (معرفة القبلة) المتوفى فى سنة ١٣٧٢هـ كان من أسباط المولى محراب. توفى المولى محراب فى عام ١١٩٧ هـ[٢٩٢].

٢٨٥ــ روضات الجنات ص ٦٢٤.

٢٨٦ــ روضات الجنات ص ٦٤٨.

٢٨٧ــ روضات الجنات ص ٣٣.

٢٨٨ــ ريحانة الادب ج ٥ ص ٢٦٦.

٢٨٩ــ روضات الجنات ص ٣٣.

٢٩٠ــ روضات الجنات ص ٣٣.

٢٩١ــ ريحانة الادب ج ٥ ص ٣٨٥.

٢٩٢ــ مقدمة الشواهد الربوبية.

الطبقة الثامنة و العشرون:

١ــ المولى على النورى المازندرانى الاصفهانى. كان من اكبر الحكماء الالهيّين الاسلاميين، و من الافراد المعدودين بالانامل فى هذه القرون الأخيرة الذين نفذوا الى اعماق فلسفة المولى صدرا، بدأ بالدراسة فى مازندران و قزوين، ثم رحل الى اصفهان و استفاد من دروس آقا محمد البيدآبادى و السيد أبى القاسم المدرس الاصفهانى و تصدى بعدهم لادارة حوزة الفلسفة والحكمة فى اصفهان.

كان المولى على النورى قليل النظير بل عديم النظير فى التدريس و تشكيل الحوزات الدراسية و تربية الطلاب و طول مدة تكفله بذلك (قيل: سبعون سنة) و نشر العلوم العقلية.

و حينما بنى المرحوم محمد حسين خان المروى مدرسته فى طهران طلب من الشاه فتح على القاجارى أن يدعو المولى عليا النورى من اصفهان لتدريس المعقول فى هذه المدرسة، فدعا الشاه الشيخ لذلك و كتب الشيخ فى جوابه: فى اصفهان الفان من الطلاب مشتغلون بتحصيل الحكمة و الفلسفة، أربعمئة منهم ــ بل اكثر ــ من المتفوقين بحضور درسى يحضرون لدىّ، و اذا حضرت الى طهران تلاشت هذه الحوزة الدراسية. فطلب منه الشاه مرة اخرى أن يختار للتدريس فى هذه المدرسة احد افاضل تلامذته، فاختار الشيخ النورى المولى عبدالله الزنوزى و بعثه الى طهران لذلك [٢٩٣].

لم يكن كل هؤلاء التلامذة من حومة اصفهان، بل اشتركوا فى حوزة دراسة هذا الرجل الكبير من اكناف البلاد، و تفرقوا فى البلاد و نشروا معهم العلم و الحكمة، طوال سبعين سنة.

قال صاحب الروضات: رأيته شيخاً ابيضّت لحيته، و أناصبى. كان يحضر صلاة المرحوم السيد محمد باقر حجة الاسلام فى مسجد السيد و يجلس بعدها عنده مع أن السيد كان من تلامذته، و كان السيد حجة الاسلام والمرحوم الحاج كلباسى اللذان كانتا لهما الرئاسة و المرجعية فى اصفهان يقدمان المولىٰ عليا النورى على نفسيهما فى المجالس [٢٩٤].

و مع وجود حكماء كبار فى ذلك العهد لم تستمر الفلسفة إلاعن طريق هذا الرجل

---

٢٩٣ ــ كتب هذا المرحوم آقا على المدرس الزنوزى ابن المرحوم المولى عبدالله الزنوزى ضمن ترجمة نفسه و والده، و طبع فى مقدمة (الانوار الجلية) للمولى عبدالله الزنوزى من منشورات جامعة مك گيل.

٢٩٤ ــ روضات الجنات ص ٤٠٢.

الكبير، و قد بقيت عنه بعض الهوامش المختصرة و القصيرة على (الاسفار) فى نهاية الدقة و المتانة. قيل: و له تفسير كبير لسورة التوحيد. توفى فى سنة ١٢٤٦ هـ [٢٩٥].

٢ــ الحاج المولى أحمد النراقى بن الحاج المولى مهدى النراقى السابق الذكر. كان كوالده جامعاً للفنون مفتياً مجتهداً مرجعاً للتقليد و الفتيا. تلقى العلوم العقلية، توفى فى سنة ١٢٤٤ او ١٢٤٥ هـ [٢٩٦].

و ينقل العلامة الطهرانى فى كتابيه(الكرام البررة) و (نقباء البشر) عن كتاب (لباب الالقاب) للمرحوم المولى حبيب الله الكاشانى، اسامى جماعة من أهل العلوم العقلية فى القرنين ١٣ و ١٤ فى كاشان، يبدو من ذلك أن كاشان كانت حتى العهد القريب من مراكز العلوم العقلية. و الظاهر أن اشاعة العلوم العقلية فى كاشان كانت بسبب النراقيين.

٣ــ الميرزا مهدى بن الميرزا هداية الله الشهيد المشهدى. كان هذا الرجل من مشاهير الفقهاء و معاريف علماء ذلك العصر. و كان فى الفقه و الاصول من تلامذة الوحيد البهبهانى، و معاصراً للسيد مهدى بحرالعلوم و الشيخ جعفر كاشف الغطاء. كان اصفهانى الاصل، تعلم الحكمة من دراسات آقا محمد البيدآبادى، و أقام فى المشهد المقدس مدرّساً للفقه و الاصول و العلوم العقلية. يذكره المولى على النورى زميله فى الدراسة لدى المرحوم البيد آبادى ، فى استفتاء من الميرزا أبى القاسم القمى ــ كما فى الروضات ــ بعنوان: الميرزا مهدى المشهدى. و كان عالماً بالرياضيات تعلمها من الشيخ حسين العاملى المشهدي والد زوجته وجد أولاده، وأولاده الميرزا هداية الله والميرزا عبدالجواد و الميرزا داود كانوا أيضاً حكماء و الآخيران رياضيين أيضاً. و استمرت الحكمة و العلوم فى اسرة السيد مهدى الشهيد قرابة قرن و نصف قرن من الزمان. و المرحوم الحاج ميرزا حبيب اللّه الرضوى المجتهد الحكيم العارف و الشاعر المشهدى المعروف المتوفى ١٣٢٧ هـ كان حفيده او سبطه، و كذلك المرحوم آقا بزرگ الحكيم الشهيدى المشهدى استاذ الفلسفة فى خراسان فى منتصف القرن الرابع عشر الهجرى القمرى المتوفى فى ١٣٥٥ هـ كان حفيده اوسبطه و سيأتى ذكره.

كان الميرزا مهدى يدرّس اشارات الشيخ الرئيس و بعض كتب الرياضيات. ولد عام ١١٥٢هـ. استشهد فى المشهد المقدس دفاعاً عن حقوق الناس مقاوماً لاختلاس نادر ميرزا حفيد نادرشاه من اموال العتبة المقدسة الرضوية، على يد نادر ميرزا [٢٩٧].

٢٩٥ــ روضات الجنات ص٦٤٧.

٢٩٦ــ ريحانة الادب ج٦ ص ١٦٠.

٢٩٧ــ تراجع مقدمة حسن حبيب لديوان المرحوم الحاج ميرزا حبيب الرضوى من ص٨٦ فما بعد.

الطبقة التاسعة والعشرون:

١ــ ميرزا حسن النورى بن المولى على النورى، تعهد بالدراسة بعد والده، و شكل حوزة يعبأبها. و ممن استفاد من دراساته كثيراً المرحوم آقا على المدرس الزنوزى، الطهرانى ــ يأتى ذكره ــ حينما رحل الى اصفهان. و قد نقل الاستاذ جلال الدين همائى فى مقدمة كتابه أن بعض العلماء رجحوا الولد على الوالد فى الفلسفة. و ليس اليوم لدينا منه أثر يذكر كى يحكم له بذلك الا أن تلميذاً كالسيد على المدرس شاهد صدق على مراتب فضله. و على أى حال فهو ممن له دور مؤثر فى نقل الفلسفة من السابقين الى اللاحقين.

٢ــ المولى اسماعيل بن المولى محمد سميع الدرب كوشكى الاصفهانى المعروف بواحد العين. كان من أجلاّء تلامذة المولى على النورى و أساتذة الحاج المولى هادى السبزوارى. كانت له حوزة دراسية يعتدّ بها. له هوامش على الاسفار و المشاعر للمولى صدرا و شوارق اللاهيجى، و شرح لعرشيته. توفى فى سنة ١٢٧٧ هـ [٢٩٨].

٣ــ المولى عبدالله الزنوزى. هو الذى بعثه الحكيم النورى من اصفهان الى طهران يطلب من محمد حسين خان المروى لتدريس الفلسفة فى مدرسته. و من حينه بدأت مركزية طهران للدراسة تقوى و ضعفت مركزية اصفهان لذلك.

درس المقدمات فى آذربايجان ــ كما ذكر ابنه آقا على المدرس ــ ثم ذهب الى كربلاء المقدسة و تمتع بدراسة الفقه فى حوزة المرحوم صاحب الرياض، ثم رجع الى قم المقدسة فتمتع بحضور دروس الميرزا القمى المجتهد المعروف (صاحب القوانين) ثم رحل الى اصفهان فتعلم الحكمة بحضور دروس الحكيم النورى ثم انتقل الى طهران عام ١٢٣٧ هـ. و بعد عشرين عاماً من التدريس فى مدرسة مروى رحل الى جوار رحمة الله سنة ١٢٥٧ هـ [٢٩٩].

٤ــ المولى محمد جعفر اللنگرودي اللاهيجى، كان معاصراً للمولى عبدالله الزنوزى و تلميذاً للسيد أبى القاسم المدرس الاصفهانى و المولى محراب الگيلانى و لاسيما المولى على النورى. اثره المعروف (شرح المشاعر) للمولى صدرا، طبع أخيراً بمناسبة المئة الرابعة لميلاد المولى صدرا مع مقدمة بالانجليزية بقلم الدكتور السيد حسين نصر ومقدمة بالفارسية بقلم الاستاذ جلال الدين همائى ومقدمة بالفارسية اخرى بقلم الاستاذ السيد جلال الدين اشتيانى. و

---

٥ «برگزيده اى از اشعار سه شاعر بزرگ اصفهان».

٢٩٨ ــ ريحانة الادب ج ٦ ص ٢٨٥.

٢٩٩ ــ تراجع مقدمة آقا على الزنوزى ابن المرحوم فى مقدمة (الانوار الجلية) من مؤلفات والده، طبع أخيراً فى جامعة مك گيل ــ القسم الاسلامى.

له بالاضافة الى شرح المشاعر هوامش على شرح التجريد للقوشجى و حاشية الخفرى على شرح التجريد للقوشجى ألفها أيام السلطان محمد شاه القاجارى عام ١٢٥٥هـ.

لانعلم تاريخ وفاته، و كتب همائى يقول: كانت وفاته قبل عام ١٢٩٤هـ على التحقيق.

و العجيب أن المرحوم العلامة الطهرانى الشيخ آقا بزرگ فى كتابه (الكرام البررة فى علماء القرن الثالث بعد العشرة ص ٢٣٩ و ص ٢٥٧) يذكر ثلاثة حكماء معاصرين باسم واحد من گيلان: الشيخ جعفر اللاهيجى و الشيخ محمد جعفر اللنگرودى و الشيخ محمد جعفر اللاهيجى. شرح المشاعر و كتب هوامش على الهيات شرح التجريد.

و من المستبعد جداً وجود ثلاثة حكماء بهذا الاسم فى عصر واحد من منطقة واحدة.

٥ــ المولى آقا القزوينى. كان هذا الرجل من أفاضل تلامذة المولى على النورى [٣٠٠] شكل حوزة عامرة فى قزوين بعد رجوعه من اصفهان و اسرع اليه الفضلاء من كل مكان. و كتب المرحوم آقا على المدرّس الزنوزى فى ترجمته لنفسه أنه رحل الى قزوين للاستفادة من فيض دروس هذا الرجل. و هو من تلامذة المولى اسماعيل الاصفهانى اكبر تلامذة المولى على النورى [٣٠١].

و بهذا الاعتبار يمكن أن نعده فى الطبقة الثلاثين من معاصرى السبزوارى. توفى فى ١٢٨٢ هـ [٣٠٢].

الطبقة الثلاثون:

١ــ الحاج المولى هادى السبزوارى، أشهر الحكماء الالهيّين فى القرون الآخيرة بعد المولى صدرا. ولد سنة ١٢١٢ فى سبزوار. كان له سبع سنين حين توفى والده، ولما بلغ العاشرة ذهب للدراسة الى المشهد المقدس و أقام بها عشر سنين، حتى جذبه صيت حكماء اصفهان الى تلك المدينة و استفاد فيها مدة سبع سنين من دراسات المولى اسماعيل الدرب كوشكى الاصفهانى، و ثلاث سنين من دروس الحكيم النورى، ثم رجع الى المشهد المقدس و تصدى للتدريس ثم عزم على الحج الى بيت الله الحرام و فى ايابه أقام ثلاث سنين بكرمان و حاول أن لايعرف بها كى يرتاض و يربى نفسه فيها و لذلك قام فى جميع تلك المدة بمساعدة خادم

٣٠٠ــ الكرام البررة للعلامة آقا بزرگ الطهرانى ص ١٥١.

٣٠١ــ مقدمة الاشتيانى لشرح المشاعر للاهيجى ص ٤٥.

٣٠٢ــ مقدمة الاشتيانى للانوار الجلية ص ٥.

المدرسة فی خدمة الطلاب، حتی خطب ابنة الخادم و تزوجها ثم سافر الی سبزوار. و توقف بها أربعین عاماً من دون أن یخرج منها حتی مرة واحدة، و اشتغل بالمطالعة و التحقیق و التدریس و التألیف و العبادة و ریاضة النفس و تربیة الطلاب حتی الوفاة.

ولم یبلغ بعد الحکیم النوری احد مبلغ الحکیم السبزواری فی تشکیل حوزة فلسفیة عامرة و اجتذاب الطلاب من الاطراف و تربیتهم و نشرهم فی البلاد. و قلاطار صیته فی جمیع اکناف ایران و أقسام من خارجها، و اسرع الیه طلاب الحکمة من کل مکان، و أصبحت سبزوار المدینة المتروکة الهادئة قبلة طلاب الحکمة من اثر وجود هذا الحکیم العظیم بها.

کان کنت گوبینو الفیلسوف الفرنسي المعروف ــ صاحب النظریة المعروفة فی فلسفة التاریخ ــ الوزیر المختار لفرنسا فی ایران علی عهد شهرة الحکیم السبزواری، و کتب کتاباً عن ایران بعنوان (ثلاث سنین فی ایران) یقول فیه: «طبقت شهرته العالم حتی اقبل الیه طلاب کثیرون من الهند و ترکیا و الحجاز للاستفادة من دراساته الفلسفیة فی سبزوار بمدرسته العلمیة»[٣٠٣].

کان الحکیم السبزواری حسن البیان و التقریر، و تدریسه کان عن شوق وجاذبیة، وکان بالاضافة الی مقاماته العلمیة والحکمیة صاحب ذوق عرفانی عظیم، وکان صاحب مراقبة و تعبد وانضباط وتدیّن، سالکاً الی الله.

مجموعة هذه الاوصاف هی التی جعلت تلامذته یحبونه کحب الغرام، فانه لا مثیل له فی جاذبیته فی التدریس و العلاقة بینه و بین طلابه، حتی کان بعض تلامذته یذکرونه بعد فاصلة زمنیة امتدت اربعین عاماً فیهیجون و یبکون لاجله.

تلامذته کما اطلعنا علیهم هم:

١ــ المولی عبدالکریم خبوشانی (القوجانی) له حاشیة علی منظومة المنطق.

٢ــ میرزا حسین السبزواری المقیم بطهران استاذ المولی محمد الهیدجی و المیرزا علی اکبر الیزدی المقیم بقم المقدسة[٣٠٤].

٣ــ الحاج میرزا حسین العلوی السبزواری المقیم بسبزوار، الذی لامثیل له فی التحقیق[٣٠٥].

---

٣٠٣ ــ مقدمة «مؤسسة المطالعات الاسلامیة فی جامعة مک گیل» لشرح منظومة السبزواری من طبع المؤسسة، نقلاً عن کتاب «المذاهب والفلسفة فی القرون الوسطی» من تألیف کنت گوبینو.

٣٠٤ ــ ریحانة الادب ج ٦ ص ٣٨١ ونقباء البشر ص ٥٠٢.

٣٠٥ ــ نقباء البشر ص ٥٦٩.

٤ ــ الحكيم عباس الدارابى استاذ الفلسفة الشهير فى مقاطعة فارس [٣٠٦].

٥ ــ الشيخ ابراهيم السبزوارى استاذ شيخ الرئيس القاجارى [٣٠٧].

٦ ــ الشيخ محمد ابراهيم الطهرانى الذى كانت له مكاتبات مع الحكيم السبزوارى، وقدرآها العلامة الطهرانى عند الشيخ محمد جواد الجزائرى [٣٠٨].

٧ ــ السيد ابوالقاسم الموسوى الزنجانى [٣٠٩].

٨ ــ السيد عبدالرحيم السبزوارى [٣١٠].

٩ ــ المولى محمد الصباغ [٣١١].

١٠ ــ الشيخ محمد رضا البروغنى استاذ الشيخ هادى البيرجندى [٣١٢].

١١ ــ الميرزا عبدالغفور الدارابى [٣١٣].

١٢ ــ المولى غلام حسين شيخ الاسلام المشهدى استاذ الحاج فاضل الخراسانى وآقا بزرگ الشهيدى المشهدى [٣١٤].

١٣ ــ الميرزا محمد السروقدى استاذ الحاج فاضل الخراسانى وآقا بزرگ الشهيد المشهدى [٣١٥].

١٤ ــ الشيخ على الفاضل التبتى [٣١٦].

١٥ ــ ميرزا آقا حكيم الدارابى [٣١٧].

١٦ ــ ميرزا محمد اليزدى [٣١٨].

١٧ ــ الحاج ميرزا ابوطالب الزنجانى [٣١٩].

١٨ ــ الحاج المولى اسماعيل العارف البجنوردى [٣٢٠].

١٩ ــ الشيخ عبدالحسين شيخ العراقين [٣٢١].

٢٠ ــ ميرزا محمد الحكيم الالهى [٣٢٢].

ان اكبر حسنات الحكيم السبزوارى هو المرحوم الحكيم الربانى و العارف الكامل الالهى و الفقيه المعروف الآخوند مولى حسين قلى الهمدانى الدرجزينى قدس سره، هذا الرجل

---

٣٠٦ ــ نقباء البشر،ص ٩٨٣.

٣٠٧ ــ نقباء البشر،ص ٣.

٣٠٨ ــ الكرام البررة،ص ٦.

٣٠٩ ــ نقباء البشر،ص ٥١.

٣١٠ ــ نقباء البشر،ص ٧٢٧.

٣١١ ــ نقباء البشر،ص ٨٥٤.

٣١٢ ــ نقباء البشر،ص ٧٢٧.

٣١٣ـ٣٢٢ ــ مقدمة الاشتيانى لرسائل الحكيم السبزوارى ص ٦٧ ــ ص ٨٢.

الكبير و الكريم الذى كان ابن فلاح طاهر الطينة رحل من همدان الى طهران لطلب العلم، ثم جذبه صيت الحكيم السبزوارى و شهرته و جاذبيته المعنوية الى سبزوار، و اشترك فى حوزة ذلك الحكيم مدة لا اعلم تاريخها و مقدارها، ثم تشرف الى العتبات المقدسة ودخل فى زمرة طلبة استاذ المتأخرين الحاج الشيخ مرتضى الانصارى (ره) لتكميل العلوم الشرعية.

و فى تلك الايام تشرف بلقاء الآقا سيد على الشوشترى و طوى مراحل السير و السلوك الى الله لدى هذا العالم الجليل و توصل هو الى مقام من الكمال و المعرفة لايعلم له مثيل إلاقليلاً.

و لو كان تلامذة حوزة الحكيم السبزوارى يفتخرون بالحضور فى تلك الحوزة، فان تلك الحوزة تفتخر بحضور رجل كهذا.

ان حوزة دراسة المرحوم الآخوند مولى حسين قلى كانت حوزة تربية اكثر من التعليم، حوزة لتربية الانسان الأكثر كمالاً. و قد تخرج في هذه الحوزة رجال كبار يمكن التوصل الى سعة رقعة هذه التربية بمطالعة مواضع متفرقة من كتاب (نقباء البشر).

و يستفاد من المدارک والاسناد المنشورة بشأن السيد جمال الدين الأسدآبادى المعروف بالأفغانى[٣٢٣] أن السيد استفاد من الحضور لدى شخصين فى مدة اقامته فى النجف الاشرف: احدهما الشيخ الانصارى، و الآخر الآخوند مولى حسين قلى. بالنظر الى التصريح بأن السيد جمال الدين كان مشتغلاً بالدراسة فى النجف الأشرف، و بالاضافة الى ما يستفاد من ذلك من بعض آثاره، و التصريح بأن السيد جمال الدين كان يستفيد من دراسات هذين العلمين، يظهر أن السيد كان يحضر فى العلوم العقلية لدى ابن بلدته الآخوند الهمدانى. و على هذا فالسيد جمال من تلامذة تلامذة الحكيم السبزوارى.

حسب المدارک الموجودة كان السيد جمال الدين فى مدة اقامته فى النجف الاشرف مع السيد سعيد الحبوبى و السيد أحمد الكربلائى الطهرانى من تلامذة الآخوند الهمدانى المعروفين بالخضوع و سلوک مراحل السير الى الله، و كانت بينهم صداقة قوية[٣٢٤]. و هذا جانب من جوانب شخصية هذا الرجل الخارق للعادة و بعد جديد من أبعاد حياته لم نر أحداً تنبه اليه.

كان الحكيم السبزوارى ينظم الشعر بالفارسية والعربية، وكنى نفسه فى الشعر الفارسى بكلمة (أسرار) و هو و ان كانت له اشعار غير قوية فى النظم فى القسمين العربى و

٣٢٣ــ يراجع بالفارسية: «سيد جمال الدين الحسينى پايه گذار نهضت هاى اسلامى» ص٢٦ ــ ٣١. و«مجموع أسناد و مدارک دربارهٔ سيد جمال» للدكتور ايرج افشار و اصغر مهدوى.

٣٢٤ــ نفس المصدر.

الفارسی، الا أن له أشعاراً فی القسمین ایضاً فی کمال الجمال والنظم.

توفی الحکیم السبزواری سنة ۱۲۸۹ ه فی حالة من الغیبوبة واللاّوعی ونظم احد تلامذته بیتین یؤرّخ بهما وفاة الاستاذ الحکیم قال فیهما مامعناه:

لما مضی (أسرار) من هذی الدُنی — بلغ الأنین من الثری للعرش
قد قلت فی تاریخه أن أرّخوا: — بلغ الحیاة ولم یمت (أسرار): (۱۲۸۹ه) [۳۲۵]

۲ــ آقا علی الزنوزی المعروف بآقا علی حکیم و آقاعلی المدرس. ابن المولی عبدالله الزنوزی السابق الذکر، وهومن الأساتذة قلیلی المثیل فی القرن الأخیر. ولدفی اصفهان عام ۱۲۳٤ ه ای قبل رحلة والده من اصفهان الی طهران بثلاث سنین. استفاد کثیراً من علومه الشرعیة والعقلیة من والده، ثم هاجر الی العتبات المقدسة لتکمیل دراساته، ثم رجع الی اصفهان و تمتع بالحضورلدی دراسات المیرزاحسین النوری ابن المولی علی النوری. ثم ذهب الی قزو ین واستفادمن دروس المولی آقا القزو ینی، ثم رجع مرة اخری الی اصفهان الی دروس المیرزا حسن النوری لتکمیل دراساته، و اخیراً رجع الی طهران و أصبح مدرساً رسمیاً فی مدرسة (سپهسالار) القدیمة [۳۲٦] حتی توفی فی طهران سنة ۱۳۰۷ ه .

۳ــ آقا محمد رضا الحکیم القمشه ای. کان من اعاظم الحکماء و أساطین العرفاء فی القرون الأخیرة. و هو من أهل مدینة (قُمْشه = شهرضا) هاجر فی شبابه الی اصفهان للدراسة و تمتع بالحضور لدی المیرزا حسن النوری [۳۲۷] و المولی محمد جعفر اللنگرودی [۳۲۸] و تعهد التدریس مدة سنین فی اصفهان، و قبل عشر سنین من نهایة عمره هاجر الی طهران و سکن فی مدرسة الصدر و تصدی للتدریس هناک و استفاد منه عدة من الفضلاء، و هی السنین التی ذاع فیها صیت المرحوم.

کان متواضعاً عارفاً، یأنس بالوحدة و الخلوة و یستوحش من المجتمعات. و کان ثریاً فی شبابه الا أنه صرف مایملکه من المنقول وغیرالمنقول للمعوزین فی سنین جافة جافیة (۱۲۸۸ ه) و عاش فقیراً حتی نهایة عمره.

کانت أیام ارتحاله الی طهران أیام شهرة آقا علی المدرس الزنوزی والمیرزا ابی الحسن جلوه، و مع أنه کان یذهب مذاهب المولی صدرا درّس کتب ابن سینا و کسر بذلک مجالس

۳۲۵ــ من تعریب المعرّب، والاصل:

اسرار چو از جهان بدر شد — از فرش به عرش ناله بر شد
تاریخ وفاتش ار بجوئی — گوم: که نمرد، زنده‌تر شد

۳۲٦ــ مقدمة الانوار الجلیة بقلم المرحوم نفسه.

۳۲۷ــ مقدمة رسالة (ولایت) للحکیم القمشه ای ص ۲ بالفارسیة.

۳۲۸ــ مقدمة همائی لکتاب (برگزیدهٔ دیوان سه شاعر اصفهان) ص۲۱. بالفارسیة.

دروس الميرزا أبى الحسن جلوة مع تخصّصه فى فلسفة ابن سينا، حتى اشتهر: أن الجلوة سقط عن الجلوة اى الشهرة و الصيت!.

لم يخرج الحكيم قمشه اى عن زىّ القروتين ولم يدخل فى زىّ العلماء أبداً. و قد نقل المرحوم جهان گير القشقائى الذى كان تلميذ الحكيم قمشه اى قال: رحلت الى طهران بدافع شوق الاستفادة من دروس الحكيم قمشه اى، و فى نفس الليلة الاولى وصلت اليه فرأيته ليس فى زىّ العلماء و انما يشبه بائعى الاقمشة القروية (قرية: سِدِهْ، من قرى اصفهان) عرضت عليه حاجتى فقال: ميعادى معك بكرىٰ فى الخرابات، و هى محل بخارج خندق طهران القديم، و كان هناك مقهى لدرويش. ذهبت بكرى مع كتاب أسفار المولى صدرا، فرأيته فى خلوة على حصير. فتحت الكتاب فكان يقرأ من حفظه ثم يأخذ فى تحقيق المطلب، فرأى الحكيم فىّ حالة من الوَجْد و الطَرَبْ فقال: اجل! انّ حرارة الخمرة تستبدّ بالابريق فتكسره! [٣٢٩].

كان الحكيم قمشه اى ذا ذوق شعرى قوى، ويكنّى نفسه فى الشعر الفارسى بكلمة (صهبا) توفى عام ١٣٠٦ فى حجرته فى المدرسة فى وحدة و خلوة وسكون. و كان يوم وفاته مصادفاً لوفاة مفتى البلد الكبير المرحوم الحاج المولى على الكنى، و كانت الضجة قائمة فى البلد لوفاته، ولم يطّلع احباؤه على وفاته إلّا بعد ساعات من ذلك، فسارعوا الى تجهيزه و دفنوه فوق رأس المرحوم الكنى [٣٣٠].

مات الحكيم السبزوارى كما عاش وحيداً، و عاش كما قال هو فى بيت من الشعر معناه:

هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم و أما أنا فار يدزاوية والخربات ليست قليلة!

و قد عنى الحكيم قمشه اى بتربية تلامذة كثيرين منهم:

آقا ميرزا هاشم الاشكورى، و آقاميرزا حسن الكرمان شاهى، و آقا ميرزا شهاب النيريزى، و جهان گير خان القشقائى، و الآخوند المولى محمد الكاشى الاصفهانى، و الميرزا على اكبر اليزدى مقيم قم المقدسة، و الشيخ على النورى مدرس مدرسة المروي المعروف بالشيخ على شوارق، والميرزا محمد باقر الحكيم و المجتهد الاصطهباناتى مقيم النجف الاشرف الذى قتل فى الحركة الدستورية (المشروطة) و دفن فى اصطهبانات، والحكيم صفا الاصفهانى الشاعر العارف المعروف، و الشيخ عبدالله الرشتى الرياضى، و الشيخ حيدرخان النهاوندى

٣٢٩ــ مقدمة رسالة (ولايت) للحكيم قمشه اى ص ١٤.

٣٣٠ــ مقدمة همائى لكتاب (برگزيدهٔ ديوان سه شاعر اصفهان).

القاجارى، و الميرزا ابوالفضل كلانتر الطهرانى، و الميرزا سيد حسين الرضوى القمى، و الشيخ محمود البروجردى، و الميرزا محمود القمى [٣٣١].

٤ــ ميرزا ابوالحسن جلوه. كان من مشاهير أساتذة و مدرّسى هذه الطبقة. درّس سنين متمادية و ربّى تلامذة كثيرين. ولد سنة ١٢٣٨ هـ و توفى فى سنة ١٣١٤ هـ. كان المرحوم جلوه يدافع عن فلسفة ابن سينا ولم يكن يعتقد بفلسفة المولى صدرا. و كان اصفهانيا هاجر الى طهران. و هو تلميذ الميرزا حسن النورى و الميرزا حسن الچينى من تلامذة المولى على النورى. قيل: ان جلوه جاء الى طهران ليذهب الى سبزوار ليستفيد من دروس الحاج سبزوارى و لكنه اعرض عن هذا و أقام بطهران. و دارت حوزة الفلسفة فى طهران فى اواخر القرن الثالث عشر و أوائل القرن الرابع عشر على محور هؤلاء الثلاثة: جلوه، و الحكيم قمشه اى و آقا على المدرّس. و الأخيران كانا متقدمين على جلوة علمياً. و اكثر تلامذتهم مشتركون.

الطبقة الحادية و الثلاثون:

١ــ الميرزا هاشم الاشكورى الرشتى، كان من أساتذة الفلسفة و العرفان فى عصره، و قد ترى فى حوزة دراساته المباركة تلامذة كثيرون. و هو أحد الاركان المتوسطة الناقلة للفلسفة و العرفان الى الطبقات الآتية. شهرته بين معاصريه بالعرفان النظرى. له هوامش على مصباح الانس للفناري الذى هو شرح لمفتاح الغيب للقونوى، و هى مطبوعة و لكنها مع الأسف طبعة رديئة تذهب بالعينين ثمناً لقراءتها! كان من تلامذة الحكيم قمشه اى و آقا على المدرس والميرزا جلوه. توفى فى سنة ١٣٣٢ هـ.

٢ــ ميرزا حسن الكرمانشاهى، معاصر الاشكورى، و هو تلميذ الأساتذة الثلاثة الآنفى الذكر. هو ايضاً ممن ربّى تلامذة كثيرين و من أركان انتقال الفلسفة الى الطبقات المتأخرة. توفى فى سنة ١٣٣٦ هـ.

٣ــ ميرزا شهاب الدين النير يزى الشيرازى، تلميذ الحكيم قمشه اى والميرزا جلوه، و كانت له مهارة تامة فى الفقه و الاصول أيضاً. و كانت له طول ممارسة فى العرفان النظرى على مسلك محيى الدين ابن العربى. أقام الحكيم النير يزى بمدرسة الصدر التى كانت قبلهم مقر استاذهم الحكيم قمشه اى و اخذ فى التحقيق و التدريس و تربية التلامذة، له رسالة فى «حقيقة

٣٣١ــ يراجع: نقباء البشر ص ٧٣٣ و ٦٩٠ و ١١٨٥. ومقدمة رسالة المرحوم الحكيم قمشه اى فى (الولاية و الخلافة الكبرى) التى هى هوامش على فص من فصوص الحكم ــ ص ٢.

الوجود» كانت موجودة لدى المرحوم الشيخ آقا بزرگ الطهرانى [٣٣٢].

٤ــ الميرزا عباس الشيرازى الدارابى المعروف بالحكيم عباس. كان من أساتذة الفلسفة فى محافظة فارس. وهوتلميذالحكيم السبزوارى وقد ذكرناه. و كتب العلامة الطهراني يقول: كان بارعاً فى المعقول و المنقول، كتب الاسفار بخطه وكتب عليه هوامش لنفسه، و شرح دعاء كميل، و قصيدة ميرفندرسكى. و من تلامذته الشيخ أحمد الشيرازى النجفى المعروف بلقب (شانه ساز) و الميرزا ابراهيم النير يزى من مدرّسى الحكمة فى شيراز[٣٣٣]. و يقول العلامة الطهرانى: لا أعلم تار يخ وفاته. الا أن فرصة الدولة الشيرازى كتب فى (آثار العجم) أن وفاته كانت فى سنة ١٣٠٠ هـ. و قبره بمقبرة حافظ الشيرازى.

٥ــ جهان گيرخان القشقائى. اشتاق الى تحصيل العلم فى كبره و تتبّع ذلک حتى اصبح استاذ الفلسفة فى اصفهان. كان المرحوم القشقائى بالاضافة الى مقامه العلمى و الفلسفى نموذجاً فى الوقار و الانضباط و المتانة الأخلاقية والتقوى. بقى الى آخر عمره فى ملابسه الاولى و كان تلامذته يحبونه حباً جمّاً. كان تلميذ المرحوم آقا محمدرضا قمشه اى، و يحتمل أن يكون قد ادرک فى بداية دراسته دروس الميرزا عبدالجواد الحكيم الخراسانى المقيم باصبهان و المولى اسماعيل الاصفهانى الدرب كوشكى[٣٣٤] ولد جهان گير خان فى عام ١٢٤٣ فى بلدة دهاقان من قرى اصفهان وتوفى فى اصفهان سنة ١٣٢٨ و دفن بهاو قبره فى مقبرة (تخت فولاد).

٦ــ الآخوند المولى محمد الكاشى المقيم باصفهان، معاصر جهان گيرخان و تلميذ الآقا محمد رضا قمشه اى، كان يقيم بمدرسة الصدر باصفهان و بقى حتى آخر عمره مجرداً مثل جهان گيرخان. كان رجلاً ر ياضياً تظهر عليه حالات عجيبة. كثير من الاكابر كانوا من تلامذته منهم المرجع الكبير المرحوم السيد الحاج آقا حسين البروجردى[٣٣٥] والشيخ حاج آقا رحيم أرباب[٣٣٦]. توفى الآخوند الكاشى سنة ١٣٣٢ فى اصفهان و دفن فى مقبرة (تخت فولاد) قرب جهان گيرخان.

٧ــ آقا ميرزا محمد باقر الاصطهباناتى، هو أيضاً من تلامذة آقا على الحكيم و الحكيم

٣٣٢ــ نقباء البشر ص ٨٤٥.

٣٣٣ــ نقباء البشر ص ٩٨٣.

٣٣٤ــ مقدمة همائى لشرح اللنگرودى على مشاعر المولى صدرا ص ١١.

٣٣٥ــ سمعت ذلک منه سنة ١٣٢٢ (شمسى) حينما كنت احضر دروسه فى بروجرد.

٣٣٦ــ توفى رحمه الله عام ١٣٩٨ هـ.

قمشه‌ای والمیرزا جلوه. ذهب لتکمیل دراساته العقلیة الی العتبات المقدسة، و هناک درس لدیه العلوم العقلیة جماعة منهم المحقق الکبیر المرحوم الحاج الشیخ محمد حسین الاصفهانی الغروی و المرحوم الحاج الشیخ غلام‌رضا الیزدی. قتل فی الحرکة الدستوریة (المشروطة) سنة ۱۳۲۶ فی اصطهبانات [۳۳۷].

۸ــ المیرزا علی اکبر الحکمی الیزدی القمی. کان من تلامذة الأساتذة الثلاثة الآنفی الذکر بالاضافة الی السید میرزا حسین السبزواری المقیم بطهران [۳۳۸]. و لعله درس عند الاخیر الریاضیات [۳۳۹] و کان فی اواخر عمره مقیماً فی قم المقدسة و بعدان انتقل المرحوم الحاج الشیخ عبدالکریم الحائری الی قم المقدسة و شکّل الحوزة العلمیة واجتمع الفضلاء حوله، حضر لدیه جماعة منهم المرحوم الحاج السید محمد تقی الخونساری من مراجع التقلید فی عصرنا و الحاج السید أحمد الخونساری احد مراجع التقلید المعاصرین و استاذ الکبار من المراجع المعاصرین [۳۴۰] والظاهر أنه توفی فی سنة ۱۳۴۵ هـ.

۹ــ الحاج الشیخ عبدالنبی النوری، جامع المعقول و المنقول. کان فی المنقول تلمیذ المرحوم المیرزا الشیرازی الکبیر و فی المعقول تلمیذ آقا علی المدرّس. و من المحتمل أن یکون قد تتلمذ لدی قمشه‌ای و جلوه. توفی فی سنة ۱۳۴۴ و دفن فی حضرة عبدالعظیم فی مقبرة ناصرالدین شاه القاجاری. کان المرحوم الحاج الشیخ عبدالنبی معروفاً بالجامعیة و حضور الذهن فی مسائل العلوم المختلفة، والتقوی. و تتلمذ علیه المرحوم الشیخ محمد تقی الآملی الفقیه و الحکیم المعاصر المتوفی فی ۱۳۹۱ هـ مدة اربعة عشر عاماً.

۱۰ــ الحاج میرزا حسین العلوی السبزواری تلمیذ الحاج السبزواری فی المعقول و تلمیذ المیرزا الشیرازی فی المنقول. کان معروفاً بالذکاء والحفظ. قیل: ان التعظیم الذی ابداه المیرزا الشیرازی فی اجازة اجتهاده لم یعمله لاحد غیره. و نأسف أن عمره ذهب عبثاً فی سبزوار من دون أن یستفاد منه استفادة یعتدبها. ولد سنة ۱۲۶۸ هـ و توفی فی عام ۱۳۵۲ هـ [۳۴۱].

۳۳۷ــ نقباء البشر، ص ۲۱۲.

۳۳۸ــ ریحانة الادب ج ۶ ص ۳۸۱ فی ترجمة المولی محمد الهیدجی.

۳۳۹ــ اذ کان اکثر تخصصه فی الریاضیات.

۳۴۰ــ هو سماحة آیة الله العظمی نائب الامام السید روح الله الموسوی الخمینی دامه ظله قائد الثورة الاسلامیة المبارکة المظفرة. وانما کنی عنه تقیة، لأنه کتب الکتاب فی عهد الشاه حیث کان الاعلان باسم الامام یکفی لمواجهة اشد العقوبات ــ المعرب.

۳۴۱ــ نقباء البشر ص ۵۶۹.

١١ــ الشيخ غلام حسين شيخ الاسلام الخراسانى. كان من تلامذة الحاج السبزوارى، ادرک درسه مدة ست سنين فى سبزوار، وحمل مشعل العلوم العقلية مدة سنين فى المشهد المقدس. يذكر اسمه مع المرحوم الحاج ميرزا حبيب فى قصة «سراچه» (و هى قصة معروفة فى مشهد) [٣٤٢].

كان من تلامذته المرحوم الحاج الشيخ عباس على الخراسانى المعروف بالحاج فاضل. ولد فى سنة ١٢٤٦ هـ وتوفى فى عام ١٣١٩ هـ [٣٤٣].

١٢ــ الميرزا محمد السروقدى المشهدى، كان من تلامذة الحاج السبزوارى و مدرّسى العلوم العقلية فى المشهد المقدس، و حضر لديه الحاج فاضل الخراسانى [٣٤٤].

١٣ــ المولى محمد الهيدجى الزنجانى، بعد أن درس المقدمات فى زنجان و قزو ين رحل الى طهران و استفاد علم الر ياضيات من دراسات آقا ميرزا محمد حسين السبزوارى المقيم بطهران، و الحكمة و الفلسفة من دروس الميرزا جلوه. و لتكميل معلوماته سافر الى العتبات المقدسة و هناک اكمل دراساته العقلية و الشرعية. و بعد رجوعه الى طهران اصبحت له حوزة دراسية خاصة. له هوامش على شرح المنظومة للحكيم السبزوارى مطبوعة. كان متمتعاً بصفاء النفس و تهذيبها و بقى كبعض اسلافه مجرداً حتى نهاية عمره وتوفى فى سنة ١٣٣٩ هـ . كان ينظم الشعر بالفارسية والتركية جيداً[٣٤٥] له وصية حكيمة واعظة طبعت فى آخر ديوانه المطبوع.

الطبقة الثانية والثلا ثون:

١ــ الحاج الشيخ عباس على الفاضل الخراسانى، كان فى العلوم العقلية من تلامذة الحكيم السبزوارى و فى الشرعية من تلامذة المرحوم الميرزا الشيرازى الكبير كما سلف. وهو من نماذج الفضائل والجامعية فى القرن الأخير.

نماذج الفضل والدقة و التحقيق و الجامعية فى القرن الأخير ثلا ثة: الحاج فاضل

٣٤٢ــ تراجع مقدمة حسن حبيب لديوان المرحوم الحاج ميرزا حبيب الشهيدى الخراسانى ص ٢٥ ــ ٣٧.

٣٤٣ــ مقدمة الشواهد الربوبية ص ١٤٦.

٣٤٤ــ مقدمة الشواهد الربوبية ص ١٤٦.

٣٤٥ــ ريحانة الادب ج ٦ ص ٣٨١.

الخراسانى فى المشهد المقدس، و الحاج الشيخ عبدالنبى النورى فى طهران، و الحاج ميرزا حسين العلوى السبزوارى فى سبزوار. و قيل ان الحاج ميرزا حسين كان افضلهم. أما الحاج فاضل فقد كان المدرّس الرسمىّ لكتب الفلسفة فى حوزة مشهد العامرة على عهده. توفى فى مشهد فى سنة ١٣٤٤ اى فى نفس السنة التى توفى فيها معاصره فى طهران.

٢ــ الميرزا العسكرى الشهيدى المشهدى المعروف بآقا بزرگ الحكيم. هو من احفاد المرحوم الميرزا مهدى الشهيد المشهدى معاصر المولى على النورى و ذكرا فى الطبقة الثامنة والعشرين، و قلنا ان اسرة الشهيدى لازالت بيت العلم و الحكمة والروحانية طوال قرن و نصف قرن من الزمان. المرحوم آقا بزرگ ابن المرحوم ميرزا ذبيح الله، و هو ابن و تلميذ المرحوم ميرزا هداية الله و هوابن و تلميذ المرحوم الميرزا مهدى الشهيد تلميذ المرحوم آقا محمد البيدآبادى والشيخ حسين العاملى.

ولم نطلع على شيء فى دراسات المرحوم آقا بزرگ، و الظاهر أنه كان تلميذ والده و المرحوم المولى غلام حسين شيخ الاسلام و الميرزا محمد السروقدى فى المشهد المقدس قبل ارتحاله الى طهران، ثم انتقل الى طهران فادرك بعض دروس المرحوم جلوه و درس أيضاً لدى الحكيم الاشكورى و الحكيم الكرمان شاهى.

و قد ادركته و رأيته شيخاً كبيراً متواضعاً قد ابيضت لحيته حينما كنت بادئاً بالدراسة فى مشهد (٥٢ ــ ١٣٥٤ هـ) له ولد باسم الميرزا مهدى كان يلمع كنجمة فى الفضل و الفضيلة فى حوزة مشهد، كان يدرّس الاسفار و شرح المنظومة و الكفاية، و كان عمره بين الثلاثين و الاربعين، توفّى شاباً سنة ١٣٥٤ هـ و اصبحت مشهد ضجة واحدة، وتوفى والده بعده بسنة واحدة، و بوفاته اغلقت اضبارة العلم و الحكمة فى هذه الاسرة الشريفة فى مشهد.

كان المرحوم آقا بزرگ معروفاً بالتواضع و صراحة اللهجة والتحرر، و كان يعيش فى منتهى الفقر و مع ذلك لايقبل من أحد شيئاً، و بعد أن اطلع على فقره احد علماء طهران ممن كانت له مع المرحوم سابقة صداقة، اتصل بالمقامات الحكومية و صدر له قرار بتعيين راتب، فلما وصل القرار مع رسالة ذلك العالم الصديق واطلع المرحوم على محتوى الرسالة تأذّى كثيراً من عمل هذا العالم الطهرانى و كتب فى ظهر الرسالة رادّاً لها وللقرار: نحن لانذهب بماء وجوهنا القانعة!

٣ــ آقا سيد حسين البادكوبه اى. ولد فى قرية من قرى مدينة بادكوبه[٣٤٦] سنة

٣٤٦ــ هى بلدة من اربع عشرة مدينة سلبتها روسيا القيصرية من ايران على أثر حرب كافرة واستمرت روسيا الشيوعية فى الاغتصاب وتسمى الان قفقازية الاتحاد السوفياتى او جمهورية آذربايجان السوفياتية. وتاريخ الاسلام والتشيع مليء بعلمائها و رجالها ــ المعرب.

١٢٩٣ هـ . و أتى الى طهران بعد دراسة المقدمات و تعلّم الرياضيات عند الميرزاجلوه، و الفلسفة عند الحكيم الاشكورى والحكيم الكرمان شاهى. ثم ذهب الى النجف الاشرف و أخذ فى تكميل العلوم الشرعية فى حوزة الآخوند المولى محمد كاظم الخراسانى و الشيخ حسن المامقانى.

و نقل العلامة الطهرانى فى (نقباء البشر) أن المرحوم البادكوبه اى اشتهر فى النجف الاشرف بالعلوم الشرعية والعقلية و اخذ يدرّس الفنون المختلفة العقلية و الشرعية، و استفاد منه جماعة كثيرون منهم استاذنا العلامة الحاج السيد محمد حسين الطباطبائى (مدظله) درس طبيعيات والهيات الشفاء من اوله الى آخره عند هذا الرجل الكبير فى النجف.

و نقل العلامة الطهرانى: أن هذا الرجل و المرحوم الحاج الشيخ محمد حسين الغروى كانا وجهين معروفين بالاطلاع الكامل فى العلوم العقلية. توفى فى النجف الاشرف فى سنة ١٣٥٨ هـ [٣٤٧].

٤ــ السيد آقا ميرزا محمدعلى الشاه آبادى الطهرانى الاصفهانى الاصل جامع المعقول و المنقول، كان فى الفلسفة و العرفان تلميذ الميرزا جلوه والميرزا الاشكورى، و فى الشرعيات تلميذ الحاج الميرزا حسن الاشتيانى فى طهران و الآخوند الخراسانى والميرزا محمد تقى الشيرازى فى النجف الاشرف و سامرّاء. و بلغ فى طهران الى مقام المرجعية والفتوى. و عندما أقام المرحوم الحاج الشيخ عبدالكريم الحائرى فى قم المقدسة، هاجر الى قم و درّس بهاسنين. و كان ممتازاً فى العرفان بلامثيل. كان احد أساتذتنا الكبار [٣٤٨] فى تلك المدة يحضر درس هذا الرجل الكبير، و كان يثنى عليه كثيراً فى العرفان توفى فى طهران عام ١٣٦٩ هـ [٣٤٩].

٥ــ السيد على المجتهد الكازرونى الشيرازى ابن الحاج السيد عباس المجتهد الكازرونى. ولد سنة ١٢٧٨ هـ و انتقل الى شيراز عام ١٢٩١ هـ و اشتغل بالدراسة فيها حتى عام ١٣٠٤ هـ حصل على العلوم العقلية من الشيخ أحمد الشيرازى النجفى و الشيخ محمد حسين (شانه ساز) واحتمل أنه ادرك شيئاً من أواخر أيام الحكيم عباس الدارابى المتوفى ١٣٠٠ هـ . و أقام عشر سنين فى النجف الاشرف (١٣٠٤ ــ ١٣١٥) و حضر دروس الآخوند المولى محمد

٣٤٧ــ نقباء البشر فى القرن الرابع عشر ج ٢ ص ٥٨٤ و ص ٩١٨ ــ و دفن فى مقبرة المرحوم السيد أبى الحسن الاصفهانى الموسوى جوار مقبرة الشيخ حبيب الله الرشتى المجاهد فى الجانب الايسر من مدخل الصحن الشريف (باب الساعة) مقابل الايوان الشريف ومرقد المحقق المقدس الاردبيلى ــ المعرّب.

٣٤٨ــ يعنى الامام الخمينى دام ظله.

٣٤٩ــ ريحانة الادب ج ٣ ص ١٦٧ ومتفرقات من غيرها.

كاظم الخراسانى و بلغ المراتب العالية. و رجع الى شيراز يدرّس بها حتى نهاية عمره (١٣١٩ ــ ١٣٤٣) ولاسيا فى الفلسفة و العرفان و كثير من فضلاء و مدرّسى شيراز كانوا من تلامذته فى المعقول والمنقول. ان المرحوم السيد علياً كان نموذجاً من سلفه الصالح. ولتلاميذه وكل الشيرازيين قصص كثيرة عن تقواه وصفاء نفسه الطاهرة.

٦ــ الشيخ محمد الخراساني الگنابادى المعروف بالشيخ محمد الحكيم والشيخ محمد الخراسانى، مقيم مدرسة الصدر باصفهان. كان من تلامذة المرحوم جهان گيرخان و الآخوند المولى محمد الكاشى (والاكثر جهان گير خان). و اصبح بعدهما استاذ الفلسفة فى اصفهان، من تلامذته المرحوم الحاج ميرزا على آقا الشيرازى [٣٥٠] والسيد جلال الدين همائى استاذ جامعة طهران. كان الحكيم الخراسانى لامثيل له فى الطهارة و التواضع الا قليلاً، و بقى ــ كالكاشى و القشقائى ــ مجرداً حتى نهاية عمره حيث توفى فى سنة ١٣٥٥ هـ.

و بعد الحكيم الخراسانى تعهد رجلان آخران فى اصفهان بحمل مشعل الحكمة و الفلسفة هما: المرحوم الحاج آقا صدر الكوپائى والمرحوم الشيخ محمود المفيد، و بوفاة هذين الرجلين انطفأ هذا المصباح الذى استمر مضيئاً طوال اربعمئة عام.

٧ــ الحاج الشيخ محمد حسين الغروى الاصفهانى. كان وحيداً فى التقوى والعلم معقولاً و منقولاً. ولد عام ١٢٩٦ هـ فى النجف الاشرف، و كان والده تاجراً متديناً مقيماً بالكاظمية. بقى المرحوم الاصفهانى حتى عشرين عاماً من عمره فى الكاظميّة مشتغلاً بالدراسة ثم انتقل الى النجف الاشرف و حضر درس المرحوم الآخوند المولى محمد كاظم الخراسانى و استمر على ذلك حتى نهاية عمره (١٣٢٩) هـ.

كان فى العلوم العقلية تلميذاً للمرحوم الميرزا محمد باقر الحكيم الاصطهباناتى، و له تأليفات كثيرة فى الفقه و الاصول، و افكاره مطروحة الآن بين الافكار الحية بين العلماء و الفضلاء فى حوزات دروس الفقه و الاصول. له منظومة فى الفسلفة عالية فى المعانى بعنوان (تحفة الحكيم) و له رسالة فى المعاد. وقد استفاد حضرة استاذنا العلامة السيد الطباطبائى مدظله العالى بين سِنيّ (١٣٤٤ ــ ١٣٥٤) من دروس هذا الرجل الكبير و هو يفخر بذلك. توفى فى سنة ١٣٦١ بالسكتة [٣٥١].

---

٣٥٠ ــ الظاهر أنه لم يكن يختلف كثيراً فى العمر مع استاذه وصديقه الشيخ محمد، بل كان صديقاً له و لزميله حاج آقا رحيم ارباب، ولكنه لم يتفرغ لدراسة الفلسفة الا فى اواخر عمره ولذلك فقد درس الفلسفة عند صديقه وقرينه فى العمر.

٣٥١ ــ مقدمة المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر ــ من تلامذة المرحوم الاصفهانى ــ لهوامش وتعليقات الاصفهانى على مكاسب الشيخ الانصارى.

٨ــ الشيخ محمد تقي الآملي، ولد سنة ١٣٠٤ في طهران، و حصل على اقسام من دروس المعقول و المنقول من والده الشيخ محمد الآملي (١٢٦٣ ــ ١٣٣٦) الذي كان هو من الفلاسفة. ثم اشترك في دروس المرحوم الميرزا الكرمان شاهي، ثم تمتع بعد وفاة الكرمان شاهي زهاء اربعة عشر عاماً بدروس الحاج الشيخ عبدالنبي المجتهد النوري. ثم انتقل الى النجف الاشرف واخذ في تكميل دراساته في الفقه و الاصول بحضور دروس الحاج ميرزا حسين النائيني و السيد أبي الحسن الاصفهاني و الشيخ آقا ضياء الدين العراقي و بلغ المقامات العالية. و في الاخلاق استفاد من تربية العارف الكامل الحاج ميرزا علي آقا القاضي. و عندما أقام بطهران اشتغل بتدريس العلوم العقلية و الشرعية. و اهمّ أثر له في العلوم العقلية هوامش و تعليقات على شرح منظومة السبزواري طبعت مراراً. وأهم أثر له في العلوم الشرعية شرح استدلالي على العروة الوثقى. توفي في ١٣٩١ هـ .[٣٥٢]

٩ــ الحاج آقا ميرزا مهدي الاشتياني. كان من الاساتذة المتبحرين في عصرنا. والده الميرزا جعفر الملقب بالميرزا (كوچك) كان من تلامذة الحاج آقا محمد رضا الحكيم القمشه اي، ووالدته بنت المرحوم الحاج ميزا حسن الاشتياني المجتهد المعروف بطهران. كان المرحوم آقا ميرزا مهدي من تلامذة الميرزا حسن الكرمان شاهي و الميرزا هاشم الاشكوري. و كان المدرس الرسمي للفلسفة والعرفان بطهران طوال سنين عديدة ولاسيما في مدرسة (سپهسالار) [٣٥٣] حيث أن صحيفة وقف هذه المدرسة تنص على أن يكون المدرّس الرسميّ للفلسفة بها ماهراً في العلوم العقلية و صاحب نظر في الشرعيات. و في سنة ١٣٦٥ طلب منه عدة من فضلاء و طلاب الحوزة العلمية بقم المقدسة أن ينتقل اليها ليدرسوا لديه الفلسفة فهاجر اليها مدة عامين، و كنت فيمن حضر لديه للدراسة.

له آثار قيمة، هوامش و تعليقات على شرح منظومة المنطق و الفلسفة مطبوعة. و له كتاب باسم (أساس التوحيد) في قاعدة (الواحد...) و وحدة الوجود، مطبوع. و آثار اخرى لا اعرفها. توفي في سنة ١٣٧٢ هـ .

١٠ــ الحاج آقا ميرزا أحمد الاشتياني. هو اصغر اولاد الحاج ميرزا حسن المجتهد الاشتياني، كان جامعاً للمعقول و المنقول و انموذجاً في التقوى و الطهارة، اشتغل بتدريس الفقه و الاصول و العلوم العقلية مدة اربعين عاماً، و هو أيضاً من تلامذة الحكيم الكرمان

٣٥٢ــ مقدمة الحاج ميرزا حسن المصطفوي للطبعة الثانية من تعليقة المرحوم على شرح المنظومة. وغيرها.

٣٥٣ــ سميت بعد انتصار الثورة الاسلامية باسم المؤلف، اذ كان الاسم القديم يوحي بتمجيد رجال النظام الملكي السابق.

شاهی و الحکیم الاشکوری. و لتکمیل دراساته العقلیة ذهب الی النجف الاشرف فکان یدرس و یدرّس الاسفار و کان یشترک فی درسه فضلاء من الدرجة الاولی کثیر منهم کانوا من المجتهدین، منهم حضرة الاستاذ العلامة الطباطبائی. توفی قبل سنة (۱۳۹۵ ه) و قد بلغ المئة عام. رحمه الله [۳۵٤].

۱۱ــ آقا میرزا طاهر التنکابنی. کان من اساتذة الفلسفة فی العصر الآخیر محضاً فی الفلسفة. و کان محیطاً بمتون و آراء الفلاسفة احاطة محیّرة. ولد سنة ۱۲۸۰ فی بلدة (کلاردشت) و انتقل الی طهران لتکمیل دراساته فادرک عصر المیرزا جلوه و الحکیم قمشه ای والحکیم المدرّس، و لا أدری هل کان یحضر لدی الحکیم کرمان شاهی اوالحکیم النیر یزی او لا؟و اصبح هو الاستاذ الوحید بعد هؤلاء الثلاثة، حتی توفی فی سنة ۱۳٦۰ ه.

۱۲ــ السید ابوالحسن الرفیعی القزوینی، کان من مشاهیر و معاریف الاساتذة فی نصف القرن الأخیر، و کان جامعاً للمعقول و المنقول، تعلم الفلسفة لدی الحکیم الکرمان شاهی و الحکیم الاشکوری. و بعد تأسیس الحوزة العلمیة بقم المقدسة سنة ۱۳٤۰ ه بزعامة المرحوم الحاج الشیخ عبدالکریم الحائری الیزدی هاجر الی قم المقدسة، فکان یحضر درس الشیخ الحائری و یدرّس شرح منظومة السبزواری و اسفار المولی صدرا، و کان الفضلاء یحضرون دروسه، منهم احد اساتذتنا الکبار[۳۵۵] فقد قرأ لدیه شرح المنظومة و قسماً من الاسفار، و کان یثنی علیه بحسن البیان و التقریر. رجع المرحوم الرفیعی فی حیاة المرحوم الشیخ الحائری الی قزوین، و کان طلاب الحکمة احیاناً یذهبون الی قزوین للاستفادة منه، و فی السنین الأخیرة رجع الی طهران وأقام بها و کان یعد من مراجعها حتی توفی فی سنة ۱۳۹۳ ه.

۱۳ــ الشیخ محمد حسین الفاضل التونی، من مشاهیر مدرّسی الفلسفة فی العصر الآخیر. کان علی الظاهر من تلامذة الحکیم الاشکوری و الحکیم الکرمان شاهی. و کان بعد تأسیس الجامعة یدرّس الفلسفة مدة سنین بکلیة العلوم العقلیة و النقلیة (کلیة الشریعة = الالهیات) له هوامش و تعلیقات علی مقدمة شرح الفصوص للقیصری. ولد سنة ۱۲۰۹[۳۵٦] وتوفی فی ۱۳٤۰ تقریباً.

۱٤ــ السید محمد کاظم العصار من اساتذة الفلسفة فی العصر الاخیر، ولد سنة ۱۳۰۵ ه و ذهب الی اصفهان و عمره ثمانیة عشر عاماً و بقی بها ثلاث سنین یدرس الفلسفة

۳٥٤ــ دفن بطهران واقام علیه مراجع التقلید فی قم المقدسة مجالس الفاتحة ــ المعرّب.

۳٥٥ــ یعنی الامام الخمیني دام ظله. وکان أعداء الثورة الاسلامیة قبل وفاة المرحوم القزویني یشیعون ذلک تنقیصا للامام بأنه متقدم علی مشایخه مع تقدمهم علیه! ــ المعرب.

۳٥٦ــ نقباء البشر،ص ۸۸۹.

(لدى الآخوند المولى محمد الكاشي و جهان گيرخان) ثم انتقل الى طهران و درس ست سنين لدى أساتذة الفلسفة فى طهران؛ الحكيم الاشكورى و الحكيم الكرمان شاهى و الحكيم النيريزى. ثم ذهب الى العتبات المقدسة و اكمل العلوم الشرعية لدى اساتذة الفن مدة عشر سنين، ثم رجع الى طهران سنة ١٣٤٠ و عمره خمسة و ثلاثون عاماً، و أخذ فى تدريس الفلسفة بها.

و بعد تأسيس جامعة طهران عام ١٣١٣ (هـ شمسى = ١٣٥٣) قبل أن يدرّس فى كلية الآداب و كلية العلوم العقلية والنقلية (الشريعة = الالهيات) و حينما غيّروا اسم مدرسة (سپهسالار) الى (كلية الرّوحانيّين) سنة ١٣٦٥ تقريباً، أخذ يدرّس بها حتى نهاية عمره.

كان المرحوم السيد العصار طيّب المحضر اريحيّاً يطايب المجالسين، لايأخذ الأمور كلها بجدية كاملة بل يمزجها بالهزل. له آثار فى وحدة الوجود والبداء وعلم الحديث والتفسير. وطبع بعض آثاره اخيراً. وتوفى المرحوم سنة ١٣٩٤ هـ.[٣٥٧].

الطبقة الثالثة و الثلاثون:

هذه الطبقة هى طبقة اساتذتنا. و نحن نمسك القلم اليوم عن ترجمة هذه الطبقة فى الحال الحاضر، لملاحظات و نوكل ذلك الى وقت آخر فى فرصة مناسبة.

* * *

من الطبيعى أن لاتخلو جدولة هذه الطبقات من نقائص، لانها كتبت لاول مرة، ولم نر أن قد سبقنا احد الى هذا العمل. اول نقص فى هذا الجدول هو أنه ليس جامعاً فكثيرون من علماء الفلسفة غاب عنا ذكرهم، أولم نذكرهم، اذلم يكن الغرض ذكر جميع الحكماء فى العصر الاسلامى، و ليس ذلك بالميسور، و انما كان غرضنا اولئك الذين حملوا راية هذا الفن و كان لهم دور ايجابى فى استمرار هذا القسم العظيم من الثقافة الاسلامية و أثروا فيمن بعدهم لادامة هذا العلم، عن طريق التأليف، او التدريس و تربية التلامذة. و فى ختام هذا الجدول ارى من اللازم ان أذكر اموراً:

١ــ ان هذا الجدول تقريبى ــ كأكثر الجداول ــ و ان كان ملاكه طبقة الأساتذة و

٣٥٧ــ بالفارسية: تاريخ مدرسة سپهسالار، تأليف ابوالقاسم سحاب ص ١٦٩ ــ ١٧٠ وغيره.

التلامذة، و لكنّا نعلم أن أُستاذاً يدرّس سنين فيدرس لديه أناس ليسوا سواء من حيث البدء و الختام فى تاريخ الدراسة، و متقدمو كل طبقة فى تاريخ الدراسة غالباً يتمتعون بتقدم علمى أيضاً.

فمثلاً: قد ذكرنا الحاج السبزوارى باعتباره من تلامذة المولى اسماعيل الاصفهانى و هذامن تلامذة المولى على النورى، مع الميرزا جلوه و الحكيم قمشه اى و هما أيضاً من تلامذة النورى، فى طبقة واحدة. فى حين أن الحاج السبزوارى من متقدمى هذه الطبقة و قد ادرک شطراً من عهد نفس المولى النورى و توفى فى ١٢٨٩ هـ.

بينما الميرزا جلوه من شباب هذه الطبقة و كان حياً حتى سنة ١٣١٤ و كان هو فى البداية عازماً على الاستفادة من دروس السبزوارى فى سبزوار.

٢ــ بداية عهد الفلاسفة المسلمين فى النصف الاول من القرن الثالث الهجرى حتى نهاية القرن الرابع الهجرى يعد دور الترجمة، فكان كثير من الفلاسفة فيه مترجمين و كثير من المترجمين فلاسفة، مع وجود مترجمين غير فلاسفة و كذلک فلاسفة غير مترجمين، و لكن ليس دورالترجمة مستقلاً عن دور التأليف و التحقيق، و ليس ــ كما زعم البعض ــ أن المسلمين اشتغلوا بالترجمة فقط قرناً او قرنين ثم ظهر بينهم من نسميهم فلاسفة اصحاب آراء، بل ظهر مع الترجمات الاوليّة اصحاب آراء نادرين كيعقوب بن اسحاق الكندى و ربّى هذا تلامذة و استمرت منه الفلسفة، و كان هو معاصراً لمترجمين من قبيل حنين بن اسحاق العبادى و عبدالمسيح الحمصى، بل هو متقدم على كثير آخرين من المترجمين من قبيل ثابت بن قرة و غيره.

٣ــ المترجمون كانوا فى الاغلب يهوداً اونصارى اوصابئين، و قلّما نجد بينهم مسلماً أو زرادشتيا، اللهم الا ابن المقفع الذى يمكن القول بأنه كان زرادشتياً، و لكنه ليس زرادشتياً بالدقة بل كان مانوياً فأسلم. أما الفلاسفة اصحاب الآراء فى هذا العهد فكانوا كلهم مسلمين، ولانجد حتى فيلسوفاً واحداً صاحب رأى غيرمسلم. و هذه نقطة تستحق التحقيق العلمى فى ابحاث المجتمعات و التاريخ.

٤ــ اكثر الفلاسفة بعد دور الترجمة ــ و قليل من دور الترجمة ــ حتى القرنين السادس و السابع كانوا فلاسفة اطبّاء، كابن سينا الفيلسوف الطبيب، بل ان الطب فى كثير منهم غالب على الفلسفة.

و يشترک فى هذا الدور ــ دور الفلاسفة الأطباء ــ المسلمون و اليهود و النصارى، و لكن لاأثر للصابئة فى هذا الدور على عكس دور الترجمة. فكثيراً ما نجد فى هذا الدور اطبّاء عظماء مسيحيين اويهوداً هم فلاسفة ضمناً ولكن لانجد فيلسوفاً عظيماً من اليهود

أوالنصارى .

فمثلاً: ابوالفرج بن الطيب معاصر ابن سينا كان من الطب بمنزلة يثني عليه بها ابن سينا، و لكن لم يكن ابن سينا او غيره يجد فيه شيئاً ملحوظاً من حيث الفلسفة، نعم يستثنى من هذه الناحية ابوالبركات البغدادى و حتى ابوالخير حسن بن سوار، فان أبا البركات كان فيلسوفاً ذارأي من اليهود و ابوالخير كذلك من النصارى، الا أنا ــ كما نعلم ــ لم يبق هذان على دينهما الاول بل اسلم كلاهما فى نهاية الأمر. و هذه الارقام ملفتة للنظر من حيث الدراسات الاجتماعية. إن الفلاسفة اصحاب الآراء فى دور المترجمين الفلاسفة و الفلاسفة المترجمين كلهم مسلمون، اوفى طبقة الأطباء الفلاسفة و الفلاسفة الأطباء كذلك كلهم مسلمون، أما غير المسلمين فمع مالهم من الأطباء العظماء لافيلسوف لهم صاحب رأى و نظر. و هذا دليل على أن الروح الاسلامية اوفق مع التعقلات الفلسفية من سائر الأديان.

و اجلب للانتباه أنا لانجد فى طول تاريخ الفلسفة و الطب الاسلامى (١٢ قرناً) فيلسوفاً زرادشتياً و لاطبيباً (و كذلك الامر ظاهراً فى الرياضيات). و من البدهى أن الزرادشتيين ايضاً كانوا يتمكنون من المشاركة فى هذه النهضة العلمية و الثقافية و الفلسفية والمساهمة فيها كاليهود و المسيحيين، و لكنهم لم يشاركوا قط! كمالم يشاركوا فيما قبل الاسلام أيضاً فى الثقافة العالمية! فالايرانيون من حملة مشاعل العلم والثقافة قبل الاسلام كانوا مسيحيين و يهوداً وصابئين، وهم الذين كانوا يديرون شؤون جامعة جندى شاپور.

الزرادشتي الوحيد بين الفلاسفة فى الدور الاسلامى هو بهمنيار بن مرزبان الآذربايجانى، و لكنه اسلم بعد ذلك. و بين الاطباء يعرف على بن عباس الأهوازى بابن المجوسى، و لكنه أيضاً ليس مجوسياً و انما آباؤه مجوسيون كما قاله ادوارد براون فى (الطب الاسلامى) و غيره، و كما يشهد بذلك أيضاً لقبه (ابن المجوسى).

الحقيقة أن روح الزرادشتية كانت (او أصبحت) لا تلائم و لا تنسجم مع العلم و الفلسفة، و اذا كان افراد منهم يكسرون القيود و يتجهون الى العلوم كانوا يودّعون الزرادشتية.

٥ــ الاكثرية بين الفلاسفة المسلمين شيعة، و اكثرية الفلاسفة غير الشيعة لهم اتجاهات شيعية، باستثناء فلاسفة الاندلس الذين كانوا بعيدين عن محيط الفكر الشيعي. و من الممكن أن يكون هذا دليلاً على أن العقل الشيعى كان فلسفياً من البداية و قد بحثنا فى كتاب (فى رحاب نهج البلاغة) [٣٥٨] حول هذا الموضوع، والبحث الاوسع بحاجة الى فرصة اكثر.

٦ــ للايرانيين فى الفلسفة والحكمة بالنسبة الى غيرهم سهم اوفر، من مجموع الثقافة

٣٥٨ــ فى رحاب نهج البلاغة ص ٤٢ ــ ٤٦.

الاسلامية التي يشترك فيها الايراني وغيره. ولاسيما في القرنين الأخيرين اي من بعد عهد المغول، ولاسيما من القرن العاشر حيث شاع التشيّع في ايران بالمرة فقد اصبحت الفلسفة الاسلامية مقصورة على الايرانيين. ان الايرانيين ليسوا اول من بدأ الفلسفة الاسلامية، اذ أن اول فيلسوف اسلامي هو من العرب، ولكنهم بعد أن تعرفوا على الفلسفة تعلقوا بها اكثر من اي قوم آخرين. ونحن نرى أن لهذا عاملين جذريّين: احدهما: أن العقلية الايرانية عقلية فلسفية بالرغم من المضايقات الزرادشتية قبل الاسلام. والآخر: نفوذ التشيع في ايران. ولو صرفنا النظر عن الفلاسفة الايرانيين الذين هم من حيث الدم والعنصر عرب اوترك او اي عنصر آخر من قبيل: فخرالدين الرازي وجلال الدين الدواني وصدرالدين دشتكي و غياث الدين دشتكي و ابن رشد الاندلسي وعدة آخرين، فالفلاسفة غير الايرانيين بالنسبة اليهم قليلون جداً. والفلاسفة غير الايرانيين اما غير مسلمين ــ وهم جماعة من أطباء فلاسفة في مصر والشام والاندلس وغيرها ــ اومسلمون غير ايرانيين من قبيل: ابن الهيثم البصري المصري و أبي البركات البغدادي وعلي بن رضوان المصري والكندي وابن رشد وابن الطفيل وابن الصائغ وقطب الدين المصري وكمال الدين يونس الموصلي والفارابي ــ احتمالاً ــ وعددهم ليس بالكثير.

٧ــ كان مركز التعليم والتعلم للفلسفة قبل ابن سينا بغداد، وابن سينا هو الذي نقل المركزية من بغداد الى ايران (اماهمدان واما اصفهان) بل لم يذهب ابن سينا الى بغداد قط، بل لم يكن له استاذ في الفلسفة وانما درس شيئاً من المنطق عند الاستاذ. ان نبوغ ابن سينا و شهرته هما اللذان جذبا طلاب الحكمة اليه والى مطالعة كتبه من كل مكان حتى اصبحت كتبه ناسخة لكتب السابقين. ومدرّسو كتبه كانوا في ايران فقط ومنها انتشرت فلسفته الى خارج ايران. وبانتشار افكار ابن سينا ونسخها لكتب السابقين وتواجد مدرّسيها المتخصصين في ايران فقط سقطت بغداد عن مركزيتها السابقة. بل اصبحت بغداد تتناول فلسفة ابن سينا بالبحث والدراسة من دون أن تكون لها المركزية في ذلك.

وكانت حوزة ابن سينا على عهده في الاقسام المركزية واحياناً الجنوبية من ايران، وبعده توسعت حتى خراسان على يد تلميذ تلامذته ابي العباس اللوكري.

٨ــ مع حملة المغول من ناحية، وحملات أمثال الغزالي من ناحية اخرى طويت موائد الفلسفة من غير ايران قليلاً اوكثيراً، وبقيت شعلة منها في ايران متقدة ثم تدرّجت من ضعفها الى القوة والكمال ولاسيما في حوزة فارس (شيراز) ومع بزوغ شمس الصفوية والنهضة العلمية والفلسفية في اصفهان وجدت الفلسفة مرة اخرى رونقاً وبهاء جديدين على يد صدر المتألهين والميرداماد.

٩ــ ليست نواحى ايران مسهمة فى الفلسفة الاسلامية بنسب متساوية بعدما انحصرت تقريباً فى الشيعة الايرانيين منذ زمن الصفوية حتى يومنا هذا، فبعض المناطق مع مالها من الاسهام الملحوظ فى العلوم النقلية والشرعية لكن لا إسهام لها فى العلوم العقلية او ليس اسهامها اسهاماً ملحوظاً بل قليلاً. فخوزستان مع مالها من الاسهام المهم فى الادب و الحديث و الفقه لاسهم لها فى الفلسفة و الحكمة و العلوم العقلية. و كذلك مقاطعات سيستان و بلوچستان. وليس ابوسليمان المنطقى السجستانى سوى استثناء بالنسبة الى منطقة سيستان. و لبعض المحافظات سهم قليل كآذربايجان، نذكر ممن اسهم من أهلها: بهمنيار، و شمس الدين خسروشاهى والمولى رجب على، والمولى حسينا الاردبيلى والآقا علياً الحكيم الزنوزى وفى عصرنا العلامة الطباطبائى، و لبعض الولايات و المحافظات الاخر اسهام اكثر من قبيل خراسان و اصفهان و فارس و...

و مما لايحتسب أن يكون السهم الاوفر لشمال ايران من جيلان و مازندران و جرجان، فانّ ثلاثين من معاريف اساتذة الفلسفة هم من أهل هذه الناحية و بينهم فلاسفة كبار مشاهير مثل ميرداماد و المولى اسماعيل الخاجوئى و الآقا محمد البيدآبادى و المولى على النورى والميرفندرسكى وعبدالرزاق اللاهيجى و المولى جعفر اللنگرودى و غيرهم، هؤلاء و ان كانت دراستهم و تعلّمهم فى اصفهان إلا أنهم من شمال ايران.

١٠ــ ان طبقات الفلاسفة على الترتيب الذى نحن حصلنا عليه، سلسلة منظمة مرتبة بلا وقفة، و هى حلقات ثقافة مستمرة. كما بامكاننا ان نرى نظير ذلك فى الفقه و الحديث و العرفان و الادب و حتى فى الرياضيات.

اللهم إلا فى نقطتين نصل فيهما الى نقطة مجهولة من حيث سلسلة التلامذة و الاساتذة: احداهما: فى المولى اسماعيل الخاجوئى، على عهد الآفغانيّين، حيث لم يذكر و لم يذكروا ــ كما نعلم ــ عن اساتذته شيئاً. و الاخرى: فى فخرالدين السماكى استاذ السيد ميرداماد حيث لانعرف ايضاً عن اساتذته شيئاً.

لم تتوقف سلسلة التلمذة فى هاتين النقطتين بل انما هى مجهولة الآن علينا، و لعلها تتبيّن بعد هذا. و اذا صرفنا النظر عن هاتين النقطتين استطعنا أن نبيّن سلسلة أساتذتنا حتى ابن سينا. و اذا قبلنا الشيخ البهائى بعنوان احد أساتذة الفلسفة ارتفعت احدى تلكما النقطتين اى اتصلت سلسلة التلمذة عن طريق الشيخ البهائى و استاذه المولى عبدالله اليزدى حتى ابن سينا، لاعن طريق ميرداماد.

ولابن سينا وضع خاص اذ لم يكن له استاذ فى الفلسفة و انما تعلّم من كتب الآخرين.

١١ ــ الفارابى والكندى ايضاً كابن سينا لم يكن لهما استاذ فى الفلسفة وانما بمطالعة كتب الآخرين اصبحا فيلسوفين بل كل واحد منهما اصبح رأس سلسلة الفلاسفة.

لايذكر التاريخ اىّ فيلسوف بعنوان استاذ للكندى، بل لم يكن حينئذٍ اىّ فيلسوف فى محيط الكندى، و لهذا فانّ فلسفة الكندى بدأت من شخصه فقط والفارابى قرأ المنطق فقط لدى استاذه (يوحنا بن حيلان) و قد قلنا قبل هذا أن ما يقال بأن الفارابى كان تلميذ أبى بشر متّى ليس له اى أساس من الصحة.

و على هذا فان المسلمين مدينون من حيث الكتب الفلسفية لغير المسلمين، لافى المعلمين.

و الآن علينا أن نعرض لخدمات الايرانيين فى العرفان والتصوف.

العرفان و التصوف

من العلوم التى ولدت فى حجر الثقافة الاسلامية وترعرعت و تطورت، ما يسمى بالعرفان.

و يمكننا الكلام حول العرفان من جانبين: احدهما الجانب الاجتماعى والآخر الجانب الثقافى.

للعرفاء مفارقة مهمة عن سائر طبقات اصحاب الثقافة الاسلامية كالمفسرين والمحدثين و الفقهاء و المتكلمين والفلاسفة و الادباء والشعراء ...و هى أنهم ــ بالاضافة الى تكوينهم طبقة ثقافية و علمية باسم العرفاء و ظهور علماء كبار بينهم و كتب مهمة ــ اوجدوا فرقة اجتماعية خاصة فى عالم الاسلام، تختلف عن سائر طبقات اصحاب الثقافة كالفقهاء و الحكماء و غيرهم الذين ليسوا سوى طبقة ثقافية غير متميّزة عن سائر الطبقات، اما أهل العرفان فحيث يذكرون بعنوانهم الثقافى يذكرون بعنوان «العرفاء» و حينما يذكرون بعنوانهم الاجتماعى يذكرون بعنوان «المتصوّفة».

ان العرفاء و المتصوفة و ان لم يعدُّوا كفرقة مذهبية فى الاسلام، و هم ايضاً لايدّعون هذا، و هم موجودون فى كل اوجلّ الفرق والمذاهب الاسلامية الحاضرة، مع ذلك هم فرقة اجتماعية متصلة، و هناك سلسلة من الافكار و الآداب فى المعاشرات و الالبسة. و الأزياء و كيفية شعر الرأس و اللحية والسكنى فى التكايا و الخانقات وغيرها تصبغهم بصبغة فرقة خاصة مذهبية و اجتماعية. نعم كان هناك ــ ولاسيما فى الشيعة ــ عرفاء لم تكن لهم ميزة ظاهرة عن الآخرين و هم مع ذلك متشددون فى سلوكهم العرفانى. و العرفاء الحقيقيون هم

هذه الطبقة، و ليس تلك الفرق التى اخترعت مئات الآداب و اوجدت عشرات البدع.

ولا نبحث نحن فى هذه الابحاث التاريخية عن الجانب الاجتماعى و المذهبى اى جانب «التصوف» من العرفان، و انما نبحث هنا فى الجانب الثقافى بالنظر الى تدرّجه التاريخى. اى أنا ننظر الى العرفان كعلم و كفرع من فروع الثقافة الاسلامية التى كانت فى طول التاريخ كوحدة متصلة و بلاوقفة، و ليس بعنوان فرقة اوطريقة اجتماعية.

و العرفان بوصفه جهازاً علمياً و ثقافياً له قسمان: قسم عملى، وآخر نظرى.

القسم العملى عبارة عن: ذلك القسم الذى يبيّن وظائف الانسان و علاقاته مع نفسه ومع العالم و مع الخالق. و العرفان فى قسمه هذا كالأخلاق، اى هو «علم» عملى مع ملاحظة نذكرها بعد هذا. و هذا القسم من العرفان يُسمّى علم «السير و السلوك» فى هذا القسم من العرفان يُبيّن أن «السالك» الى الله كى يصل الى «التوحيد» او قمة الانسانية من أين يجب أن يبدأ و أى مرحلة يجب أن يطوى واى حال يعرض له فى المنازل بين الطريق. و يجب أن يكون طىّ هذه المنازل و المراحل مع اشراف و مراقبة انسان كامل قد طوى هذا الطريق و وعى رسوم هذه المنازل، و ان لم تصحب السالك همّة انسان كامل هددته المخاطر. و يعبّر العرفاء عن هذا الانسان الكامل الذى لابدّ من اصطحابه مع السالكين: «بالخضر» و «طائر القدس».

يقول الحافظ الشيرازى مامعناه:

«فيا «طائر القدس» اصطحبنى بهمّة، فان طريق الوصل جدّ طويل»

و يقول:

«ولا تتركن هذى المراحل دون أن، تكون مع «الخضر» الظلام وخيم»

و التوحيد الذى ينظر اليه العارف أنه قمة الانسانية المنيعة وأنه آخر مراحل سير العارفين، يختلف مع التوحيد فى نظر العوام و حتى مع توحيد الفيلسوف في أن واجب الوجود واحد لاشريك له، اختلافاً أساسياً كالبون بين الارض والسماء. ان توحيد العارف يعنى أن الموجود الحقيقى منحصر بذات الله تعالى، و أن ماسوى الله ظاهرة وجود لانفس الوجود، توحيد العارف يعنى: لاشيء الا الله، توحيد العارف يعنى التوصل الى مرحلة لايرى فيها السالك العارف الا الله. و لا يؤيّد هذه المرحلة من التوحيد مخالفو العرفاء بل يرونه احياناً الحاداً و كفراً، فى حين يعتقد العرفاء أن هذا هوالتوحيد الحقيقى وأن كلّ مراتب التوحيد لاتخلومن شرك. و يرى العرفاء أن التوصل الى هذه المرحلة ليس من عمل الفكرو العقل بل هو من عمل القلب و المجاهدة و السير والسلوك و تصفية النفس و تهذيبها.

و على أى حال، فان هذا القسم من العرفان هو القسم العملي منه، و هو بهذا النظر كعلم الاخلاق يبحث عما يجب أن يعمل و لايعمل مع ثلاثة فوارق:

اولاً ــ ان العرفان يبحث عن علاقات الانسان مع نفسه و مع العالم و مع الله، و عمدة نظره فى علاقات الانسان بربه. بينما لايرى جميع الأخلاقيين ضرورة أن يبحثوا حول علاقات الانسان بربه، إلا الأخلاقيون المتديّنون، فهؤلاء يعنون بهذه الجهة من علاقات الانسان.

ثانياً ــ ان السير والسلوك امران متحركان ــ كما يبدو من مفهوم هاتين الكلمتين ــ بخلاف الأخلاق فانه بحث هادئ ساكن. الكلام فى العرفان عن نقطة البدء و عن المقصد و المنازل و المراحل التى يجب على السالك سلوكها كى يصل الى النهاية. العارف يرى ــ بدون أية شائبة ــ أن للانسان صراطاً لايصل الى منزل حتى يجوز من منزل سابق، و يرى العارف أن روح البشر كروح الطفل او النبات و كماله فى تطوره وفق نظام خاص. بينما ليس الكلام فى الأخلاق إلاّ عن لزوم اتصاف الروح بسلسلة من الفضائل من قبيل الصدق و العدالة و العفة و الاحسان و الانصاف و الايثار و غيرها، الاخلاق ترى أن روح الانسان بحيث يجب أن يزيّن بسلسلة من الزينة و الحلى و النقوش. و فى العرفان ايضاً يأتى الكلام عن العناصر الأخلاقية و لكن بصورة ديالكتيكية متحركة.

ثالثاً ــ ان العناصر الروحية والأخلاقية محدودة بمفاهيم و معان معروفة لاكثر الناس، فى حين أن الكلام فى السير و السلوك العرفانى يأتى عن احوال و واردات قلبية لاتحصل إلا لسالك السبيل فى خلال المجاهدات و طى الطرق، و لاسبيل لسائر الناس الى هذه الاحوال و الواردات.

القسم الآخر من العرفان فى تفسير الوجود اى تفسير الخالق والعالم و الانسان. و العرفان فى هذا القسم كالفلسفة يحاول تفسير الوجود، بخلاف القسم الاول الذى هو كالأخلاق و يحاول تغيير الانسان الى الافضل. و كما كانت هناك فوارق بين الأخلاق و العرفان كذلك هنا توجد فوارق بين العرفان و الفلسفة.

العرفان و الاسلام:

للعرفان بقسميه العملى والنظرى روابط متينة بالاسلام، فان الاسلام ــ كأى دين آخر، و اكثر من اى دين آخر ــ قد بيّن علاقات الانسان بربه وبالعالم و بنفسه و فسّر الوجود ككل. و هنا سؤال يطرح نفسه و هو: ما النسبة بين مابيّنه الاسلام و ما عرضه العرفان؟

من المؤكّد أن العرفاء المسلمين لا يدّعون أنّ لهم كلاماً وراء كلام الاسلام، ويتبرأون من هكذا نسبة بشدّة. بل يدّعون أنهم اكتشفوا الحقائق الاسلامية احسن من غيرهم و انهم هم المسلمون الواقعيون. و يستند العرفاء سواء فى القسم العملى او النظرى الى الكتاب و السنة و

سيرة النبّى والأئمة و اكابر الصحابة.

و لغيرهم آراء بشأنهم نذكرها على التوالى:

أ ــ نظرية جماعة من المحدثين والفقهاء الاسلاميين: هؤلاء يعتقدون بأن العرفاء ليسوا متقيّدين بالاسلام و أن استنادهم الى الكتاب والسنة ليس الاّ خداعاً للعوام و جلباً لقلوب المسلمين، و أن لاربط للعرفان أساساً بالاسلام.

ب ــ نظرية جماعة من مثقفى العصر الحاضر: هؤلاء الذين لاعلاقة لهم بالاسلام و يتقبلون كل مايستشمّ منه رائحة «الاباحية» و ما يمكن أن يوصف بانه من المقاومة امام المقررات الاسلامية. هؤلاء أيضاً كالسابقين يعتقدون بأن العرفاء لاايمان لهم بالاسلام، بل ان العرفان و التصوف انما هما و جهان لنهضة الامم غيرالعربية أمام الاسلام و العرب تحت ستار من المعنوية و الروحانية.

و هؤلاء يتحدون مع الفرقة الاولى فى أن العرفان يخالف الاسلام و يضادّه، و انما يختلفون فى أن الفرقة الاولى يقدّسون الاسلام، و هم يحقرون العرفاء بالاستناد الى الاحساسات و العواطف الاسلامية العامة، و يحاولون اخراج العرفان بهذه الطريقة عن صعيد المعارف الاسلامية. بينما الفرقة الثانية يسعون ليجدوا من شخصية العرفاء ــ الذين يتمتع بعضهم بشخصية عالمية ــ وسيلة للدعاية ضد العرب و الاسلام. هؤلاء يدعون أن استناد العرفاء الى الكتاب و السنة انما كان عن تقية من العوام و حفظاً لنفوسهم.

ج ــ نظرية المحايدين: بامكاننا أن نجد فى العرفان و التصوف ولاسيما فى العرفان العملى و بالأخصّ فيما يجد جانباً عملياً للفرقة: تحريفات و مبتدعات كثيرة لا توافق كتاب الله و لا السنة المعتبرة. الا أن العرفاء كسائر طبقات اصحاب الثقافة الاسلامية فى غاية الاخلاص للاسلام، ولم يريدوا ان ينطقوا بشئ لمضادة الاسلام. من الممكن أن يكون لهم أخطاء كسائر طبقات اصحاب الثقافة كالمتكلمين و الفلاسفة و المفسرين والفقهاء، إلا أنهم لم يكونوا يضمرون السوء بالنسبة الى الاسلام.

انّ افتراض مضادة العرفاء للاسلام انما جاء من قبل اناس مغرضين اما مضادّين للعرفان او للاسلام، والا فلو طالع الانسان كتب العرفاء بلاغرض و بلا انحياز لم يشك فى انهم كانوا مخلصين تماماً للاسلام، و ان كان من الممكن أن يجد فيهم اخطاء كثيرة، ولكن بشرط أن يعرف منطقهم و عرفهم الخاص و مصطلحاتهم.

و نحن نرجّح النظرية الثالثة و نعتقد بأن العرفاء لم يكونوا يضمرون السوء للاسلام، و فى نفس الوقت نرى من اللازم أن يحقق اناس متخصصون فى المعارف الاسلامية و العرفان فى مدى توافق المسائل العرفانية مع الاسلام، بلا اى انحياز او مماألأة.

و المسألة التى يلزم أن نعرض لها هنا هى: هل أن العرفان الاسلامى من قبيل الفقه و

الاصول و التفسير والحديث اى هو من العلوم التى اتخذ المسلمون موادها الأصلية من الاسلام واكتشفوا لها القواعد و الاصول و الضوابط؟ اوهو من قبيل الطب و الرياضيات التى دخلت الى عالم الاسلام من خارجه وتطورت و تكاملت على يد المسلمين؟ او أن هناك قسماً آخر؟

يختار العرفاء انفسهم الشطر الاول و لايقبلون أىّ احتمال آخر. و قد اصرّ بعض المستشرقين و يصرون على أن العرفان و افكاره الدقيقة واللطيفة انما دخلت عالم الاسلام من خارجه، فقد يرون أن لها عروقاً مسيحية و أنها من نتيجة ارتباط المسلمين بالرهبان المسيحيين، و قد يرون أنها ردود فعل من الايرانيين ضد العرب و الاسلام! و قد يرون أنها من نتائج الفلسفة الافلاطونية الجديدة التى هى من نتيجة تاليف افكار ارسطو و افلاطون و فيثاغورس و الجينوسيين فى الاسكندرية و آراء و عقائد اليهود و المسيحيين. و قد يرون أنها من افكار البوذيين. كما أن مخالفى العرفاء من المسلمين كانوا و لازالوا يحاولون أن يجدوا للعرفان و التصوّف جذوراً غير اسلامية.

و النظرية الثالثة: أن العرفان بقسميه العملى و النظرى انما أخذ مواده الاولى من الاسلام و بيّن لها قواعد و ضوابط واصولاً، و لم يتخلص من تأثير الافكار الكلامية و الفلسفية و لاسيما الاشراقية. أما ما هو مدى موفّقية العرفاء فى بيان القواعد و الضوابط الصحيحة المستخرجة من المواد الاسلامية الاولى، و هل أنهم كانوا موفّقين فى ذلك كالفقهاء اولا؟ و ما هو مدى تقيّدهم بعدم الانحراف عن الاصول الاسلامية الواقعية؟ و ما هو مدى تأثير الماجريات الخارجية على العرفان الاسلامى؟ و هل أن العرفان الاسلامى صهرها فى بوتقته و صبغها بصبغته و افاد منها او أن امواج تلك الماجريات دفعت العرفان الاسلامى فى مسيرتها؟ هذه امور يجب أن تبحث بدقة فى مظانّها. و المقطوع به هو أن العرفان الاسلامى أخذ اصوله من الاسلام فحسب.

اصحاب النظرية الاولى ــ و عدة من اصحاب النظرية الثانية ــ يدّعون أن الاسلام دين ساذج و بلا تكلف و خال من كل رمز او مطالب غامضة غير مفهومة اوصعبة الفهم. اساس عقائد الاسلام عبارة عن التوحيد، والتوحيد فى الاسلام يعنى، كما أن للبيت بانياً متميزاً عن البيت، كذلك العالم له بان خالق متميّز عنه، وأساس علاقة الانسان بمتاع الحياة الدنيا فى نظر الاسلام هو الزهد، يعنى الاعراض عن متاع الحياة الدنيا الفانية للتوصل الى نعيم الحياة الخالدة. و اذا تجاوزنا هذه الأُسس وصلنا الى سلسلة من المقررات الساذجة الفقهية. هؤلاء يرون أن ماجاء به العرفاء باسم التوحيد ليس إلاشيئاً وراء التوحيد الاسلامى، إذ التوحيد العرفاني عبارة عن وحدة الوجود و أن لاشيء فى الوجود سوى الله و شؤونه و أسمائه و صفاته و تجلّياته. و السلوك العرفانى أيضاً شيء وراء الزهد الإسلامى، إذ نجد فى السلوك العرفانى سلسلة من المعانى و المفاهيم لانجدها في الزهد الاسلامى، من قبيل

العشق و حـــب الله، و الفناء فی اللّه و تجلّی الله علی قلب العارف. و الطریقة العرفانیة امروراء الشریعة الاسلامیة، إذ فیها آداب لانجد أثراً لها فی الفقه و الشریعة الاسلامیة.

هؤلاء یرون أن خیار الصحابة الذین ینتسب الیهم الصوفیة و العرفاء و یعدونهم أئمتهم ، لم یکونوا إلازُهّاداً عابدین، ولم یکن لهم أیّ اطّلاع علی السلوک العرفانی، اجل کانوا معرضین عن متاع الحیاة الدنیا مقبلین علی الآخرة، ولم یکن لهم ایّ اصل فی ذلک سوی الخوف والرجاء،الخوف من عذاب جهنّم و رجاء ثواب الجنة، فقط.

والحقیقة: أنه لایمکن تأیید نظریة هذه الفرقة، فان المواد الاسلامیة الاولی اغنی مما تفترضه هذه الفرقة عمداً اوجهلاً، فلا التوحید الاسلامی بهذه البساطة و السذاجة و الفراغ(؟) الذی افترضه هؤلاء، ولا المعنویة الاسلامیة الانسانیة مقصورة علی الزهد الجامد، ولا صحابة الرسول الکرام کانوا کما وصفهم هؤلاء، ولا الآداب الاسلامیة محدودة باعمال الاعضاء و الجوارح الظاهرة.

و نحن هنا نأتی بمطالب تثبت أن تعالیم الاسلام الاصیلة کان بامکانها أن تکون ملهمة لسلسلة من المعارف العمیقة فی العرفان النظری والعملی. أماکم أفاد العرفاء المسلمون من هذه التعلیمات وکم انحرفوا عنها فهو بحث لایمکننا التعرض له فی هذا المختصر.

ان القرآن الکریم لایقیس الخالق و الخلقة بالبانی و البناء، ان القرآن یؤکد علی أن الله هو خالق العالم و یصفه بأنه فی کل شیء و مع کل شیء:«اینما تولّوا فثمّ وجه‌الله»و «نحن اقرب الیکم منکم» «هو الاول و الآخر و الظاهر و الباطن».[۳۵۹]

و بدهی أن امثال هذه الآیات دعت الافکار الی توحید اسمی و اعلی من توحید العوام. و قد جاء فی حدیث الکافی: «ان الله علم أنه یأتی فی آخر الزمان ناس متعمقون فانزل الآیات الاولی من سورة الحدید و قل هو الله احد».

و یکفی فی السیر والسلوک و طیّ المراحل للتقرب الی الله حتی آخر منزل أن نلقی نظرة علی بعض الآیات فی «لقاء الله» و «رضوان الله» و الوحی و الالهام و مکالمة الملائکة و لاسیما مع غیر الانبیاء کمریم علیها السلام،وآیات معراج الرسول الاکرم صلی الله علیه وآله وسلم. و قد جاء فی القرآن الحدیث عن «النفس الآمارة» و «النفس اللوامة» و «النفس المطمئنّة» و عن «العلم الافاضی» و «العلم اللدنّی»، و عن الهدایة نتیجة «المجاهدة» و «الذین جاهدوا فینا لنهدینّهم سبلنا» و عن «تزکیة النفس» بعنوان أنها طریق الفلاح الوحید: «قد افلح من زکّاها و قد خاب من دسّاها» و عن «الحب الالهی» و أنه فوق کل حب.

و عن تسبیح و تحمید جمیع ذرات العالم، بعبارة یُفهم منها: انکم ایها الناس ان

۳۵۹ــ لعله من الأحادیث القدسیة.

اكملتم «تفقّهكم» ادركتم ذلک التسبيح والتحميد. وفی القرآن جاء الكلام فی طينة الانسان عن «النفخة الالهية».

تكفی هذه المفاهيم و الآيات و غيرها لأن تكون ملهمة لمعنوية عظيمة و وسيعة بشأن الله و العالم و الانسان، ولاسيما بشأن علاقة الانسان بربه.

و ليس الكلام فی كيفية استفادة المسلمين من هذه المواد بصورة صحيحة او غير صحيحة بل الكلام فی النظريات المغرضة لجماعة من الغربيّين و المغتربين الذين يحاولون تفريغ الاسلام من معنويته. الكلام عن رأسمال عظيم فی صميم الاسلام كان بامكانه ان يكون ملهماً عظيما فی عالم الاسلام، على فرض أن يكون العرفاء اخفقوا فی الافادة الصحيحة من هذا الرأسمال العظيم، فقد افاد منه آخرون غير معروفين بعنوان العرفان.

اضف الى ذلک أن الروايات و الخطب والادعية و الاحتجاجات الاسلامية و تراجم اكابرالمتربّين بتربية الاسلام تثبت لنا أن الذی كان فی صدر الاسلام لم يكن زهداً جامداً و عبادة على امل الأجر و الثواب، ان فی الروايات و الخطب و الادعية و الاحتجاجات معاني عظيمة. و ان تراجم شخصيات الصدر الاول تحكی عن سلسلة من الهيجانات و الواردات الروحية و البصائر القلبية و عن عشق واحتراق معنوی عظيم، نذكر من ذلک هنا حديثا واحداً:

فی اصول الكافی: «عن اسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ان رسول الله صلى الله عليه و آله صلى بالناس الصبح، فنظر الى شابّ فی المسجد و هو يخفق و يهوی برأسه. مصفراً لونه، قد نحف جسمه و غارت عيناه فی رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف اصبحت يا فلان؟ قال: اصبحت يا رسول الله موقناً. فعجب رسول الله صلى الله عليه و آله من قوله، و قال: ان لكل يقين حقيقة، فما حقيقة يقينک؟ فقال: ان يقينی يا رسول الله هو الذی احزننی و اسهر ليلی و اظمأ هواجری فعزفَتْ نفسی عن الدنيا و ما فيها، حتى كأنی أنظر الى عرش ربی و قد نصب للحساب و حشر الخلائق لذلک و أنافيهم، حتى كأنی انظر الى أهل الجنة يتنعّمون فی الجنة و يتعارفون و على الأرائک مُتّكئين، وكأنی انظر الى أهل النار و هم فيها معذبون مصطرخون و كأنی الآن أسمع زفير النار يدور فی مسامعی. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله لاصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه بالايمان. ثم قال له: الزم ما أنت عليه. فقال الشابّ: ادْعُ لی يا رسول الله أن ارزق الشهادة معک، فدعاله رسول الله صلى الله عليه و آله، فلم يلبث أن خرج فی بعض غزوات النبی صلى الله عليه و آله فاستشهد بعد تسعة نفروكان هوالعاشر» [٣٦٠].

---

٣٦٠ ــ اصول الكافی ج ١ ص ٥٣ ط طهران ــ آخوندی. وروى الحديث ابو بصير عن الامام الصادق عليه السّلام

ان حياة و حالات و كلمات و مناجاة الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم مليئة من الهيجانات المعنوية الالهية و الاشارات العرفانية، و قد استشهد العرفاء كثيراً بأدعية الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم.

و كلمات أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ملهمة للمعرفة المعنوية، و هو الذى اليه يُنتهى اكثرية أهل العرفان و التصوف سلسلة مشيختهم.

و ان الادعية الاسلامية ولاسيما الأدعية الشيعية كنز من المعارف، كدعاء كميل و دعاء أبى حمزة الثمالى و المناجاة الشعبانية و أدعية الصحيفة السجّادية.

فهل لنا مع جميع هذه المنابع أن نفتش عن اى منبع من خارج عالم الاسلام؟

نرى نظير هذا فى حركة أبى ذر الغفارى الاجتماعية المعترضة على الخلافة المغتصبة، والمنتقدة اياها على تجبّرها و تنمرها، ان أباذر كان يعترض على الحكام فى ظلمهم و جورهم و تعديهم و تجاوزهم و حيفهم لاموال المسلمين و اهمالهم لرعاية العدل والمساواة الاسلامية، و قد تحمل لذلك التبعيد والاتعاب المضنية المرهقة، حتى ارتحل من الدنيا فى منفاه غريباً.

و جاء اليوم بعض المستشرقين يطرحون تساؤلاً يقول: ياترى من كان يحرك أباذر لهذه الحركات؟ و هم يفتشون عن عامل من خارج عالم الاسلام حرك أباذر هكذا! و يردّ عليهم جورج جرداق المسيحى فى كتابه «الامام على صوت العدالة الانسانية» يقول: «لقد فطن هؤلاء المؤلفون لعبدالله بن سبأ و المزدكية، و لم يفطنوا لأبى ذر و الاسلام. وهالهم «تأليب ابن السوداء الناس على الأئمة» فراحوا يجدون فيه سبب النقمة على عثمان، و لم يهُلْهُم ما انكره المسلمون على عثمان، و ما ينكره كل شعب على كل حاكم فى كل عصر: من ايثار

ايضاً قال: «استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حارثة بن مالك بن النعمان الانصارى فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟» فقال: يا رسول الله مؤمن حقاً. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال: يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فاسهرت ليلى وأظمأت هواجرى، وكأنى انظر الى عرش ربى قد وضع للحساب، وكأنى انظر الى أهل الجنة يتزاورون فى الجنة، وكأنى أسمع عواء أهل النار فى النار. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: عبد نوّر الله قلبه، ابصرت فاثبت. فقال: يا رسول الله أدعُ الله لى أن يرزقنى الشهادة معك. فقال: اللهم ارزق حارثة الشهادة. فلم يلبث الا أياماً حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية فبعثه فيها، فقاتل فقتل تسعة، ثم قتل».

و فى رواية القاسم بن بريد عن أبى بصير نفس هذه الرواية قال: «استشهد مع جعفر بن أبى طالب بعد تسعة نفر وكان هوالعاشر».

وعلى هذا فلا يستبعد الخبر اذ تبين أن هذا كان فى السنة الثامنة للهجرة سنة غزوة مؤتة، اى بعد أن مضى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثماني سنين و هويعظ الناس و يرشدهم فلا يستبعد أن تكون مواعظ رسوالله صلى الله عليه وآله قد بلغت هذا المبلغ من هذا الشاب الانصارى الناشئ على الاسلام ــ المعرّب.

الفئة القليلة على الجماعة الكثيرة، و من استئساد هذه الفئة برأى الحاكم و بعونه! لهذا راحوا يسألون الساقية الناضبة البعيدة عن مصدر الغيث ولم يسألوا البحر المحيط القريب»! [٣٦١]

و نرى مثل ذلك فى موضوع العرفان، فالمستشرقون هنا أيضاً يفتشون عن منبع غيرالاسلام ليكون هو الملهم للمعنويات العرفانية بينما هم يتجاهلون هذا البحر العظيم! فهل يمكننا أن ننكر كل هذه المنابع من القرآن والحديث و الخطب و الاحتجاجات والادعية و السيرة من أجل أن نصدق فرضية بعض المستشرقين و اذنابهم من الشرقيين؟!

و من حسن الحظ أن بعض المتأخرين من المستشرقين مثل نيكولسون الانجليزى و ماسينيون الفرنسى ممن يعترف لهم الجميع بمطالعاتهم الوسيعة فى العرفان الاسلامى اعترفوا بأن المنبع الأصلى للعرفان الاسلامى هو القرآن و السنة، يقول نيكولسون بهذا الصدد:

«نرى القرآن يقول: «الله نور السموات و الارض» «هو الاول و الآخر و الظاهر و الباطن» «لا إله إلاهو..» «كل من عليها فان» «و نفخت فيه من روحى» «انا خلقنا الانسان و نعلم ماتوسوس به نفسه و نحن اقرب اليه من حبل الوريد» «اينما تولوا فثم وجه الله» «ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور» و لاشك فى وجود جذور للتصوف و العرفان فى هذه الآيات، و لم يكن القرآن للصوفيين الاوائل كلمات الله فحسب بل سبب التقرب اليه ايضاً، و كان الصوفيون يسعون فى الحصول على الحالة الصوفية لرسول الله(ص) فى انفسهم عن طريق العبادة و التعمق فى أقسام من القرآن و لاسيما الآيات الرمزية فى «معراج رسول الله» [٣٦٢]

و يقول أيضاً:

«الوحدة الصوفية نرى اصولها مذكورة فى القرآن اكثر من أي مصدر آخر و كذلك الرسول يقول كما فى الحديث القدسى: «لايزال العبد يتقرب الىّ بالنوافل حتى اذا احببته، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و لسانه الذى ينطق به و يده التي يبطش بها» .

و قد كرّرنا القول بأن الكلام ليس فى صحة مااستلهمه العرفاء و المتصوفة و عدمها، بل الكلام فى أن منشأ هذه الاستلهامات هل هى منابع اسلامية اومن خارج الاسلام [٣٦٣]؟

* * *

٣٦١ ــ الامام علي صوت العدالة الانسانية ج ٤ ص ٨٩٩.

٣٦٢ ــ بالفارسية: ميراث اسلام: مجموعة مقالات من المستشرقين بشأن الاسلام.ص ٨٤.

٣٦٣ ــ ذكر الاستاذ المؤلف الشهيد (قده) ما يدعيه العرفاء لانفسهم وما يبرأون منه، ثم ذكر آراء الآخرين بشأنهم على التوالى: أ ــ نظرية جماعة من المحدثين والفقهاء ب ــ نظرية جماعة من مثقفى العصر الحاضر. ج ــ ونظرية المحايدين القائلة بوجود انحرافات ومبتدعات كثيرة فى التصوف والعرفان العملى مما لايوافق كتاب الله ولا السنة المعتبرة،

القرن الاول:

من المسلم به أن لم يكن فى صدر الاسلام و لا فى القرن الاول جماعة يعرفون بالعرفان اوالتصوف بين المسلمين، بل انما نجد اسم «الصوفى» فى القرن الثانى الهجرى، قيل: ان أول من دُعى بهذا اللقب ابوهاشم الكوفى الصوفى فى القرن الثانى، و هو اول من بنى «الخانقاه» فى رملة فلسطين لعبادة جماعة من العباد و الزهاد المسلمين [٣٦٤] و ابوهاشم من شيوخ سفيان الثورى المتوفى فى ١٦١ هـ و لايعلم تاريخ وفاة أبى هاشم بالضبط.

و يقول ابوالقاسم القشيرى من مشاهير العرفاء و الصوفية: إن هذا الاسم ظهر قبل نهاية القرن الثانى. و يقول نيكولسون ايضاً: ان هذا الاسم ظهر فى اواخر القرن الثانى الهجرى. و يظهر من رواية فى كتاب المعيشة من كتاب الكافي المجلد الخامس: أن جماعة منهم سفيان الثورى كانوا فى النصف الاول من القرن الثانى يدعون بهذا اللقب. ولو كان ابو هاشم الكوفى

و بوجود اخطاء لهم فى العرفان النظرى ايضاً، من دون أن يكونوا يضمرون السوء للاسلام. ثم رجح الاستاذ المؤلف هذه النظرية الثالثة ونبّه على لزوم تحقيق المتخصصين فى المعارف الاسلامية، فى مدى توافق العرفان مع الاسلام. ثم طرح مسألة المنابع الاولى للعرفان والتصوف، فجاءهنا أيضاً بنظريات ثلاث: أ ــ مدعى نفس العرفاء بأن العرفان كسائر العلوم الاسلامية من الاسلام محض. ب ــ مدّعى المستشرقين و جماعة من المسلمين: بأن منابع العرفان الاولى من غير الاسلام: اما من الرهبنة المسيحية، او الفلسفة الافلاطونية، او الافكار البوذية او اليهودية او الآرية الايرانية ضد العرب والاسلام! ج ــ أنه من الاسلام ولكنه لم يتخلص من تأثير الافكار الكلامية والفلسفية ولاسيما الاشراقية. وهنا أيضاً اختار الاستاذ المؤلف الشق الثالث وقال بشأن النظريتين الاولى والثانية: «والحقيقة: انه لايمكن تأييد نظرية هذه الفرقة...»

وقال بشأن تأييد النظرية الثالثة: «ونحن هنا نأتى بمطالب تفيد أن تعاليم الاسلام الأصيلة كانت...»

و فى نفس الوقت كرّر التنبيه على التحريفات فيه فقال: «أما كم افاد العرفاء من هذه التعليمات وكم انحرفوا عنها فهو بحث لايمكننا التعرض له فى هذا المختصر». ولنعم ما افاد الاستاذ بهذا الصدد ــ المعرّب.

٣٦٤ ــ تاريخ التصوف فى الاسلام للدكتور قاسم غنى ص ١٩. وفى هذا الكتاب ص ٤٤ نقل عن كتاب «الصوفية والفقراء» لابن تيمية: أن أول من بنى للصوفية صومعة صغيرة رجل من اصحاب عبدالواحد بن زيد و هو من أصحاب الحسن البصرى. ولو كان هذا الرجل هو أبو هاشم الكوفى الصوفى فلا منافاة بين النقلين.

اول من عرف بالصوفى و هو استاذ سفيان الثورى المتوفى فى ١٦١ هـ فيعلم أنّ هذا الاسم عرف فى النصف الاول من القرن الثانى الهجرى لا أواخره كما يقول نيكولسون. ولاشبهة فى أن وجه هذا الاسم هو لبسهم الصوف اجتناباً عن الملابس الناعمة زهداً و اعراضاً عن الدنيا.

ولا علم لنا متى اطلق هؤلاء على انفسهم لقب العرفان ايضاً، و القدر المسلّم به ــ كما يفهم من كلمات السرى السقطى المتوفى فى ٢٤٣هـ[٣٦٥] ــ أن هذا المصطلح كان شائعاً فى القرن الثالث الهجرى: و فى كتاب «اللمع» لابى نصر سراج الطوسى، الذى يعد من الكتب المعتبرة فى العرفان والتصوف نقل عبارة عن سفيان الثورى تفيد أن هذا المصطلح ظهر فى حدود منتصف القرن الثانى الهجرى (اللمع ص ٤٢٧).

و على أى حال، فلم يكن هناك جماعة فى القرن الاول الهجرى يعرفون بلقب الصوفية. ظهر هذا اللقب فى القرن الثانى والظاهر أن ظهور هؤلاء بصورة جماعة خاصة كان كذلك فى هذا العهد، لا القرن الثالث كما عليه بعض المؤلفين[٣٦٦]

و لكن عدم وجود جماعة خاصة فى القرن الاول الهجرى يعرفون باسم العرفاء او الصوفية او اى اسم آخر، لايدل على أن خيار الصحابة كانوا اناساً زاهدين عابدين مؤمنين ايماناً ساذجاً بسيطاً فاقدين للحياة المعنوية (كما يدعى ذلك الغربيون و المغتربون) و لعلّ بعض خيار الصحابة لم يكن لهم سوى الزهد و العبادة، الاّ أن جماعة منهم كانوا يتمتعون بحياة معنوية قوية، و اولئك أيضاً لم يكونوا فى درجة واحدة، حتى ان سلمان و أباذر لم يكونا فى درجة واحدة من الايمان، فقد كان لسلمان شرح صدر بالايمان لم يكن ليطيقه ابوذر، و لذلك جاء فى احاديث متعددة مامعناه: «لو علم ابوذر ما فى قلب سلمان لقتله» (سفينة البحار).*

و الآن نعرض لطبقات العرفاء والصوفية من القرن الثانى حتى العاشر الهجرى.

القرن الثانى:

الف ــ الحسن البصرى. يبدأ تاريخ العرفان المصطلح ــ كالكلام ــ من الحسن البصرى المتوفى فى ١١٠ هـ. ولد الحسن البصرى سنة ٢٢ هـ، عمّر ثمانية و ثمانين عاماً و صرف تسعة اعشار عمره فى القرن الاول من الهجرة. لم يعرف الحسن البصرى باسم الصوفى و

٣٦٥ــ كما فى تذكرة الاولياء للشيخ العطار.

٣٦٦ــ الدكتور قاسم غنى فى تاريخ التصوف فى الاسلام.

* تراجع مادة «سلم» للاطلاع على شرح هذا الحديث لرفع الالتباس. المصحح.

انما يعد من الصوفية لانه:

اولاً ــ الّف كتاباًباسم «رعاية حقوق الله» يمكن أن يعد اول كتاب فى التصوف. و توجد نسخة منفردة منه فى مكتبة اكسفورد. و يدعى نيكولسون:

«ان أول مسلم كتب طريقة الحياة الصوفية الحقيقية هوالحسن البصرى، نفس الطريقة التى يشرحها المتأخرون للوصول الى المقامات العالية: الاول التوبة، ثم سلسلة من الاعمال الاخرى... يجب العمل بها للارتقاء الى مقام اسمى بكيفية خاصة»[٣٦٧].

و ثانياً ــ نفس العرفاء ينهون بعض مشيخة طرائقهم الى الحسن البصرى و منه الى اميرالمؤمنين على عليه السلام، مثل سلسلة مشايخ أبى سعيد أبى الخير[٣٦٨] و ينهى ابن النديم فى الفهرست فى الفن الخامس من المقالة الخامسة، سلسلة أبى محمد جعفر الخلدى الى الحسن البصرى و يقول: ادرك الحسن البصرى سبعين رجلاً من اصحاب بدر.

ثالثاً ــ و تفيد بعض الحكايات المنقولة أن الحسن البصرى كان من جماعة اوفرقة عرفت فيما بعد باسم المتصوفة. و سننقل بعض هذه الحكايات حسب المناسبات الآتية. و كان الحسن البصرى من الموالى المولّدين الايرانيين.

ب ــ مالک بن دينار، كان من أهل البصرة ممن افرط فى الزهد و ترک اللذات، و قد نقلت عنه حكايات و قصص. توفى فى سنة ١٣١ هـ.

ج ــ ابراهيم الادهم، كان من أهل بلخ، له قصة معروفة مثل قصة بوذا، قيل أنه كان ملكاً على بلخ فجرت امور تاب على أثرها و دخل فى اهل التصوف. يهتم به العرفاء كثيراً. و جاءت عنه قصة جميلة فى ديوان المولوى المثنوى. توفى فى ١٦١ هـ.

د ــ رابعة العدوية، كانت من أهل البصرة او مصر، و هى من اعاجيب العالم. وسميت رابعة لكونها رابعة بنات أُسرتها. و هى غير رابعة الشامية التى هى أيضاً من العرّفاء و معاصرة للجامى فى القرن التاسع الهجرى.

لرابعة العدوية كلمات سامية و ابيات عرفانية و حالات عجيبة. و لها قصة جميلة فى عيادة الحسن البصرى و مالک بن دينار و رجل آخر لها فى مرضها. توفيت فى عام ١٣٥ او ١٣٦ و قيل توفيت فى ١٨٠ او ١٨٥ هـ.

---

٣٦٧ ــ تاريخ التصوف فى الاسلام ص ٤٦٢ نقلاً عن كتاب «حالات وسخنان أبوسعيد ابوالخير».

٣٦٨ ــ ميراث الاسلام ص ٨٥. وتراجع محاضرات الدكتور عبدالرحمن بدوى فى كلية الالهيات والمعارف الاسلامية فى السنة الدراسية ٥٢ ــ ٥٣. ومن الجدير بالملاحظة أن كثيراً من كلمات نهج البلاغة توجد فى رسالة الحسن البصرى، واجدر بالملاحظة والتحقيق انتهاء بعض سلاسل الصوفية الى الحسن البصرى ومنه الى أميرالمؤمنين(ع).

هـ ــ ابوهاشم الصوفى الكوفى، كان من أهل الشام، ولد و عاش بها. ولا يعلم تاريخ وفاته، و انما يعلم أنه كان شيخ سفيان الثورى المتوفى فى ١٦١ هـ . و هو كما سبق اول من دُعى بلقب «الصوفى» حسب الظاهر. و كان سفيان يقول: لولم يكن ابوهاشم لم أكن اعرف رموز الرياء!

و ــ شقيق البلخى، كان من تلامذة ابراهيم الادهم. و قد نقل علي بن عيسى الاربلى فى كتابه «كشف الغمة» و الشبلنجى فى «نور الابصار»: أنه لاقى الامام موسى بن جعفر عليه السلام و نقل عنه بعض الكرامات. توفى فى ١٥٣ او ١٧٤ او ١٨٤ هـ .

ز ــ معروف الكرخى، كان من كرخ بغداد، واسم ابيه «فيروز» و من هنا يُظن أنه من أصل ايرانى. كان من معاريف و مشاهير العرفاء. قيل أن أبويه كانا مسيحيين و اسلم هو على يد الامام الرضا عليه السلام و استفاد منه معلومات قيمة . و ينتهى كثير من مشايخ طرق العرفاء على مدّعاهم الى معروف الكرخى و منه الى الامام الرضا عليه السلام و منه الى الائمة السابقين حتى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و لهذا تسمى هذه المشايخ (بسلسلة الذهب) او (الذهبيّين) توفى فى ٢٠٠ او ٢٠٦ هـ .

ط ــ فضيل بن عياض، كان(من أهل مرو) ايرانياً من اصل عربى، قيل كان فى بداية أمره سارقاً و قاطع طريق، و تسلق ليلة دار رجل قائم الليل يتلو القرآن فسمع آية تاب على أثرها. اليه ينسب كتاب (مصباح الشريعة) و قيل هو دروس تلقاها من الامام الصادق عليه السلام. و قد اظهر المحدث النورى الاعتماد على هذا الكتاب فى خاتمة المستدرک. مات فضيل فى سنة ١٨٧ هـ .

القرن الثالث:

الف ــ بايزيد البسطامى (طيفور بن عيسى) من اكابر العرفاء، من أهل بلدة بسطام. هو اول من تكلم عن الفناء فى الله والبقاء بالله(!) كان يقول: خرجت من كونى بايزيد كما تخرج الحية من جلدتها! وله شطحات اوجبت تكفيره(؟) و يسميه العرفاء من اصحاب «السكر»(!) اى كان يتكلم بمايقول و هو كالسكران(!) مات عام ٢٦١ هـ . قيل انه كان يسقى الماء فى دار الامام الصادق عليه السلام، و هذا لايتفق مع التاريخ الثابت، اذ لم يدرک بايزيد عصر الامام الصادق(ع).

ب ــ بشر الحافى، كان من أهل بغداد، و آباؤه من أهل (مرو). كان من مشاهير العرفاء. كان فى بداية امره من أهل الفسق و الفجور ثم تاب. و قد نقل العلامة الحلى فى كتابه

(منهاج الكرامة) قصة تدل على توبته على يد الامام موسى بن جعفر عليه السلام، و كان حافياً فعرف بالحافى. و قيل فى علة تلقيبه بالحافى وجه آخر توفى فى عام ٢٢٦ او ٢٢٧ هـ .

ج ــ سرى السقطى، كان من أهل بغداد، و لايعرف أصله، وكان من احباء بشر و اصدقائه، وكان من أهل الايثار و الشفقة بالنسبة الى الناس. و نقل ابن خلكان فى (و فيات الاعيان) عنه أنه كان يقول: لازلت استغفر الله ثلاثين سنة من قولى: الحمدلله(!) قالوا: كيف ذلك؟ قال: احترق السوق ليلة فخرجت لارى هل وصلت النار الى حانوتى فقيل لى: لا، قلت: الحمدلله، ثم انتبهت الى أنه حتى ولولم تبلغ النار الى حانوتى افلايجب علىّ ان اهتمّ بشؤون المسلمين؟!

و قد نظم هذا سعدى الشاعر و الكاتب الايرانى بقليل من الاختلاف والتفاوت.

كان السرى من تلامذة معروف الكرخى و كان شيخ الجنيد وخاله. و له كلمات كثيرة فى التوحيد و الحب الالهى و غيرهما، و هو الذى يقول: العارف كالشمس يشرق على جميع العالم، و كالارض تحمل البر و الفاجر، و كالماء منه كل شىء حىّ، و كالنار يضىء لجميع الناس. توفى فى ٢٤٥ او ٢٥٠ هـ .

د ــ الحارث المحاسبى، بصرىّ الاصل، من احباء و اصدقاء و اصحاب الجنيد، و لذلك لقب بالمحاسبى كناية عن اهتمامه بالمحاسبة و المراقبة، كان معاصراً لأحمد بن حنبل. و لعداوة احمد بن حنبل مع أهل الكلام طرد الحارث لدخوله فى الكلام، و هذا سبّب اعراض الناس عنه. مات عام ٢٤٣ هـ .

هـ ــ الجنيد البغدادى، كان من أهل نهاوند فى اصله، و يدعوه العرفاء و الصوفية بلقب «سيّد الطائفة» كما يلقب الشيعة الشيخ الطوسى «شيخ الطائفة». يعد عارفاً معتدلاً حيث لم يسمع منه ما كان يسمع من غيره من الشطحات، ولم يلبس ملابس الصوفية و كان يتزيّا بزي العلماء و الفقهاء. قيل له: البس «الخرقة»: (ملابس الصوفية) لرضا الاصحاب، قال: لوكنت اعلم أن اللباس يصنع شيئاً لصنعت لنفسى ملابس من حديد! ولكن الحقيقة تقول: ليس الاعتبار بالخرقة انما الاعتبار بالحرقة»: (حرقة القلب) كان الجنيد ابن اخت و تلميذ السرى القفطى و كذلك الحارث المحاسبى قيل مات ٢٩٧ و عمره تسعون عاماً.

و ــ ذوالنون المصرى، كان من أهل مصر، و كان فى الفقه تلميذ مالك بن أنس الفقيه المعروف. لقبه الجامى: برئيس الصوفية. و هو اول من استعمل الرموز مصطلحات للمسائل العرفانية، كى لايفهمها إلّا من كان من اهلها و وارداً فيها و لايفهم شيئاً منها من لم يردها من بابها. و تدرّج هذا العمل بعده و استعملت المعانى العرفانية فى ثوب الغرام و الغزل(!) و يرى البعض أن تعاليم الفلسفة الافلاطونية الحديثة دخلت العرفان على يد ذى النون المصرى (٣٣٠) توفى فيما بين سنيّ ٢٤٠ــ٢٥٠هـ .

ز ــ سهل بن عبدالله التستری، کان من اکابر العرفاء و الصوفیة، اصله من شوشتر، و الیه تنسب فرقة من العرفاء الذین یرون الأصل «جهاد النفس» فتدعی باسم «السَهْلیة». لاق ذاالنون المصری فی مکة المکرمة، وتوفی فی ۲۸۳ او ۲۹۳ ه [۳۶۹].

ح ــ حسین بن منصور الحلاج، کان من أهل (البیضاء) من توابع شیراز، و ترعرع فی العراق. هو اکثر العرفاء، ضجیجاً و صخباً حوله، اذکانت له شطحات کثیرة، حتی اتّهم بالکفر و الارتداد و ادعاء الربوبیة، فکفّره الفقهاء و صلب علی عهد المقتدر بالله العباسی. و اتهمه العرفاء انفسهم ــ بافشاء الأسرار، قال حافظ العارف الشیرازی:

«ان الذی شمخ الصلیب به ٥ فی الجرم: کان مذیع سرٍ قد فشا» [۳۷۰].

و یعده بعضهم من المشعوذین، و یبرّیه العرفاء و یقولون: ان کلماته و کلمات بایزید التی یستشم منها رائحة الالحاد صدرت عنهم فی حالة سکروغیبوبة صوفیة عرفانیة(!) و یعدّه العرفاء فی الشهداء(!) صلب عام ۳۰٦ او ۳۰۹ ه [۳۷۱].

القرن الرابع:

الف ــ ابوبکر الشبلی، کان من مریدی وتلامذة جنید البغدادی، و قد ادرک الحلاّج، و نقلت عنه فی کتاب (روضات الجنات) و سایر کتب التراجم اشعار و کلمات عرفانیة کثیرة. و قال الخواجة عبدالله الانصاری: اول من تکلّم بالرمز و الکنایة والاشارة ذوالنون المصری، و لما جاء جنید رتب هذا العلم و بسطه و الّف کتباً فیه، و لما جاء دورشبلی صعد بهذا العلم الی اعلی المنابر(!) مات شبلی بین سِنِیٍّ ۳۳٤ــ۳٤٤ و عمره ۸۷ عاماً.

ب ــ ابوعلی الرودباری، کان ینتسب الی انوشیروان من عنصر ساسانی، و کان من مریدی الجنید و تعلم الأدب من ثعلب و الفقه من أبی العباس بن شریح، و لذلک عدّ جامعاً للشریعة و الطریقة و الحقیقة(!) مات سنة ۳۲۲ ه.

ج ــ ابونصر السرّاج الطوسی، صاحب الکتاب المعروف «اللمع» و هو من المتون الأصیلة و القدیمة و المعتبرة العرفانیة و الصوفیة. مات فی طوس سنة ۳۷۸ ه. کثیر من مشایخ الطریقة من تلامذته بواسطة او بدونها. و یدّعی البعض أن المقبرة التی هی فی الشارع الادنی (پائین خیابان) فی مشهد و تعرف باسم «پیرپالان دوز» هی مقبرة أبی نصر السّراج هذا،

۳٦۹ــ طبقات الصوفیة لابی عبدالرحمن الشلمی ص۲۰٦.

۳۷۰ــ من تعریب المعرّب.

۳۷۱ــ فی مقدمة الطبعة الثامنة لکتابنا «علل گرایش به مادیگری» أوردت بحثاً مبسطاً حول الحلاّج وردّ آراء بعض الماديين المعاصرين الذين سعوا الی عدّه من الماديين.

والسّراج يساوى فى الفارسية: زين ساز، اى صانع السروج، ثم تغيرت الكلمة الى صانع الجُلّ = پالان دوز.

د ــ ابوالفضل السرخسى، كان من أهل خراسان و هوتلميذ و مريد أبى نصر السّراج و استاذ أبى سعيد أبى الخير العارف المعروف الشهير، مات عام ٤٠٠ هـ.

هـ ــ ابوعلى الرودبارى، هو ابن اخت أبى على الرودبارى، و هو من عرفاء الشام. مات عام ٣٦٩ هـ.

و ــ ابوطالب المكّى، اكثر شهرته بكتابه الذى ألّفه فى العرفان والتصوف باسم «قوت القلوب» و هو مطبوع موجود و يعد من المتون الاصيلة و القديمة العرفانية و الصوفية. اصله كان من بلاد الجبل من ايران و عرف بالمكّى لمجاورته سنين بمكة المكرمة. مات عام ٣٨٥ او ٣٨٦ هـ.

القرن الخامس:

الف ــ الشيخ ابوالحسن الخرقانى، احد معاريف العرفاء، وتنسب اليه قصص عجيبة. منها أنه كان يدعى أنه كان يذهب الى قبر بايزيد البسطامى و يتصل بروحه و يحل به بعض مشاكله. يقول المولوى:

«ظهر الخرقان بعد بايزيد ... كان يلقاه على القبر المشيد
كان يلقاه مثالاً ناطقاً ... فيحل المشكل الصعب الشديد» [٣٧٢].

ذكره المولوى فى المثنوى كثيراً و الظاهر أنه يجلّه كثيراً. قيل: له لقاء مع ابن سينا الفيلسوف المعروف و أبى سعيد أبى الخير العارف المعروف. مات عام ٤٢٥ هـ.

ب ــ ابوسعيد ابوالخير النيسابورى، من اشهر العرفاء واكثرهم حالة عرفانية، له رباعيات جميلة. سُئل: ماهو التصوف؟ قال: «أن تدع ما فى فكرك، و ان تعطى ما فى يدك، و ان تندفع بماياتى عليك» كان له لقاء بابن سينا. حضر ابن سينا يوماً مجلس وعظه، و كان أبوسعيد يتكلم فى ضرورة العمل و آثار الطاعة و المعصية، فأنشأ ابن سينا فى الاعتماد على رحمة الله دون اعمالنا يقول:

تولّيت عفوك يا خالق ... تبرّأت من طاعة او معاص
و ان ما عنيت بنا يا إلهى ... فلا فرق بين مطيع وعاص (!) [٣٧٣]

فأجابه ابوسعيد فوراً:

٣٧٢ــ من تعريب المعرّب.

٣٧٣ــ من تعريب المعرّب.

«يا من عملت السيئات و لم تعمل من الحسنات شيئاً يذكر
لا تستند عفو الإله، فهل سيّان شيطان و عبد يشكر» ؟ [٣٧٤]

و له بيتان يقول فيهما:

«بكرى تزول الجهات الست يوم غد و يصبح القدر بالعرفان فاعتبر
سعيا وراء صفات الحال حيث غداً يكون حشرك طبق الوصف والأثر» [٣٧٥]

مات ابوسعيد سنة ٤٤٠ هـ.

ج ــ ابوعلى الدقاق النيسابورى، جامع الشريعة و الطريقة، و الواعظ و المفسّر المعروف، لقب بالشيخ النائح لكثرة نوحه و بكائه فى مناجاته. مات عام ٤٠٥ او ٤١٢ هـ.

د ــ ابوالحسن على بن عثمان الهجويرى الغزنوى، صاحب كتاب (كشف المحجوب) من الكتب المعروفة لهذه الفرقة، طبع أخيراً مات عام ٤٧٠ هـ.

هـ ــ الخواجة عبدالله الانصارى، من نسل أبى ايوب الانصارى الصحابى المعروف. هو من اشهر واعبد العرفاء، له كلمات قصار و مناجاة و رباعيات جميلة مهيّجة، شهرته فى الاكثر بها. من كلماته: «حقير فى الصغر، و سكران فى الشباب، و ضعيف فى الشيخوخة، فمتى تعبد الله»؟ و من كلماته: «جزاء السيئة بالسيئة عمل الكلاب، و جزاء الاحسان بالاحسان عمل الحمير، و جزاء السيئة بالحسنة هوالذى ينبغى أن يكون من عمل الخواجة الانصارى»!

و له بيتان يقول فيهما:

«ان التكبّر أيها الانسان عارٌ عليك فلا تكن مختالا
انظر الى انسان عينك لايرى إلّاسواه تواضعاً و كمالا» [٣٧٦]

ولد فى هرات وتوفى ودفن بها سنة ٤٨١ هـ ولذلك عرف بشيخ هرات. له كتب كثيرة، اشهرها و اكمل كتب العرفان الذى كان يدرّس فى هذا الفن هو كتاب «منازل السائرين» وكتبت عليه شروح كثيرة ايضاً.

و ــ الامام ابوحامد محمد الغزالى الطوسى، من اشهر علماء المنقول و رئيس المدرسة النظامية ببغداد، و كان يشغل اسمى منصب دينى على عهده بها، و لكنّه آحسّ أن العلوم و المناصب لم تشبع روحه فاختفى و اشتغل بتهذيب نفسه و تصفيتها عشر سنين فى بيت المقدس بعيداً عن عيون الناس، واتجه نحوالعرفان و التصوف، ثم لم يقبل أيّ منصب حتى آخر عمره. الف كتابه الكبير «احياء علوم الدين» بعد رياضاته. و مات فى طوس وطنه الأصلى عام ٥٠٥ هـ.

---

٣٧٤ ــ من تعريب المعرّب.

٣٧٥ ــ من تعريب المعرّب.

٣٧٦ ــ من تعريب المعرّب.

القرن السادس:

الف ــ عين القضاة الهمدانى، اشهر العرفاء، مريد أحمد الغزالى اخي محمدالغزالى، الّف كتباً كثيرة، و له أشعار رائعة لاتخلو من الشطحيّات، و لذلک كفره الفقهاء فقتل و احرق جسده و ذرّ رماده فى الهواء. قتل فى حدود ٥٢٥ ــ ٥٣٣ هـ .

ب ــ سنائى الغزنوى، الشاعر المعروف، له شعر عرفانى عميق، أتى ببعض افكاره المولوى المثنوى و شرحها. مات فى النصف الاول من القرن السادس.

ج ــ أحمد الجامى، المعروف به (ژنده پيل) من مشاهير العرفاء و المتصوفة، قبره فى مدينة (تُربت جام) قرب حدود ايران و افغانستان. له شعر فى الخوف و الرجاء يقول مامعناه: «لا تغتر رفكم من مراكب الرجال قد انقطع عن الطريق. و لا تيأس فان الاذكياء قد وصلوا المنزل بحداء»!

و قال فى رعاية الاعتدال فى الانفاق و الامساک:

«لا تكن كالفأس فلا تقطع لنفسک دائماً.. ولا تكن كالمبرد بلامنفعة لنفسک. و تعلّم من المنشار فجر شيئاً لنفسک و انشر منه شيئاً».

مات أحمد الجامى فى حدود عام ٥٣٦ هـ .

د ــ عبدالقادر الجيلانى، ولد فى شمال ايران و نما و ترعرع فى بغداد و دفن بها. و ارتأى بعضهم أنه من أهل «جيل» لاجيلان معرّب «گيلان» كان من الشخصيات الصاخبة فى عالم الاسلام. اليه تنسب سلسلة (القادرية) من سلاسل الصوفية، قبره ببغداد معروف مشهور، و قد نقل عنه كلام و دعاوى كبيرة مفرطة. اصله من السادة الحسنيين. مات عام ٥٦٠ او ٥٦١ هـ .

هـ ــ الشيخ روزبهان البقلى الشيرازى المعروف بالشيخ الشطّاح، لكثرة شطحيّاته، طبع بعض كتبه و نشر من قبل المستشرقين. مات عام ٦٠٦ هـ .

القرن السابع:

ربّى هذا القرن عرفاء عظماء، نذكرهم حسب توالى تواريخ وفاتهم.

الف ــ الشيخ نجم الدين كبرا الخوارزمى، من مشاهير و اكابر العرفاء، و اليه ينتهى كثير من مشايخ الطرق الصوفية، تلميذ و مريد صهر الشيخ روزبهان البقلى الشيرازى. له

تلامذة كثيرون متربّون على يده، منهم بهاء الدين الولد، والد المولى المولوى الرومى. كان يعيش فى خوارزم على عهد المغول، و لما اراد المغول أن يهجموا على خوارزم ارسلوا اليه: بامكانكم أن تخرجوا من البلد وتنجوا بأنفسكم. فاجاب نجم الدين: انا فى الرخاء كنت فيهم فاليوم لاافارقهم فى يوم العسر والشدة. و لبس لامته للحرب و جاهد مع الناس حتى قتل شهيداً، سنة ٦١٦ هـ.

ب ــ الشيخ فريد الدين العطار النيسابورى، كان من اكابر الدرجة الاولى من العرفاء، له كتب و دواوين شعر، و يعتبر كتابه (تذكرة الاولياء) فى ترجمة العرفاء و الصوفية و يبدأ بذكر خبر عن الامام الصادق عليه السلام و يختم بخبر آخر عن الامام الباقر عليه السلام، يعتبر هذا الكتاب من المدارك المعتبرة و يوليه المستشرقون أهمية وافرة. و كذلك كتابه الآخر (منطق الطير) كتاب مهم فى العرفان.

قال المولوى بشأنه و العارف الآخر سنائى:

«كان العطار روحاً و سنائى عيوناً، و سنذهب نحن خلف هذين الرجلين»

و قال أيضاً:

«طاف العطار المدائن السبع من (العشق) و نحن بعد فى منعطف زقاق واحد»!

و يقصد المولوى بالمدائن السبع للعشق ما شرحه العطار فى كتابه (منطق الطير) و اصطلح عليه بالوديان السبعة.

و يقول محمود شبسترى فى كتابه (گلشن راز):

«أنا لا اخجل من شعرى، فلايأتى فى كل مئة قرن (عطارٌ) واحد».

كان العطار تلميذ و مريد الشيخ مجدالدين البغدادى من مريدى و تلامذة الشيخ نجم الدين كبرا، و ادرك صحبة قطب الدين حيدر من مشايخ هذا العصر المدفون فى مدينة (تربة حيدرية) و نسبت المدينة اليه.

كان العطار معاصراً لفتنة المغول و مات فيها، بل قيل انه قتل فيها فى عام ٦٢٦ او ٦٢٨ هـ.

ج ــ الشيخ شهاب الدين السهروردى الزنجانى، صاحب الكتاب المعروف «عوارف المعارف» من المتون الجيدة فى العرفان و التصوف. ينتهى نسبه الى أبى بكر، كان يزور مكة و المدينة كل سنة، وله مع عبدالقادر الجيلانى لقاء و صحبة. و من مريديه الشيخ سعدىْ الشيرازى و كمال الدين اسماعيل الاصفهانى الشاعر المعروف. و يقول سعدى بشأنه:

«قال لى مرشدى الشيخ العالم (شهاب) حكمتين: احداهما: أن لا احسن الظنّ بنفسى، و الاخرى: أن لا أسيء الظن بالناس».

و هذا السهروردى غير السهروردى الفيلسوف المعروف لشيخ الاشراق المقتول بحلب

سنة ٥٨١ ــ ٥٩٠ هـ مات السهروردى العارف حدود عام ٦٣٢ هـ .

د ــ ابن الفارض المصرى، كان من العرفاء من الطراز الاول، و له شعر عرفانى عربى فى نهاية الظرافة، و قد طبع ديوانه مكرراً و شرح شعره كثير من العرفاء منهم عبدالرحمن الجامى العارف المعروف فى القرن التاسع. ويقاس شعره العرفانى فى العربية بشعر الحافظ الشيرازى فى الفارسية. قال له محى الدين العربى: اشرح اشعارك. قال: كتابك (الفتوحات المكية) شرح لاشعارى! كانت له حالات غير اعتيادية، فكان غالباً فى حالة (الجذبة و الخلسة) و قد نظم اكثر شعره فى تلك الاحوال. مات ابن الفارض سنة ٦٣٢ هـ .

هـ ــ محيى الدين العربى الحاتمي الطائى الاندلسى من اولاد حاتم الطائى، ولد فى الاندلس، و الظاهر أنه صرف اكثر عمره فى مكة و سورية، و هوتلميذ الشيخ ابى مدين المغربى الاندلسى من عرفاء القرن السادس، تنتهى طريقته بواسطة واحدة الى الشيخ عبدالقادر الجيلانى السابق الذكر.

كان محيى الدين ــ و احياناً يقال: ابن العربى ــ اكبر عرفاء الاسلام، لم يبلغ مبلغه احد قبله و لابعده، حتى انه لقب بالشيخ الاكبر.

تكامل العرفان الاسلامى من بدو ظهوره قرناً بعد قرن، ظهر فى كل قرن عرفاء كبار طوّروا العرفان و اضافوا اليه، و كان هذا التطور تدريجياً، و على يد محى الدين العربى فى القرن السابع بلغ نهاية كماله، فانه ادخل العرفان مرحلة جديدة لاسابقة لها. أما القسم الثانى من العرفان اى العرفان العلمى و النظرى الفلسفى فقد تأسسّ على يد ابن العربى، و اكثر العرفاء بعده ضيوف عليه، و هو بكل هذا اعجوبة من اعاجيب الحياة، و لذلك اختلف الناس بشأنه، فبعض يراه ولياً كاملاً اوقطب الاقطاب، و ينزّله آخرون حتى حدّ الكفر و يدعونه: ماحى الدين اوميت الدين. اما صدرالمتألهين الفيلسوف الكبير والنابغة العظيمة فهويجلّه نهاية الاجلال، و يراه اعظم حتى من الفارابى و ابن سينا! له اكثر من مئتى كتاب طبع اكثر الموجود منها (ثلاثون كتاباً تقريباً) اهمها (الفتوحات المكية) و هو كتاب كبير يعدّ فى الحقيقة دائرة معارف للعرفان، و بعده فصوص الحكم و هوأدق و اعمق متن عرفانى شرحوه كثيراً، و قليل من يفهمه فى كل عصر، قد لايتجاوز من يفهمه ثلاثة اواربعة! مات بدمشق و دفن بها و قبره معروف، عام ٦٣٨ هـ .

و ــ صدرالدين محمد القونوى، نسبةً الى (قونية = تركية) تلميذ ومريد وربيب محيي الدين العربى، كان معاصراً للخواجة نصيرالدين الطوسى و المولوى الرومى، و تبودلت بينه و بين الخواجة نصيرالدين مكاتبات، وكان محترماً لدى الخواجة، وفى قونية كان الصفاء يسود الصداقة بينه و بين المولوى، كان القونوى امام جماعة و كان المولوى يحضر جماعته. و الظاهر أن المولوى كان تلميذه ــ كما نقل ــ و تعلم عرفان ابن العربى منه كما توجد معان منه فى

ديوانه. قيل: دخل يوماً الى محفل القونوى، فتحرك من مسنده و قدمه الى المولوى ليجلس عليه، فلم يجلس المولوى و قال: ما ذا اجيب ربّى ان جلست مجلسك؟! فطرح القونوى مسنده بعيداً و قال: ما لاتجلس عليه لااجلس عليه!

القونوى احسن شارح لافكار محى الدين، و لعله لو لم يكن لم تكن افكار ابن العربى تدرك و تنتشر، و كانت كتبه من الكتب الدراسية فى الحوزات الفلسفية و العرفان الاسلامى فى القرون الستة الأخيرة، و هى عبارة عن: مفتاح الغيب، النصوص فى شرح الفصوص، الفكوك. توفى فى سنة وفاة قرينه و معاصره المولوى الرومى و الخواجة نصيرالدين الطوسى ٦٧٢ او بعدهما بسنة واحدة ٦٧٣ هـ .

ز ــ مولانا جلال الدين محمد البلخى الرومى المعروف بالمولوى، صاحب الكتاب العالمى: (المثنوى) كان من كبار عرفاء الاسلام و من نوابغ العالم، يصل نسبه الى أبى بكر الخليفة الاول. و ديوان شعره المثنوى بحر من الحكمة و المعرفة و النقاط الدقيقة من المعرفة الروحية والاجتماعية العرفانية، و هو من شعراء الطراز الاول من الايرانيين، و ان كان اصله من بلدة بلخ، فقد خرج فى صباه مع والده لزيارة بيت الله الحرام و بعد رجوعه لاقى الشيخ العطار فى نيسابور ثم ذهب مع والده الى قونية و أقام بها. كان المولوى عالماً محترماً مشتغلاً بالتدريس. ثم لاقى العارف المعروف شمس الدين التبريزى فانجذب اليه شديداً و ترك كل شيء وسمى ديوانه باسمه، و ذكره فى المثنوى بحرارة و اشتياق. مات المولوى عام ٦٧٢ هـ .

ح ــ فخرالدين العراقى[٣٧٧] الهمدانى، الشاعر المعروف، تلميذ صدرالدين القونوى و مريد شهاب الدين السهروردى السابق الذكر. مات عام ٦٨٨ هـ .

القرن الثامن:

الف ــ علاء الدولة السمنانى، كان من أهل الديوان الحكومى الرسمى، ثم ترك شغله ذلك ودخل في سلك العرفاء وانفق كل ثروته فى سبيل الله، والّف كتباً كثيرة وله نظريات خاصة فى العرفان النظرى تطرح فى الكتب العرفانية المهمة. مات عام ٧٣٦ هـ .
كان الخواجوى الكرمانى الشاعر المعروف من مريديه و قد قال فى وصفه:
«من مشى فى طريق على (عليه السلام) وصل الى عين الحياة مثل الخضر

---

٣٧٧ ــ نسبة الى عراق العجم مدينة فى المحافظة الايرانية المركزية بين قم و طهران و ساوه و خونسار، غيّر اسمها الى (أراک ــ المعرّب.

عليه السلام، و انطلق من وساوس الشيطان، كالعلاّمة السمنانى».

ب ــ عبدالرزاق الكاشانى، من محقق عرفاء هذاالقرن. شرح (فصوص الحكم) لمحى الدين و (منازل السايرين) للخواجة عبدالله، و كلاهما مطبوعان و اليهما يرجع أهل التحقيق. و قد نقل صاحب (روضات الجنات) فى ترجمة الشيخ عبدالرزاق اللاهيجى أن الشهيد الثانى أثنى ثناء بليغاً على عبدالرزاق الكاشانى. و قد كان بينه و بين علاء الدولة السمنانى مباحثات و مشاجرات فى المسائل النظرية المطروحة من قبل محى الدين. مات عام ٧٣٥ هـ.

ج ــ الخواجة حافظ الشيرازى، على الرغم من شهرته العالمية ليست ترجمته واضحة، و المقطوع به هو أنه رجل عالم عارف حافظ و مفسّر للقرآن الكريم، اشار الى هذا المعنى فى شعره فقال:

«لم أر أحلى من شعرك يا حافظ... و ذلك بسبب القرآن الذى تحفظه فى قلبك»

«سيبلغ عشقك الله الى حالة الصرخة.. كالحافظة، فتقرأ القرآن عن ظهر القلب باربع عشرة رواية». «لم يجمع احد من حفاظ العالم مثلى لطائف الحكم مع نقاط قرآنية»!

و مع ذكره المرشد و شيخ الطريقة فى اشعاره لم يُعلم من هو مرشده و مربّيه. اشعاره فى قمة العرفان و قليل من يدركها، و اعترف جميع العرفاء بعده بأنه قد طوى المقامات العرفانية العالية. و شرح بعض الكبار بعض ابياته كالمحقق الدوانى الفيلسوف المعروف فى القرن التاسع حيث كتب رسالة فى شرح بيت له قال فيه:

«قال شيخنا: لم يخطئ قلم الصنعة.. طابت نظرته الطاهرة الساترة على الاخطاء»!

مات الحافظ سنة ٧٩١ هـ.

د ــ الشيخ محمود الشبسترى، صاحب المنظومة العرفانية الراقية باسم (گلشن راز حديقة الأسرار) تعد هذه المنظومة احد الكتب العرفانية الراقية مما خلد اسم ناظمها. و قد كتب عليها شروح كثيرة، لعل أحسنها شرح الشيخ محمد اللاهيجى، مطبوع موجود. مات سنة ٧٢٠ هـ.

هـ ــ السيد حيدر الآملى، أحد المحققين العرفاء، له كتاب باسم (جامع الاسرار) من الكتب العرفانية النظرية الدقيقة، طبع أخيراً طبعة لائقة. و له كتاب آخر باسم (نصّ النصوص فى شرح الفصوص) كان معاصراً لفخرالمحققين الحلى الفقيه المعروف. لم تعلم سنة وفاته.

وــ عبدالكريم الجيلى صاحب الكتاب المعروف «الانسان الكامل». اول من طرح مفهوم الانسان الكامل بصورة نظرية هو محيي الدين العربي ولقيت هذه المسألة اهتماماً خاصاً فى العرفان الاسلامى، بحث هذا الموضوع تلميذه ومريده صدر الدين القونوى فى كتابه «مفتاح الغيب» فى فصل مشبع، و اثنان من العرفاء ألّفا كتابين حول هذا الموضوع، احدهما

عزيزالدين النسفى من عرفاء النصف الثانى من القرن السابع، و الآخر: عبدالكريم الجيلى مترجمنا، و كلاهما بعنوان «الانسان الكامل» مات الجيلى سنة ٨٠٥ و عمره ٣٨ عاماً. و لم نعلم هل هومن جيلان (گيلان) او من جيل من قرى بغداد.

القرن التاسع:

الف ــ الشاه نعمة الله الولى، ينتهي نسبه الى على عليه السلام و هو من معاريف و مشاهير العرفاء والصوفية، وسلسلته «نعمة اللّهية» من اشهر الطرق الصوفية فى هذا العصر الحاضر. قبره ببلدة كرمان تزوره الصوفية (والسّواح الأجانب)! قيل عمّر ٩٥ عاماً و مات سنة ٨٢٠ او ٨٢٧ او ٨٣٤. اكثر عمره فى القرن الثامن و له لقاء مع الحافظ الشيرازى، و له فى العرفان شعر كثير.

ب ــ صائن الدين على تركة الاصفهانى، من محقق العرفاء، له طول باع فى العرفان النظرى على مبانى محي الدين، كتابه (تمهيد القواعد) مطبوع و هو دليل على تبحره فى العرفان، و اليه يرجع المحققون.

ج ــ محمد بن حمزة الفنارى الرومى، من علماء البلاد العثمانية، كان رجلاً جامعاً و له كتب كثيرة، شهرته بكتابه «مصباح الأُنس» و هو شرح لكتاب «مفتاح الغيب» لصدرالدين القونوى، و ليس شرح كتب محى الدين العربى او تلميذه صدرالدين القونوى من عمل كل أحد، و قد عمل هذا مترجمنا الفنارى و أيّده محققو العرفان الذين أتوا بعده. طبع هذا الكتاب بطهران طبعة حجرية مع هوامش المرحوم آقا ميرزا هاشم الرشتى من العرفاء المحققين فى القرن الأخير، و الطبعة رديئة لايقرأ منها بعض هوامش الرشتى.

د ــ شمس الدين محمد اللاهيجى نوربخش، شارح كتاب (گلشن راز) للشبسترى كان معاصراً لصدر الدين دشتكى و العلامة الدوانى، و كان يقيم فى شيراز، و كتب القاضى نوراللّه فى (مجالس المؤمنين) أن صدرالدين دشتكى والعلامة الدوانى وهما من الحكماء القدير ين فى عصرهما كانا يجلاّنه غاية الاجلال. كان من مريدى السيد محمد نوربخش، و هو تلميذ ابن فهد الحلى الذى سبق ذكره فى تاريخ الفقهاء. يذكر اللاهيجى فى شرحه لكتاب (گلشن راز) ص ٦٩٨ سلسلة فقره (حسب المصطلح الصوفى) الذى ينتهى الى المعروف الكرخى و منه الى الامام الرضا عليه السلام والائمة السابقين حتى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و تسمى هذه السلسلة «سلسلة الذهب».

اكثر شهرته بشرحه لكتاب (گلشن راز) الذى يعد من المتون العرفانية القيّمة، بدأ بتأليف كتابه هذا فى سنة ٨٧٧ هـ كما ذكر فى مقدمته. و لايُعلم تاريخ وفاته، و الظاهر أنه

كان قبل عام ٩٠٠ هـ .

هـ ــ نورالدين عبدالرحمن الجامى، من أصل عربى، ينتهى نسبه الى الحسن الشيبانى الفقيه الشهير فى القرن الثانى الهجرى. كان شاعراً قديراً، يُعدّ آخر شاعر عرفانى كبير بالفارسية. كان يلقب نفسه فى بداية أمره بلقب (دشتى) و لما دخل فى مريدى أحمد الجامى (ژنده پيل) غيّر لقبه الى لقب شيخه(الجامى) بالاضافة الى أن مولده ولاية «جام» من توابع مشهد الامام الرضا عليه السلام، و لذلك قال فى بيت له:

«مولدى (جام) و رشحات قلمى من فيوضات إناء شيخ الاسلام الجامى و لهذا كان لقبى فى جرائد الاشعار (الجامى) بمعنيين» (يقصد النسبة الى الشيخ و المولد).

له مؤلفات كثيرة فى فروع مختلفة من النحو و الصرف و الفقه و الاصول و المنطق و الفلسفة و العرفان، منها (شرح فصوص الحكم) لمحيي الدين،و(شرح اللمعات) لفخرالدين العراقى، و (شرح تائية ابن الفارض) و (شرح قصيدة البردة) فى مدح الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و (شرح القصيدة الميميّة للفرزدق)فى مدح على بن الحسين عليه السلام و كتاب «اللوائح» و «بهارستان» على غرار «گلستان» لسعدى الشيرازى. و كتاب «نفحات الانس» فى تراجم العرفاء. كان الجامى من مريدى طريقة بهاء الدين نقش بند مؤسس الطريقة النقشبندية و مع ذلك فان شخصيته الثقافية و التاريخية اكثر من بهاء الدين نقش بند بمراتب عديدة، كما أن محمداً اللاهيجى من مريدى طريقة السيد محمد نوربخش و مع ذلك فان شخصيته الثقافية و التاريخية اكثرمن السيد محمد. و حيث كان نظرنا فى هذه الشجرة التاريخية الى الجانب الثقافى للعرفان لاالجانب الطريق للفرقة، فقد خصصنا محمداً اللاهيجى و عبدالرحمن الجامى بالذكردون مريديهما.مات الجامى عام ٨٩٨ هـ عن عمر ناهز ٨١ عاماً.

* * *

كان هذا تاريخاً مختصراً للعرفان من بدايته حتى نهاية القرن التاسع و نرى أنّ العرفان بعد هذا تغيّر وضعه عن سابقه، فان الشخصيات العلمية و الثقافية العرفانية كلهم كانوا الى هذا التاريخ من المشايخ الرسمية للتصوف، و كان اقطاب الصوفية هم الشخصيات الثقافية العرفانية الكبيرة، و الآثار العرفانية الكبرى هى منهم. و منذ هذا التاريخ يتغيّر الوضع عن سابقه بثلاث جهات:

اولاً ــ منذ هذا التاريخ لم يكن لأقطاب الصوفية ذلك التفوق العلمى و الثقافى الذى كان لاوائلهم، و لقائل أن يقول: ان التصوف منذ هذا التاريخ غرق فى ظواهر و آداب ابتدعتها الصوفية فى كثيرمن الأحيان.

ثانياً ــ تخصص جماعة فى العرفان النظرى لمحيى الدين دون أن يدخلوا فى اى سلسلة من مشيخات و طرق التصوف، بل بحيث لايوجد بين المتصوفة الرسميين نظيرلاولئك العرفاء

غير المتصوفين، فمثلاً كان صدرالدين ــ صدر المتألهين الشيرازى المتوفى فى سنة ١٠٥٠ و تلميذه الفيض الكاشانى المتوفى فى سنة ١٠٩١ و تلميذ تلميذه القاضى سعيد القمى المتوفى فى سنة ١١٠٣ اكثر من اقطاب عصرهم وعياً للعرفان النظرى(محيي الدين من دون أن يكونوا من اى سلسلة من سلاسل التصوف، ولا زالت هذه الظاهرة مستمرة حتى عصرنا هذا، فالمرحوم آقا محمد رضا الحكيم القمشه‌اى و المرحوم آقا ميرزا هاشم الرشتى من العلماء و الحكماء فى القرن الأخير كانا متخصصين فى العرفان النظرى من دون أن يكونا هما من سلاسل المتصوفة.

بل لما تأسس العرفان النظرى منذ عهد محيي الدين و صدرالدين القونوى و دخل العرفان فى صورة فلسفية خرج العرفان عن صورته الصوفية. حتى أنا نحتمل أن يكون محمد بن حمزة الفنارى السابق الذكر من هؤلاء العرفاء الفلاسفة غير الصوفية، الا أن هذا الوضع اصبح منذ القرن العاشر مشخصاً واضحاً، فظهرت جماعة متخصصة فى العرفان النظرى اما لم يكونوا من أهل العرفان العملى و السيروالسلوك او كانوا بعيدين عن سلاسل الصوفية الرسميين حتى و ان كانوا أهل سير و سلوك، و فى الاكثر كانوا كذلك قليلاً اوكثيراً.

ثالثاً ــ و نصادف منذ القرن العاشر فى عالم الشيعة جماعات كانوا أهل السير و السلوك و العرفان العملى و قد طووا المقامات العرفانية بأحسن وجه من دون أن يكونوا من احدى سلاسل العرفان و التصوف الرسمى، بل لم يكونوا يعيرون لهم أى اهمية، بل كانوا يحظئونهم اما فى كل أعمالهم اواكثرها او بعضها.

و من خصائص هؤلاء العرفاء أنهم كانوا فقهاء أيضاً، فكانوا يوفقون توفيقاً و يطبقون تطبيقاً كاملين بين الآداب الفقهية وآداب السلوك العرفانى. ولهذه الظاهرة أيضاً تاريخ لامجال له هنا الآن.

وتبين من هذه الشجرة التاريخية أن الجانب الثقافى من العرفان ظهر فى جميع انحاء العالم الاسلامى من الاندلس الى مصر و سورية و الروم حتى خوارزم. ولاشك أن اسهام الايرانيين فى هذه الثقافة كان اكثر من حيث الكمّية. اما كبار العرفاء من الدرجة الاولى فقد ظهروا بين الايرانيين و غيرهم...

الصناعة و الفنون

ما بيناه فى قسم العلم و الثقافة كان مظاهر الخدمات الفكرية التى قدّمها الايرانيون للاسلام، و تبيّن منه كم اعمل الايرانيون فكرهم فى سبيل الاسلام و الثقافة الاسلامية. و الذى نشير اليه هنا هو مظاهر خدماتهم الفنية و الصناعية و الذوقية و الاحساسية.

ان الخدمات الذوقية والاحساسية بامكانها أن تبدى الاحساسات المخلصة للاسلام

اكثر من الخدمات الثقافية؛ اذ الخدمات الذوقية اكثر اتصالاً بالايمان من الثقافية العامة. ان الضغط والثروة لايستطيعان أن يخلقا عبقرية وانما هوالايمان الذى يخلق العبقريات، هذه القاعدة تصدق بالنسبة الى العبقريات الفكرية أيضاً و كثير من آثار الايرانيين فى قسم العلوم و الثقافة الاسلامية عبقريات، و لكنّها اوضح انطباقاً بالنسبة الى العبقريات الذوقية والاحساسية.

ان اكثر العبقريات الصناعية لايران فى العهد الاسلامى كان دينياً اسلامياً، من فن العمران والنقوش و الخطوط و التذهيبات و الخواتيم و القاشانى و المعرّقات والرخام و غيرها.

و لا أرانى باىّ وجه ذاصلاحية للدخول فى هذا الموضوع، و هو موضوع يصلح ان يكون كتاباً مستقلاً، اترك الكلام فيه لذوى الصلاحية بشأنه.

والواضح للجميع هو أن هذه العبقريات السابقة قد تجلّت للناظرين فى كثير من المساجد والمشاهد و المدارس و المصاحف و كتب الادعية (والمزارات والعتبات المقدسة). المعمار المسلم اظهر مهارته فى فنّه فى هذه المساجد و المشاهد و المدارس الاسلامية و كذلك القاشانى و الخواتيم و الكتائب المخطوطة النفيسة الصنع. و كنوز المصاحف فى مختلف المتاحف فى الدول الاسلامية و غيرها تبدى لنا مدى ظهور الفن الايرانى فى الصعيد الاسلامى، و فى الحقيقة تبدى انبعاث الروح الاسلامية فى الذوق الايرانى.

ان الايرانيين لافى ايران فحسب بل فى غير ايران ايضاً اوجدوا كثيراً من الآثار الفنية الاسلامية، بل فى بعض البلاد غير الاسلامية التى فيها اقلية مسلمة كالهند الصينية توجد آثار اسلامية كثيرة صنعت بايدى الايرانيين هى اسناد و مدارك لاخلاصهم بالنسبة الى الاسلام. ونحن نكتفى هنا بهذه الاشارة و نحيل التفصيل والتحقيق فى ذلك الى عهدة اهل الفن.

اللغة و الآداب

و من مظاهر الخدمات الذوقية و الاحساسية التى قدمها الايرانيون للاسلام هى الخدمات التى اسداها الايرانيون من طريق اللغة الفارسية للاسلام، ان الادباء و العرفاء و الخطباء الايرانيّين ابدعوا فى بيان الحقائق الاسلامية بثوب اللغة الفارسية الجميلة، مثلوا الحقائق الاسلامية بالامثال اللطيفة و جسّدوها، و ادخلوا المعانى اللطيفة القرآنية فى ثياب قصص جميلة، والمثنوي خير شاهد على هذا المدّعى.

ان خدمات اللغة الفارسية (الدرّية) للاسلام هى موضوع بحث و تحقيق مستقل، و من يطالع فى هذاالموضوع يرأن هذه اللغة خدمت الاسلام فى طول عمرها الالف و المئتى عام اكثرمن اى شيء آخر. ولوتصدى احد لجمع الشعرالفارسىّ فى التوحيدوالقرآن ومدح

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واهل البيت عليهم السلام لأصبح عدّة مجلدات فضلاً عن شعر الحكمة والموعظة والقصص والغزل.

ان الشعر والنثر الفارسيين كانا طيلة اثني عشر قرناً من عمرهما ــ ولازالا ــ متأثرين بالقرآن والحديث بصورة قوية، فان اكثر المضامين العرفانية والحكمية الفارسية لها جذور في الحديث والقرآن وقد طوت تحت أثر القرآن والسنة طريق السّمو.

ان عداء بعض العناصر مع اللغة الفارسية (الدّرّية) الذى كان يظهر احياناً باقتراح اخراج اللغات العربية و احياناً باقتراح تغيير الخط الفارسى (العربى فى اصله) كل ذلك لاجل أن هذه اللغة لغة اسلامية اكثر من اى شيء آخر، و هى مرآة للثقافة الاسلامية، ولايمكن مكافحة الاسلام من دون مكافحة هذه اللغة، تحت ستار مكافحة اللغات الاجنبية او الخطوط الاجنبية.

و نحن فى بحثنا هذا عن الخدمات القيمة التى قدمتها اللغة الفارسية للاسلام ايضاً نكتفى بهذه الاشارة و نعهد بالبحث التفصيلى فى ذلك الى العلماء ذوى الصلاحية الاكثر لذلك.

قرنان من السكوت؟!

مما قرأ القارئ العزيز فى القسم الثالث من هذا الكتاب ــ و ان كان مختصراً ــ حصل على نتيجة واحدة هى: ان ردّ الفعل الايرانى أمام الاسلام كان شاكراً نجيباً، يحكى عن نوع من الوفاق الطبيعى بين الروح الاسلامية و الاتجاهات الايرانية. و أن الاسلام كان لايران و الايرانيين كغذاء لذيذ بلغ الى افواههم الفارغة الجائعة، اوكماء عذب ارياق فى فم عطشان و أن الطبيعة الايرانية ــ و لاسيما مع الاوضاع الزمكانية والاجتماعية لايران قبل الاسلام ــ جذبت هذا الطعام اللذيذ الى نفسها واتخذت منه القوة والحياة، ثم صرفت هذه القوة والحياة لخدمة الاسلام.

نعلم أنّ الامويين حكموا العالم الاسلامى من سنة ٤١ حتى ١٣٢ هـ، اى قرابة قرن من الزمان. و هؤلاء احيوا ما أماته الاسلام من الميزات القومية و العنصرية، وعملوا بالتمايز بين العرب و غير العرب ــ ولاسيما الايرانيين ــ و بكلمة: كانت سياستهم سياسة عنصرية قومية.

كانت للامويين حساسية خاصة ضد الايرانيين بحيث لم تكن لهم هذه الحسّاسية ضد سائر العناصر غير العربية كالقبطيين. و لعل السبب الاصلى لهذه الحساسية الأُموية هو الاتجاه

الايرانى النسبى الى العلويين ولاسيما شخص الامام على بن أبى طالب عليه السلام. اجل، ان نقطة الحساسية الاموية هى مضادتهم للعلويين. وبالنظر الى أن سياسة علي عليه السلام كانت مبنية على أساس تنفيذ الجوانب الاسلامية المضادّة للعنصرية و الطبقيّة، و كان من الطبيعى أن يكون تنفيذ هذه الاصول ثقيلاً على العرب عموماً و خصوصاً على القرشيّين الذين كانوا يرون انفسهم العنصر الاسمى! لهذا فقد افاد الامويون من النخوة العربية و القرشية لصالح حكومتهم ضد العلويين.

و لهذا أيضاً كان الامويون يكافحون كل عنصر موال للعلويين سواء من العرب او الايرانيين او الافريقيين او الهنود، بل ان الظلم الذى لاقاه آل علي عليه السلام و شيعتهم من العرب من سياسة الأُمويين العرب كان اكثر واشق من الظلم الذى جرى منهم على الايرانيين.

و تقلّبت صفحة التاريخ من سنة ١٣٢ حيث صعد العباسيون مناصب الحكم و العلم، وبنوا سياستهم-حتى عهد المعتصم الذى جاء بعنصر الاتراك للحكم ــ على حماية الايرانيين و تأييدهم ضد العرب! فكانت المئة سنة الاولى من حكم العباسيين عصراً ذهبياً للايرانيين، و كان بعض الوزراء الايرانيين كالبرامكة ــ اولاد البوذيين ببلخ ــ و فضل بن سهل ذى الرياستين السَرَخْسى اكبر قدرة بعد الخليفة.

الإيرانيون و ان كانوا فى القرن الاول من الحكومة العباسية فى رفاهية، إلا أن ايران من حيث السياسة كانت جزءاً من الخلافة العباسية، ولم تكن لها حكومة مستقلة وبعد مئة سنة ــ اى من عهد حكومة الظاهريين على خراسان ولاسيما من عهد الصفّاريين-شكّل هؤلاء حكومة ايرانية مستقلة.

و هذه الحكومات المستقلة فى نفس الوقت كانت حتى نهاية الخلافة العباسية تحت شعاع نفوذها المعنوى، و كان الايرانيون يعتقدون بنوع من القداسة لمقام الخلافة باعتباره اسم خلافة الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم و لايعترفون بالشرعية و القانونية لاى حكومة فى ايران مالم تأت بمرسوم من قبل الخليفة، حتى انتهت الخلافة فى القرن السابع فانتهت هذه الرابطة. وبعد انتهاء الخلافة العباسية خلفتها فى نفوذها و تأثيرها الروحى والمعنوى الخلافة العثمانية فى غير ايران، أما فى ايران فلم يكن لهم اى نفوذ و تأثيرفيها لتشيع الايرانيين و اعتقادهم بعدم شرعية خلافتهم.

و قد اطلق بعض المستشرقين و على رأسهم السيرجان ملكم الانجليزى على القرنين الاولين فى ايران ــ اى من نصف القرن الاول الهجرى حيث افتتحت ايران حتى منتصف القرن الثالث الهجرى حيث تشكلت لها حكومة مستقلة نوعاًما ــ قرنى السكون و السكوت بل عبودية و رقية الايرانيين، باعتبار أن ايران فى هذين القرنين كانت جزءاً من منطقة الخلافة

ولم تكن لها حكومة مستقلة و قد افتعلوا ضجيجاً صاخباً حول هذا المعنى حتى ادخلوا بعض الايرانيين تحت تأثير هذه الفكرة (الكافرة)!.

نعم، ان نحن نظرنا الى التاريخ من زاوية نظر أمثال السيرجان ملكم، اى لم ننظر الى الأُمة الايرانية ولم نلتفت الى التحولات الثقافية و غيرالثقافية المثمرة التى ظهرت فى نفس هذين القرنين فى ايران و افادت الأُمة الايرانية فوائد قيّمة، و انما ننظر الى الطبقة الحاكمة، حقّ لنا أن نعد هذا العهد الذى كانت فيه ايران جزءاً من منطقة الخلافة عهد السكوت و السكون.

اجل، لو نظرنا الى طبقة الحجاج بن يوسف و أبى مسلم الخراسانى فقط، اللذين قتل اولهمامئة و عشرين الفاً و الآخر ستمئة الف نسمة، و اصبحنا كعربى متعصب عنصرى نأسف لما ذا لم يقتل الحجاج العربى هذه الستمئة الف أيضاً! او كايرانى متعصب نأسف لماذالم يجلس ابومسلم الخراسانى مجلس الحجاج العربى من قبل كى يقتل هذه المئة و العشرين الفاً أيضاً بيده القديرة! اذن حق لنا أن نسمّى القرنين الاولين فى ايران قرنى السكون و السكوت، اذحينما نقيس هذين القرنين بالادوار الاخرى نرى أن الشيء الوحيد الذى يؤسف له هوأن يضرب المثل فى هذين القرنين باسم حكام امثال الحجاج العربى دون أبى مسلم الخراسانى!

أما اذا نظرنا الى الأُمة الايرانية، الى ابناء الحذّائين والحرّفيين، اولئك الذين قام من بينهم امثال سيبويه و ابى عبيدة و ابى حنيفة و ال نوبخت و بنى شاكر و مئات امثالهم، الذين تفتحت استعداداتهم و استطاعوا أن يشاركوا فى حلبة مسابقة ثقافية حرة يحوزوا فيها قصب السبق على الآخرين، و يصبحوا لاول مرة فى تاريخ ايران أئمة ادب و علم و دين لسائر الأُمم، و يخلّدوا من انفسهم آثاراً باقية، و يقرنوا اسماءهم و ترابهم بالعزة و الفخر الخالد... كان هذان القرنان قرنى الحركة و الكلام و النشاط و الثورة الاسلامية الشعبية.

فى هذين القرنين تعرف الايرانيون على ايديولوجية عالمية انسانية لاعنصرية، فتقبّلوا حقائقها على أنها حقائق سماوية إلهيّة تفوق كل زمان و مكان، و تعلموا لغتها على أنها لغة اسلامية عالمية لا ترتبط بخصوص قوم بل هى لغة مدرسة و دين، فتعلموها كانها لغتهم، بل قدموها على لغتهم القومية و العنصرية الخاصة.

فوا عجباً من هؤلاء اذ يقولون: «ان اللسان الايرانى كان قداخرسّ فى هذين القرنين ولم يكن ينطق بكلامه إلاّعلى لسان السيف»!

أنا لا افهم حقيقة معنى هذا الكلام! أليست اللغة العلمية لغةً حرة؟! و أليست اللغة الأدبية لغةً حرة؟! أفلم يؤلف سيبويه الفارسى الشيرازى فى غضون هذين القرنين كتابه الادبى الفذّ الذي يعدّ موازناً لكتاب المجسطى لبطلميوس و المنطق لارسطو فى فنّها؟! و أليس كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة من حصيلة هذين القرنين؟! أفليس خلق الآثار الادبية

الراقية من اللغة؟!

انهم يقولون: هذه كلها بلغة عربية.

و نقول: افهل كان احد قداكرههم على أن يخلقوا آثارهم الرائعة باللغة العربية؟! و هل من الممكن أن يخلق احد أثراً رائعاً بالضغط والاجبار؟! و هل هذا من العار على الايرانيين أنهم بعد أن تعرفوا على لغة وجدوا فيها المعجزة الالهية ولم يروها متعلقة بأيّ قوم بل وجدوها لغة كتاب اعتقدوا به و أيدوه، و بعد مضيّ ثلاثة قرون على امتزاج كلمات و معاني هذه اللغة بلغتهم الايرانية القديمة. هل من العار عليهم بعد هذا أنهم صنعوا هذه اللغة الفارسية المعاصرة من مزيج اللغتين؟!.

قالوا: «كانت لغة هذه القومية (الايرانيين قبل الاسلام) لغة قوم يتمتّعون بقدر كاف من الادب و الثقافة و العلوم و المعارف(!) فياترى ماذا سمعوا عندما قابلوا العرب المسلمين حتى اخرسوا بعد أن كانواينطقون بمئة لغة»؟!

طرح هذا السؤال الدكتور زرّين كوب، و أجاب على نفسه يقول:

«ان اللغة العربية كانت قبل هذا لغة قوم نصف وحشيّين ولم يكن لها أيُّ لطف او ظرافة، و مع ذلك نرى أنه لمادوى صوت الأذان فى فضاء ملك ايران، انطفأت شعلة اللغة الفهلوية أمامه. ان الذى اخرس لسان الايرانيين فى هذه الحادثة هوعظمة الرسالة الجديدة وموافقتها الفطرة الانسانية، وكانت هذه الرسالة الجديدة هى القرآن الذى كان قد اخرس خطباء العرب باعجاز بيانه وعمق معناه البليغ. اذن فليس عجباً أن تخرس هذه الرسالة العجيبة الجديدة ألسن الخطباء فى ايران ايضاً وتحيّر عقولهم! الحقيقة أن اولئك الايرانيين الذين كانوا قد اعتنقوا هذا الدين بطيب خاطرهم كانوا يجدون فى هذا الدين الاسلامى الجديد حرارة وشوقاً فائقاً يخلبهم البابهم بحيث لم يكونوا ليضيعوا اوقاتهم بعد ذلك فى الشعر والنثر بلغتهم القديمة»[٣٧٨].

ليس بايدينا أى سند على ان يكون الخلفاء الامويون قد اجبروا الايرانيين على ترك لغتهم الاصلية (بل لغاتهم الاصلية؛ اذلم تكن فى ايران لغة واحدة، بل كان لكل منطقة لغة خاصة بها) و ماقيل بهذا الصدد لايستند الى أى سند من التاريخ و انما هوخيال من مريض مغرض. بل ان الجمال والجاذبية اللفظية والمعنوية للقرآن وتعاليمه العالمية أثرت فى جميع المسلمين حتى جعلتهم يرون هذه التحفة السماوية بكل ما فيها من لطف، لهم، و ينجذبوا الى لغة القرآن حتى يتناسوا لغتهم الاصلية. وليس هذا خاصاً بالايرانيين أن ينسوا لغتهم القديمة بعد تعرّفهم على نعمة القرآن السماوية، بل هذا شأن جميع الأُمم التى اعتنقت الاسلام. وقد قلنا مراراً: إنه لولامساعى العباسيين بما كانت لهم من سياسة مناوأة العرب، لما كانت توجد هذه

٣٧٨ــ بالفارسية: دوقرن سكوت ص١٠٧ــ١٠٨.

اللغة الفارسية المعاصرة المختلفة عن الفارسية قبل الاسلام، اذهم اكثر من حثّهم و حرّضهم على تكوين هذه اللغة، اذ كانوا يكرهون أن تشيع اللغة العربية فى الايرانيين!.

كان بنو العباس يؤيّدون الشّعوبيين الذين كانوا يضادون العرب و يؤلفون الكتب فى مطاعنهم و مثالبهم! هذا (علان الشعوبى) كتب كتاباً فى مساوئ العرب و صفاتهم الذميمة فى حين كان موظفاً رسمياً لهارون الرشيد والمأمون يستنسخ الكتب لهم من بيت الحكمة ببغداد ويأخذ اجراً لذلك، بينما كان مديرها سهل بن هارون الشعوبى الشديد ضد العرب و الذى كتب كتاباً ضدّهم [٣٧٩] و قد قلنا بشأن اللغة الفارسية سابقاً: إن المأمون هو اول حاكم اعطى الجائزة لشاعر فارسى تشويقاً له!:

اجل كان ذلك سبباً فى سكوت الايرانيين عن الفارسية القديمة، وهذا هو السبب فى شيوع الفارسية الثانوية (الدرّية الخراسانية). و ليس ذلك مما نأسف له بل نشكرالله عليه، فلكل لغة لطف و ظرافة و جمال خاص، و اللغة الفارسية هذه قد قدّمت ــ ببركة لطفها و جمالها الخاص، و بفضل همة و ايمان الايرانيين الفارسيين ــ خدمات جلّى للاسلام.

و يجنّب ادوارد براون نفسه عن اغراض امثال السيرجان ملكم و يقول منصفاً:

«كتابان فى تاريخ ايران يعرفهما الانجليز اكثر من اى كتاب آخرهما: كتاب السيرجان ملكم و الثانى كتاب كلمينتز ماركهايم. وقد بحث هذان الكتابان حول عهد التحول الفاصل بين فتح العرب فى القرن السابع الميلادى و بين تشكيل اول اسرة حاكمة ايرانية مستقلة اوشبه مستقلة (الطاهريون و الصفّاريون) بعد الإسلام، فى القرن التاسع الميلادى (القرن الاول و الثانى الهجريين). بحثا هذين القرنين بصورة ناقصة سطحية... فى حين أن هذين القرنين كانا في كثيرمن النواحى احسن من سائر الادوار والعهود، ولاسيما من حيث المعنوية و حتى العلمية اثمر ادوار تاريخ ايران على الاطلاق» [٣٨٠].

و بعد بحث حول سلمان الفارسى يقول:

«ان سلمان هو الشخص الايرانى الوحيد الذى دخل فى الجماعة المحترمة من اصحاب النبى(ص) وكثيرمن العلماء ذوي المرتبة العالية فى الاسلام كانوا من اصل فارسى، و عدد من اسرى الحروب العربية توصلوا الى مراتب شامخة فى عالم الاسلام كأبناء شيرين الاربعة (ابن سيرين واخوته الثلاثة) اسرى حرب جلولاء. و على هذا فلايصح بأيّ وجه معنى كلام من يقول: بأن الايرانيين بعد استيلاء العرب على ايران حتى ثلاثة قرون فقدوا حياتهم العلمية والمعنوية! و بالعكس نقول: ان تلك القرون الاولى كانت عهداً مهماً عديم النظير من

---

٣٧٩ ــ تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢٢٩ ط د. حسين مؤنس.

٣٨٠ ــ بالفارسية: تاريخ ادبيات ايران ج ١ ص ٣١١ ــ ٣١٢.

نفس هذه الناحية المرفوضة، فهو عهد امتزاج الجديد بالقديم و تحول الآداب و تطور المراسيم و العقائد و الافكار، و ليس عهد الركود و السكون اوالموت و الجمود» [٣٨١].

ومن مميزات هذين القرنين هو أن الشخصيات المسلمة الايرانية بالاضافة الى انفتاح استعداداتهم العلمية و الثقافية و اكتسابهم الفخر فى ذلك، بلغوا بانفسهم مقام القداسة الدينية والمذهبية الى درجة انهم اصبحوا مورد احترام دينى من قبل الامم الاخرى و لازالت اسماؤهم فى هالة من القدسية فى الكتب الاسلامية سيما غيرالايرانية و غير الشيعية ولازال الناس فى اقصى البلاد الاسلامية يذكرونهم بغاية التعظيم. اجل كان هذا العهد من حيث العلم و الثقافة فى الطراز الاول، و اما من حيث القداسة الدينية فهو عهد ذهبى لانظير له.

و اذا اردنا أن نوضّح نتائج هذين القرنين كان علينا أن نلقى نظرة على المجتمع الايرانى ثم نستخلص النتائج، من العشرة الثالثة للقرن الاول الهجرى حيث افتتحت ايران بيد المسلمين حتى العشرة الثانية من القرن الثالث الهجرى حيث اوجد الطاهريون فى خراسان حكومة شبه مستقلة، او حتى العشرة السادسة من القرن الثالث حيث استقل الصفّاريون (فى خوزستان و كثير من مناطق ايران حتى خراسان و ماوراء النهر).

و لايخفى أن كثيراً من العلماء الايرانيين الذين ظهرت استعداداتهم العلمية فى عهد الصفّاريين و السامانيين و غيرهم لم يكونوا داخل حوزة الحكومة الايرانية، بل ان اكثرهم كانوا يقيمون بالعراق أو الحجاز او سائر البلدان.

و اذا تجاوزنا سلمان الفارسى الذى اكتسب لنفسه فخر صحبة رسول الله صلى الله عليه و آله و نال شرف قوله فيه «...منا أهل البيت» و الذى هو فى نظر الشيعة افضل صحابة الرسول صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام، و فى نظر غير الشيعة هو من كبار الصحابة، و لازال اسمه يلمع للناظر على جدار مسجد النبى صلى الله عليه و آله... اذا تجاوزنا هذا الرجل العظيم، و نظرنا الى سائر اصحاب السمعة و الصيت من الايرانيين، و حيث أن من يقابلنا بهذا الكلام انما يتكلم بمنطق الاحساسات الوطنية و القومية و العنصرية الايرانية لذلك ندع الآن احساساتنا الشيعية وحتى الاسلامية جانبا، و انما نبحث الموضوع من جانب المفاخرات القومية كما يريدون، و نريد أن نرى ماذا اكتسبنا فى هذين القرنين من المفاخر القومية؟

نال جمع من الايرانيين فى هذين القرنين مقام الامامة الدينية و القداسة المذهبية فى القراءة و التفسير و الحديث و الفقه بين سائر الامم، و لازال خمسمئة مليون مسلم (غير الشيعة) يعظمون هؤلاء عقائدياً. من هذه الطبقة نافع و عاصم و ابن كثير و محمد بن اسماعيل

٣٨١ــ بالفارسية: تاريخ ادبيات ايران ج ١ ص ٣٠١ــ ٣٠٢.

البخارى و مسلم بن الحجاج القشيرى و طاووس بن كيسان و ربيعة الرأى و الأعمش و ابوحنيفة وليث بن سعد. وليث بن سعد هوالايرانى الذى اصبح مفتى مصر، ولماتشرف الى الحج تقدم اليه سفيان الثورى يجر زمام ناقته تشرّفاً به، و سفيان من مشاهير الدرجة الاولى من فقهاء العامة، و هوعربى عدنانى!

جماعة آخرون توصلوا فى هذين القرنين الى الامامة فى الأدب: من قبيل سيبويه، و الكسائى و الفراء و ابى عبيدة معمر بن المثنى و يونس و الاخفش و حماد الراوية وابن قتيبة الدينورى.

و جماعة آخرون بلغوا الى صفوف الامامة فى التاريخ من قبيل: محمد بن اسحاق صاحب السيرة، و أبى حنيفة الدينورى، و البلاذرى صاحب فتوح البلدان و اناس آخرون.

و جماعة آخرون بلغوا الى طبقة ائمة علم الكلا و تصدرت اراؤهم كتب الكلام من قبيل: آل النوبخت و أبى الهذيل العلاّف و النظام و واصل بن عطاء و الحسن البصرى، و عمرو بن عبيد و أمثالهم.

و لمع جمع آخرون فى الفلسفة و الرياضيات و النجوم مثل اولاد شاكر الخوارزمى، و النوبختين و أبى معشر البلخى و ابى الطيّب السَرخْسى و غيرهم.

و لنا ان نذكر من القادة المسلمين الايرانيين موسى بن نصير فاتح اسپانيا و الاندلس، و من المقاتلين فى ايران ظاهراً ذاااليمنين.

اجل؛ هذان هما القرنان اللذان سمّوهما عهد الركود و السكون والسكوت!

تم الكتاب بعون الملک الوهاب

لآخر ذى الحجة الحرام عام ١٤٠٠ هـ

محمد هادى اليوسفى الغروى

VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 063445017
BP63
.I68M8612
1985
juz'3
RECAP

السعر: ٢٠٠ ريال